



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الفقه

الفهم الاستثنائي لتفسير القرآن الكريم

رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه / جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

تقدم بها
الطائب عادل ماجد محمد

إشراف
المدرس الدكتور ستار جبر الاعرجي



{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}
صدق الله العلي العظيم

(١٤٦) سورة البقرة

شكر وتقدير

الحمد لله العلي القدير على تمام نعمائه والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

من دواعي سروري وسعادتي وأنا أنهي بحثي هذا أن أقف لأعرب بكل فخر واعتزاز وود وعرفان عن شكري وتقديري لأستاذي الفاضل د. ستار جبر الأعرجي لتفضله بقبول الإشراف على رسالتي ، ولما أبداه من توجيهات سديدة وجهود صادقة في انجاز هذه الرسالة ، وكان لي خير معلم وترك في نفسي أثراً طيباً لا أنساه أبداً.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأساتذة الأفاضل كل من الأستاذ المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير والدكتور صباح عنوز والدكتور محمد زوين والأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي والدكتور عمار نصار .
و لا يفوتني أن أقدم فائق الاحترام والتقدير إلى الدكتور مشتاق بشير لما أبداه لي من توجيهات ولما قدمه لي من المصادر المهمة حول موضوع البحث.

كما أوجه شكري وتقديري إلى منتسبي مكتبة كلية الشريعة في جامعة بغداد ، ومكتبة كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة الكوفة ، ومكتبة كلية الشيخ الطوسي الجامعة وإلى كل العاملين فيها ، كما أشكر كل من سعى في مساعدتي في إتمام البحث وأدعو الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد فإنه تعالى سميع مجيب .

الباحث

الإهداء

الى روح والدي الحبيب أبداً ووفاء ... إلى نهاية الزمن الآنـي وبداية
الزمن الأبدي ...

الى روح أمي الطاهرة التي قضت حياتها من أجل راحتنا وعزنا
تقديراً وعرفاناً ...

إلى جميع العائلة ،محبة ومودة...

Ministry of Higher education & Scientific Research
University of Kufa
College of Islamic Doctrine

Orientalist Understanding Of Explanation of Al- Quran

**Thesis Presented to the Board of college of Islamic Doctrine/ Al-
Kufa University Apart of Master Degree requirements In Islamic
Shariya & Knowledge**

**By
Adel Majed Mohammad**

**Supervised By
Dr.Sattar Jebur Al- A'Arajy**

2007A.D

1428 hijri

التمهيد :

اهتم الدارسون العرب في القرن الماضي بالاستشراق والمستشرقين، فظهرت لكثير من المفكرين والباحثين دراسات متعددة ومختلفة عنهم تراوحت بين المدح والذم، فرأى بعضهم أنَّ الاستشراق كان حركة شريرة لم تقدم لتراثنا الإسلامي ولتاريخنا العربي، ومقدساتنا أية خدمة أو نفع، ورأى آخرون أنَّ الاستشراق حركة كان لها من أهداف معادية للعروبة والإسلام، ولكنه يظلُّ مساهمة لا يمكن تجاهل أهميتها أو التغاضي عما كان لها من مردود واضح الأثر في إغناء الدراسات العربية والإسلامية في مختلف حقولها وآفاقها ومن المفكرين من مدح المستشرقين، ومنهم من ذمهم^(١). وتظلُّ ظاهرة الاستشراق موضع جدل وبحث، وهذا ما يدعونا إلى القول بأنَّ الاستشراق لم ينل حظه من البحث العلمي المتجرد، وأن الكثير من الدراسات في هذا الموضوع ما تزال بحاجة إلى إعادة النظر والتدقيق والقراءة الواعية لمناهجها وهدافها وأساليب تحليلها لمعطيات الفكر الإسلامي الذي تعاملت معه.

لقد أثرت الدراسات الاستشراقية في القرن الماضي، فظهر الكثير من المفكرين العرب والمسلمين دراسات وكتابات متعددة ومختلفة، ولكن أكثرها دراسات فردية بحتة لم يجمع الرأي فيها في مؤتمر علمي منظم لنعرف صائب الآراء وأثر الاستشراق بنفعه وضرره^(٢)، وظل الموقف من الاستشراق غير واضح المعالم لديهم، فمنهم من ينظر إليه نظرة إعجاب تصل أحياناً حد الانبهار، ومنهم من يرفض كل ما يأتي عنه حتَّى ولو اصطبغ بصبغة علمية، ووقف اتجاه آخر وقفة المتأمل فلم ينبهر ولم يرفض، وأخضع هذا النتاج لأحكام علمية خالصة .

(١) :ظ:علي إبراهيم النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية..، ص : ٩ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م. (بتصرف)

(٢) :ظ:يوسف عز الدين : الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه، مقال منشور في مجلة المشكاة المغربية، العدد: ٢٩ ، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، ص : ١٤. (بتصرف)

وليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، كما انه ليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث في هذا المجال أن يحدّد تاريخاً بعينه، ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافع واضحة متميزة، فجاءت الدوافع في الأدبيات العربية متداخلة بعضها مع بعض، كما أنه لم يكن هناك وضوح في تحديد الأهداف، ووقع خلط أحياناً بين الدوافع والأهداف ^(١) وسنحاول تحديد بعض هذه المفاهيم والمصطلحات التي نستعملها، لأنّ كثيراً من الالتباس المؤدي إلى الاختلاف ناتج عن الخلاف في دلالات المصطلح، وأنّ المسألة لا تنحصر في حدود فقه اللغة، بل تتجاوزها إلى أبعاد سياسية وثقافية وأيديولوجية ^(٢).

أولاً-الاستشراق لغة واصطلاحاً :

١- الاستشراق لغة : "الاستشراق " مشتقة من الشرق، وبالتدقيق الشرق العربي الإسلامي، ويعرّفه القاموس الفرنسي ((بأنه مجموعة المعارف التي تتعلق بالشعوب الشرقية ولغاتهم وتاريخهم وحضارتهم))، وفي المجاز يعني عندهم تذوّق أشياء الشرق ^(٣).

٢- الاستشراق اصطلاحاً: هو : ((مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة)) ^(٤). ويذهبُ عمر فروخ إلى أنّ الاستشراق هو : ((اهتمام علماء الغرب بعلم المسلمين

(١): انظر: علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص: ١٣ وما بعدها. وانظر مجلة الفيصل التي تصدر في المملكة العربية السعودية، العدد: ٣٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ/يونيو ٢٠٠٣ م، ص: ١٣٢. (بتصرف)

(٢): انظر: د. أحمد طائب الإبراهيمي: حوار الحضارات، مقال منشور في كتاب العربي " الإسلام والغرب "، ص: ١١٥، يوليو ٢٠٠٢ م. (بتصرف)

(٣) محمد البشير مغلي: مناهج البحث في الإسلاميات ص: ٣٩ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٢٢ هـ/٢٠٠٢ م الشرق (١٣)

(٤) وزان عدنان محمد: الأستشراق والمستشرقون : مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م، ص ١٥

وتاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعلومهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأساطيرهم))^(١) ويعرفه الدكتور محمد حسين الصغير إلى أن الاستشراق هو ((دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته))^(٢) كما حاول تعريفه : إدوارد سعيد^(٣)، ومالك بن نبي^(٤)، وأحمد الزيات^(٥)، ومحمد عبد الغني حسن^(٦)، ومحمود زقزوق^(٧)، وسواهم .

وأما معنى كلمة مستشرق فيقول الأستاذ عبد الوهاب حمودة: ((هو من صار شقيقاً، وقد أطلقت هذه اللفظة على كل عالم غربي يهوى إتقان لغة شرقية وتجرد إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية والعربية. وتقصّى آدابها طلباً لمعرفة شأن أمة أو أمة شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها أو علومها))^(٨)

ومنهم من عرفه: ((المستشرق شخص يتعاطى دراسة اللغات والحضارات الشرقية، أي: رسام متخصص في تصوير مناظر ونماذج اسغرابية))^(٩)

وذهب آخر إلى تعريفه بالقول: ((هو الباحث في فرع من فروع المعرفة التي تتعلق من قريب أو من بعيد بهذا الشرق، يسمى مستشرقاً))^(١٠)

(١) عمر فروخ الأستاذشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة في كتاب الإسلام والمستشرقون تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، جدة ، دار المعرفة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م انظر أيضا عبد الرحمن حسن جبنك الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيهما ص: ٥ اقتبسه محمد البشير مغلي في كتابه مناهج البحث في إسلاميات المستشرقين وعلماء الغرب ، ص : ٤١

(٢) محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ص: ١٠ ؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ؛ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م (بيروت - لبنان) نقلا عن جبور عبد النور المعجم الادبي ١٧ ، دار العلم للملايين بيروت - ١٩٧٩ م.

(٣) إدوارد سعيد : الاستشراق (تعريب كمال ابي ديب) ، ص: ١٠١ مؤسسه الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ م
(٤) مالك ابن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ص: ٥٠ ؛ دار الإرشاد بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م
(٥) أحمد الزيات : فلسفة الاستشراق وأثرها في النادب العربي المعاصر ص: ٢١-٣٨ ، دار المعارف ، القاهرة (٦) محمد عبد الغني حسن : عبد الله فكري (سلسلة إعلام العرب) ص: ٨٩ ، الدار المصرية للطباعة القاهرة ، (٧) محمد حمزة زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص: ١٧-١٨ الدوحة ، قطر ١٤٠٤ هـ (٨) عبد الوهاب حمودة: من زلات المستشرقين ، ص: ٢٧ ، اقتبسه محمد البشير مغلي ؛ المرجع نفسه ص: ٢٦ (٩) Larousse, p646.D.E نقلا عن محمد البشير مغلي : المرجع نفسه ، ص: ٣٦ : مناهج البحث في الإسلاميات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م الشرق (١٣)
(١٠) السامرائي: قاسم الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص: ١٠٧ ، ط١ ، ١٩٨٣ نقلا عن محمد البشير مغلي ؛ المرجع نفسه والصفحة نفسه

ويشترطُ بعضهم في المستشرق أن ينتمي إلى الغرب(*) : ((ولو كان هذا العالم يابانياً أو

أندونيسياً أو هندياً لما استحق أن يوصف بالمستشرق لأنه شرقي بحكم مولده وبيئته وحضارته))^(١)

وإذا كانت كلمة المستشرق تحمل دلالة أكاديمية من وجهة نظر " الغرب " كما أشارت إليه بعض التعريفات السابقة فهي أيضاً لا تخلو من تعميم على كل مَنْ يُعنى بدراسة حضارة العرب والمسلمين من " الشرقيين " الذين يصبح اللفظ " مستشرق " لديهم محل الشك والارتياب، ويصير مثيراً لأحاسيس مختلفة لها ما يسوّغها، كعدم اقتصاره على الشواغل العلمية المجردة، وانصرافه إلى قضايا ليس أقلها الاحتواء والأبعاد السياسية^(٢).

أنَّ الشرق لكي يُصبح هذا الشرق شرقياً بالمعنى الذي يريدونه هم، فيستسلم لمطالبهم، وليس شرقاً بالمعنى الحقيقي الصحيح، كما هو واقعهم... إنه تصوّر يضمون فيه كلّ ما لديهم من مخلفات لا تمتُّ إلى الغرب بصلة، كما لو كان صندوقاً للقمامة، (فكلُّ ما ليس (نحن)، أي : غربي، فهو (هو)، أي : شرقي وتحت (نحن) تندرج كل الفضائل، وتحت (هو) تندرج كل الرذائل^(٣).

(*) المستشرق: كل من بحث في تراث الشرق لغةً وإدباً وإن كانوا شرقيين، فشمّلتهم هذه التعبير وغمرهم هذا المصطلح، فعادوا مستشرقين وفي ضوء ذلك يصحّ لنا إطلاق الاستشراق الروسي والاستشراق الياباني والاستشراق الصيني على المعنيين بالشؤون المشار إليها في قضايا الشرق المشار إليها. ، نقلاً عن المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١٢ (نقل بتصرف)

(١) علي الخربوطلي : المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ص : ٦٩. نقلاً عن محمد البشير مغلي: المرجع نفسه، ص : ٣٧.
(٢) ظ: محمد البشير مغلي : المرجع نفسه، ص : ٣٧. (بتصرف)

(٣) ظ: د. عبد الحليم عويس : مواجهة التحدي الاستشراقي من آفاق الدعوة الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري أعمال الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، شوال ١٤٠٠ هـ/أغسطس، سبتمبر ١٩٨٠ م. منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص : ٢٣١. (بتصرف)

ثانياً- نظرة تاريخية: اختلفت الآراء حول بداية الاستشراق، فليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث في هذا المجال أن يحدّد تاريخاً بعينه، تحدد فيه المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافتها وعقائدها وآدابها وعاداتها وتقاليدها التي كانت تغطي " الشرق ". وقد تعدّدت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق إلى أحد عشر رأياً، بعضها يعطي تاريخاً بعينه، وبعضها الآخر يعطي حقبة أو عصراً من العصور التي مرّ بها الشرق أو العالم، والبعض الثالث لا يعطي زمناً، وإنّما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجعلت هي البدايات

فبينما يعزو بعضهم نشأة الاستشراق إلى صدر الإسلام بسبب احتكاك المسلمين بالروم في غزوة مؤتة وغزوة تبوك، ومن يومها وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية. يذهب فريق آخر إلى أنّ الباعث على نشوئه هو الحروب الصليبية التي كانت نتيجة الاشتباك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين. ويرى آخر أنّ فكرة الاستشراق يمكن أن تكون قد بدأت مع الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وبالأخص على إثر سقوط طليطلة عام ٤٣٣ هـ/١٠٨٥ م. والاستيلاء عليها من قبل النصارى^(١)

ورأى آخر ينظر إلى نشأة الاستشراق وارتباطها المباشر والجدي بفترة ما يسمى بالإصلاح الديني في القرن السادس عشر الميلادي، وهو عصر بداية الهجوم على العالم العربي والإسلامي، فكان أول عالم غربي برز في العمل الاستشراقي هو المستشرق وليم باستيل (٩٥١هـ/١٥٣١ م) الذي كان مخلصاً للكنيسة كل الإخلاص^(٢)، أمّا الذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق تحديداً علمياً قائماً على حدث علمي، فيعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة (٧١٢هـ/١٣١٢ م) حينما عقد مؤتمر " فيينا " الكنسي ونادى بإنشاء كراسي في اللغات: العربية، والعبرية، واليونانية

(١) ظ: علي النملة : المرجع السابق، ص : ١٣-١٤. وانظر ص : ٢٣ وما بعدها

(٢) نقلاً عن محمد مغلي: المرجع السابق، ص : ٤

(٣) ظ: علي النملة : المرجع السابق، ص : ٢٣٢.

، والسريانية في اربع جامعات رئيسة في أوروبا، وهي : باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وسلامنكا، ثم في جامعة خامسة في المقر البابوي، وقد رأى هذا الرأي كثير من الذين كتبوا عن نشأة الاستشراق، أمثال : إدوارد سعيد^(١)، ونذير حمدان^(٢)، محمد حمدي زقزوق^(٣)، وعدنان محمد وزان^(٤)، ونجيب العقيلي^(٥)، وغيرهم...

ويبدو أن هذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب لأنه يعطي تاريخاً بعينه، وحادثة، علمية محددة بالزمان والمكان والنتائج، ولذا مال إليه كثير من الدارسين وأخذوا به، على اعتبار أنه أكثر " أكاديمية " من الآراء التي سبقته^(٦)

ثالثاً- دوافع الاستشراق وأهدافه : إن دراسة قضية الدوافع والأهداف المبتغاة، من وراء أبحاث المستشرقين لا تتم كاملة بمعزل عن التبصر بالبنية الفكرية والتركيبية النفسية، التاريخية التي صممت عن وعي أو دون وعي، فلسفة هذه الأهداف واتجاه هذه المرامي لدى هذا الغرب الذي يطلق عليه الآن أوروبا، المنصبة اهتماماتها على الشرق الإسلامي بالذات في تحليلها الاستشراقي^(٧) إن للاستشراق دوافعه وأسبابه وأهدافه يأتي في قمته الدافع الديني بألوانه المتعددة، ثم تأتي في الدرجة الثانية الدوافع السياسية والاستعمارية والاقتصادية والتجارية، ولعل الدوافع والأهداف السامية الوحيدة هي الأسباب العلمية النزيهة التي لم يخل الاستشراق منها بأي حال، بل إن هذا الدافع يزداد مع ضмор الدوافع الأخرى. ثم تأتي في المرتبة الثالثة البواعث النفسية والشخصية والتاريخية والإيديولوجية غير الدينية كالمستشرقين الشيوعيين الذين تدفعهم أيديولوجيتهم إلى الاتجاه إلى الاستشراق^(٨)

(١) : الاستشراق، ص : ١٩ .

(٢) : الرسول صلى الله عليه وسلم، في كتابات المستشرقين، ص : ٣٤، دار المنارة، جدة، ١٤٠٦ هـ .

(٣) : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص : ١٩ .

(٤) : الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر، ص : ٢٨ - ٢٩، دار المنار، جدة، ١٤٠٦ هـ .

(٥) : المستشرقون، ج ١، ص : ١٢٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ م .

(٦) : المصدر نفسه، ص : ٢٩ .

(٧) محمد مغلي : المصدر نفسه ، ص : ٥٣ . وانظر ما بعدها .

(٨) علي النملة : المرجع السابق، ص : ٤٠ . وانظر ما بعدها .

رابعاً-مجالات الاستشراق ووسائله:

اتسعت مجالات الاستشراق، وأخذت تشهد اهتماماً واسعاً وعملاً تنظيمياً توج بانعقاد المؤتمرات الدولية، وقد احتضنت فرنسا أولها عام ١٨٧٣ م. وصارت بذلك باريس عاصمة الاستشراق، وأخضع الاستشراق للإمبريالية والعرقية والماركسية وغيرها، غير أنه أصبح يملك منطلقات للبحث، وجمعيات علمية ومؤسسات خاصة، نمت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية عبر عدد من دول الغرب، ممّا أتاح مجالاً واسعاً لنشر الدراسات الأكاديمية^(١). وهذا الميدان من أبرز الميادين التي يعتمد عليها المستشرقون في الوصول إلى أغراضهم، لأنه الميدان الذي يستطيعون منه توجيه الباحثين وإخضاعهم للمنهج الاستشراقي، سواء أكانوا غربيين أم شرقيين من طالبي الشهادات العليا من العرب والمسلمين ممن التحق ببعثات دراسية... وفي هذا المجال استطاع المستشرقون بدءاً من القرن التاسع عشر، وضع الفكر العربي الإسلامي تحت المجهر لقولبته من جديد، وتكييفه وفقاً للأهداف الاستشراقية المسبقة. وإلى جانب هذا الميدان الأساس، امتد نشاط المستشرقين إلى مجال المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية سواء في داخل أوروبا أم في داخل العالم الإسلامي نفسه. ومن الميادين التي اعتمدوا عليها كذلك تأليف الكتب، وإصدار الموسوعات العلمية اعتماداً كبيراً، ومن أبرز المجالات التي أصدرها، "المجلة الآسيوية"، ومجلة "الدراسات الشرقية"، ومجلة "شؤون الشرق الأوسط"، ومجلة العالم الإسلامي الأمريكية والمجلة الفرنسية بالاسم نفسه^(٢) وسواها. وأمّا الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسات فإنها قد بدأت بدراسة اللغة العربية والإسلام، ثم توسعت إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته ولكن أهم ما اعتنوا به هو الدراسات الخاصة بالإسلام والآداب العربية والحضارة العربية والإسلامية^(٣).

(١) ظ: إدوارد سعيد : المصدر نفسه، ص : ٧٤.

(٢) ظ: د. عبد الحميد عويس : المصدر نفسه، ص : ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) ظ: د. محمد العلوي مالكي : موقف المستشرقين من السنة بحث منشور في أعمال الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م، ص: ٦، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.

خامسا- مناهج الاستشراق :

أمّا المنهج العام الذي يسير عليه أغلب المستشرقين في دراساتهم، معتمدا أسلوبا تصنيفيا لأهم المحاور التي يتناولها في التحليل فيتضمن عادة:

- ١- القرآن الكريم ، ٢- سيرة النبي (ﷺ) ، ٣- الشريعة الإسلامية ، ٤- العقيدة الإسلامية ، ٥- الخلافة الإسلامية ، ٦- الحياة العقلية .

وهذه الخطة في التصنيف لمحاور البحث تكاد تتفق عليها كثير من الكتب المؤلفة باللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، كما تنطق بذلك المجلة الأسبوعية ودائرة المعارف الإسلامية، وغير هذين من الكتب المفردة ^(١)، حُرف معظم المستشرقين نصوصاً كثيرة فأسأؤوا الفهم والتحليل ووقعوا في شبهات أبعدتهم عن معيار البحث العلمي الموضوعي فوقعوا في أخطاء كبيرة. أودت بالاستشراق إلى أن يقع في نظر كثير من المسلمين في إطار الشك والريبة في النوايا والأهداف .

سادسا - المستشرقون : بين التعصب والاعتدال:

ويلاحظ الباحث وهو يطلع على النتاج الاستشراقي في تعاطيه مع الفكر الإسلامي إن المستشرقون ينقسمون على قسمين :

أ- المنصفون ^(*) : وهم ينقسمون أيضا على قسمين :

١ الأول : جماعة اشتهروا بالإنصاف في الأوساط العلمية، واطهروا أنهم أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها وأنهم متحررون تمام في بحوثهم العلمية من أثر العواطف الدينية، فكتبوا عن العروبة والإسلام فظهروا بذلك في ثوب نظيف على جسدٍ وسخ، فهم من منافقي المستشرقين وهم كثر.

(١) ظ: المستشرقون والإسلام للبان، والاستشراق للسباعي، نقلا عن د. محمد العلوي مالكي: المرجع السابق، ص : ٦ .
(*) الإنصاف والنصفة هو الوقوف في نصف الطريق، أي : بين التحامل والثناء، بين القبح والمدح، بمعنى التزام الحد الوسط بين الإفراط والتفريط. (انظر : محمد مغلي : ص : ٣٨٧).

وأما القسم الثاني : فجماعة لهم أهداف علمية خالصة لا يُقصد منها إلا البحث العلمي والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلوهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف عدده قليل جداً، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلّمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إمّا لجهلهم لأساليب اللغة العربية، وإمّا لجهلهم بالحقائق التاريخية وتأثرهم بكتابات ومصادر وقعت في أخطاء فأخذوها على عواهنها... وهؤلاء سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، ولكنهم كثيراً ما يتهمهم غيرهم من المستشرقين بالانحراف العلمي أو الانسياق وراء العاطفة أو الرغبة في مجاملة العرب والمسلمين والتقرب إليهم^(١)، كما فعلوا مع السيدة (ماري شيمل) عندما رُشّحت لاستلام جائزة الصلح للناشرين الألمان عام (١٩٩٥ م) بدأت بعض الدوائر الصهيونية المناوئة للعروبة والإسلام في ألمانيا بانتقاد موقفها من سلمان رشدي^(٢) الكاتب الذي أهان الإسلام والرسول الأكرم (ﷺ) كتابه (آيات شيطانية)، لقد صرحت شيمل حينها : (بنظري أنّ الكاتب الذي يتجاسرُ على النبي، وسلمان رشدي يعرف جيداً ما هو الشأن المقدس للنبي عند المسلمين، فإنّه قطعاً قد أهان وتجاسر على مقدسات الإسلام... وإني سأنتقد هذا الموقف حتى الموت)^(٣). وكذلك حدث الموقف نفسه مع (توماس أرنولد)، حين أنصف المسلمين في كتابه المشهور " الدعوة إلى الإسلام "، فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم. هذا الكتاب يُعدُّ من أدق وأوثق المراجع الحديثة في تاريخ التسامح الديني في الإسلام، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون والمشهورون بالانصاف (المنافقون) وخاصة الجواسيس بأنّ مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنّه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها^(٤)

(١) ظ : د. زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، ص : ٨، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
(٢+٣) ظ المرجع نفسه، ص : ٧. (انظر صادق العبادي مجلة الفيصل، العدد ٣٢٢، ١٤٢٤ هـ، ص : ١١٩).

(٤) ظ: صادق العبادي : المصدر نفسه، ص : ١١٦، ١١٩.

١- نماذج من المعتدلين

١- أنا ماري شيمل (ANNEMARIE SCHIMMEL) (1922/2003) التي مرّ ذكرها، فقد شهد بفضلها الشرقيون والغربيون، ولدت عام ١٩٢٢ م، وكان هذا اليوم يوما مباركا وميمونا للاستشراق والمستشرقين كما تقول هي عن ذلك، كان كله عطاء للشرق العربي الإسلامي، لقد كانت شيمل تهتم في دراساتها بنقد أعمال المستشرقين وتقويمها، وقبل ذلك كانت تهتم بالتصوف والمتصوفين، والعلاقة الشديدة بالشعر والأدب خصوصا جلال الدين الرومي، والاهتمام بالأدب الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية. وقد كانت للسيدة شيمل علاقة خاصة بالقرآن الكريم، لأنها كانت تؤمن بأن المنبع الأصيل لفهم الإسلام هو القرآن الكريم، لذلك فإنها كانت تحب القرآن حبّا جمّا، وقد حفظت قسما منه، وقد ترددت أنباء عن إسلام شيمل، غير أنها لم تشهر إسلامها حتى وفاتها. ويصفها المفكر الإسلامي عبد الحليم خفاجي بـ " مؤمنة آل فرعون "، " ومن شدة اعتقادها بالقرآن وعمق رؤيتها فإنها افتتحت كل فصل من فصول كتابها (الشمس المنتصرة) (The Triumphal Sun) عن أفكار جلال الدين الرومي بآية من آيات القرآن الكريم حسب سياق موضوع كل فصل " ^(١)، ولها كتاب آخر بعنوان " : محمد نبي الله أو الرسول في الإسلام "، وعلى الرغم من أن السيدة شيمل تقاعدت عن العمل في عام ١٩٨٢ م إلا أنها لم تترك البحث والدراسة والكتابة حتى آخر لحظة من حياتها عندما وافاها الأجل في بون في كانون الثاني عام ٢٠٠٣ عن عمر يناهز الثمانين عاما كان كله عطاء وخدمة للشرق العربي الإسلامي ^(٢) .

(١) ظ: صادق العبادي: ، ص : ١١٦ .

(٢) د. خالد شوكات : الإسلام أون (موقع في شبكة الانترنت).

٢- المستشرق الألمانية (زيغريد هوتكه) صاحبة كتاب: (شمس العرب تسطع على الغرب) أو أثر الحضارة العربية في أوروبا، وهو كتاب علمي أكاديمي ألفته الدكتورة زيغريد هونكه خلال عدة سنوات، تحدثت فيه عن الحضارة العربية والإسلامية وأثرها في تطوير حضارة الغرب في العلوم والفنون والآداب، وقد كان لظهور كتابها هذا "حدث كبير في ألمانيا وأوروبا، علقت عليه مئات الصحف والمجلات، بدليل أن نقاد أوروبا لم يهتموا بشيء في ذلك العام، اهتمامهم بهذا الكتاب، فهاجم عشرات منهم المؤلفات والكتاب معاً، واتهموها بالتعصب للعرب والتحيز لهم. بيد أن أصدقاء العرب في كل مكان انبروا يفتندون مزاعم هؤلاء ويرتّبون على افتراءهم، فشهد الكتاب في عامه الأول معركة حامية الوطيس لم يعرفها كتاب غيره في ألمانيا في السنوات الأخيرة وبهذا لاقى الكتاب، وسط هذه الضجة، نجاحاً منقطع النظير، فأعيد طبعه، وترجم إلى عددٍ من اللغات الأجنبية، كما رحبت به الصحافة العربية ترحيباً بالغاً" ^(١) وللدكتورة زيغريد هونكه مؤلفات أخرى عن الحضارة العربية منها:

١- الرجل والمرأة، وهو كتاب تاريخي، أكدت فيه الكاتبة كما فعلت في كتبها كلها التي تتالت، فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة، والحضارة الإنسانية عامة ^(٢)

٢- أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية ^(٣) وقد وجه سؤال إلى الدكتورة زيغريد هونكه في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م عن هدفها الأساس من تأليف كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) فأجابت: لقد كتبتُ هذا الكتاب لأظهر للألمان والغربيين أن العرب قد قدّموا مساهمة هامة للحضارة والثقافة الغربية، وأردت

(١) ظ: د. محمد علي مكي : موقف المستشرقين من السنة، محاضرات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، المنعقد بالجزائر في سنة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م، ص : ١٩.

(٢) السيدة شيميل اتخذت موقفاً مخالفاً لسلمان رشدي بسبب كتابه آيات شيطانية، وكذلك أعلنت أنها ليست مع الفتوى الصادرة بإهدار دم سلمان رشدي (انظر صادق العبادي مجلة الفيصل، العدد ٣٢٢، ١٤٢٤ هـ، ص : ١١٩).

(٣) المرجع نفسه، ص : ٧

فيه أيضا أن أعيد الحق إلى نصابه لأن الرأي العام عندنا يعتبر مساهمة اليونان والرومان هي رأس لحضارته وأردت كذلك أن أبرز بأن العرب لم يكونوا فقط حاملّي الحضارات القديمة مثلما تعلّمنا ذلك، ولم يكونوا همجيين، وإنما كانوا ذوي حضارة، كما أنّهم أنجزوا أشياء كثيرة، وقاموا باختراعات وقدموا مساعدات إلى العالم الأوروبي، ولقد أعجبت أيما إعجاب عندما لاحظت الإقبال الكبير في البلدان العربية على كتبي واعتبار هذه البلدان بأنّ مؤلفاتي قد ألقت أضواء جديدة على الحضارة العربية الإسلامية، ولقد عبّر لي الكثير عن ذلك ووصفوا كتبي كمحاولة تدفع العرب إلى استرجاع شخصيتهم وتبرز ماضيهم المجيد^(١)

(١) محاضرات وتعليقات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م، مج ٤، ص : ٤٢٨.

٣-كارل بروكلمان : (١٨٦٥/١٩٥٦ م) المستشرق الألماني، وهو عالم بتاريخ الأدب العربي، وصنّف بالألمانية كتابه المشهور (تاريخ الأدب العربي)، وقد تُرجم إلى اللغة العربية، وهو كتاب قيّم عدّ فيه أسماء الأدباء العرب من كتاب وشعراء وعلماء وفلاسفة، وغيرهم، على نمط كتب الطبقات والتراجم، وهو يذكر أسماء المصنفات والمؤلفات العربية في مختلف فروع العلوم والمعارف والآداب على أسلوب فهرست ابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة وغيرهما من معاجم الكتب وفهارس المكتبات، ولبر وكلمان كتب أخرى، منها : تاريخ الشعوب الإسلامية، وكتاب في نحو اللغة العربية بالألمانية ومعجم للغة السريانية، وغيرها. وقد ألقى بروكلمان نظرة الفاحص الخبير على الأدب العربي في مختلف أزمنته وأمكنته. ويعد كتابه تاريخ الأدب العربي من أهم الكتب التي تساعد الطلاب الباحثين على معرفة أماكن المصادر والمراجع التي تهم أبحاثهم. ولكن بروكلمان قد أخطأ (*) كثيراً في كتابه هذا (١) .

٤- ومن هؤلاء المنصفين من يؤدي بهم البحث العلمي الخالص إلى اكتشاف حقيقة الإسلام فينقلبون إليه مسرورين ويدافعون عنه في أوساط أقوامهم الغربيين. ومنهم المستشرق الفرنسي الفنان (إثين دينيه ETIENNE DINET 1861/1929م) الذي عاش في بلدة بوسعادة بالجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وسمّى نفسه " ناصر الدين ". له تصانيف عن الإسلام بالفرنسية، منها محمد (Mohamed) (ﷺ)، في السيرة النبوية، وقد ساعده في تأليفه العالم الجزائري سليمان بن إبراهيم، وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسول الله محمد (ﷺ) (٢)

(*) من هذه الأخطاء التي ذكرها مولود قاسم رحمه الله، عندما سُمي بروكلمان دول المغرب العربي بدول القراصنة. وكذلك استعماله لكلمة (Barbaresques) في غير معناها. وغيرها من الأخطاء الكثيرة...

(١) المرجع نفسه، مج ٣، ص : ١٦٥ وما بعدها. وانظر كتاب كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر.

(٢) انظر: محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، مج ٤، ص : ٢٠.

٥- ومنهم : (يوهان.ج. رايسكه 1716 / 1774 REISKE م) ذلك العصامي الألماني الذي كان ثمن تفانيه في دراسة الأدب والتاريخ العربيين أن تعرض لاضطهاد فكري وعلمي من المتعصبين الذين ليست لدراستهم قيمة علمية^(١) وفي الجملة فإن معظم المستشرقين الألمان لم يخضعوا لغايات سياسية ودينية واستعمارية بسبب عدم تورط ألمانيا بالاستعمار، وقد تميّز الاستشراق الألماني بالدراسات الشرقية القديمة، والاهتمام بالآثار والآداب والفنون، وهذا النوع من الدراسات عادة يكون خاليا من الأغراض السياسية، وكذلك غلب على الاستشراق الألماني الروح العلمية، والموضوعية والتجرد والإنصاف، ومرد ذلك إلى خصال الألمان المجبولة على الدقة والصبر والمنهج العلمي الصارم^(٢).

(١) محمد مغلي : ، ص : ٣٩٤.

(٢) صادق العبادي : ، ص : ١١٧. وانظر أيضا : ساسي سالم الحاج : نقد الخطاب الاستشراقي فصل خصائص الدراسات الاستشراقية في ألمانيا، دار المدار الإسلامي، طرابلس.

ب- نماذج من المتعصبين : وهم، الغالبية، أكثرهم جواسيس اشتغلوا بالاستشراق، وهؤلاء ليست لدراساتهم قيمة علمية. فللاستشراق دور لا يُرتاب فيه في تمهيد الأرض العربية والإسلامية للاستعمار الغربي، ولكن ليس كل مستشرق ضالعا في ذلك. فكلنا نعلم كيف نشأ الاستشراق . لقد انشأ (بيسمارك BISMARCK) مدرسة اللغات الشرقية في ألمانيا وألحقها بوزارة الخارجية، ولم يلحقها بوزارة المعارف، ولم يلحقها بكلية الآداب ولا بالجامعة، لماذا ؟ لقد كان ذلك بالتأكيد، لأغراض سياسية واضحة، ولنشر النفوذ، وكذلك يمكن ان يقال أنها أنشئت لأعمال التجسس أيضا، وكذلك في فرنسا فمدرسة اللغات الشرقية في باريس، حين أنشئت لم تلحق بالسوربون ولم تلحق بالجامعة، وإنما ألحقت بالكيدورسي (Quai d'orsay)، (وزارة الشؤون الخارجية)، وماسينيون (Massignon) المستشرق الفرنسي^(١) المعروف كان من كبارها، وكان جاسوسا في الشرق، ويرى بعض الباحثين : إن ماسينيون وكثير من أمثاله بذلوا جهودا كبيرة لتخريب العقل العربي والإسلامي، وتنويعه عن طريق تمجيد التصوف الكاذب، وإشاعة الخرافات والأباطيل وإبراز دور الحلاج والرقاصين والدراويش على نحو ما نراه في مؤلفاته^(٢).

((لقد خصص ماسينيون حياته للكتابة عن الحلاج، فجعله صورة مشوهة، ويبدو أن (ماسينيون)، ما كان يُعنى بالحلاج قدر عنايته بتنفيذ مخطط استعماري أحكم صنعه، فقد ملأ كتابه الضخم طائفة تتمسك بالقديم، فتنساق حسب ظنه إلى اعتقاد أن هذه الخرافات والهذيان هي صميم الإسلام، وطائفة مثقفة بالثقافة الحديثة تتجه في اعتقاده، من جانبها إلى السخرية والزراية بهذا الإسلام الخرافي بل من الإسلام كله))^(٣).

(١) ظ: مولود قاسم (وزير الشؤون الدينية في الجزائر سابقا) تعقيب وتوضيحات على محاضرة الدكتور عبد الله العروي الموسومة : الثقافة الإسلامية في مرآة الغرب، محاضرات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ص : ١٦٦.

(٢) ظ: م - ن

(٣) د.محمود قاسم : الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ص : ٧. وانظر أيضا، ص : ٣٥ وما بعدها.

ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن (لويس ماسينيون) ((كان مستشاراً في وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون الشمال الإفريقي والراعي الروحي للجمعيات البشرية الفرنسية في مصر، وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى))^(١)

وقد استطاع وأمثاله أن يعيثوا في عقول الناس فساداً وإفساداً، وأن يؤثروا في بعض ضعاف العقول من (الطرفيين) في الجزائر الذين أصبحوا يرددون خرافات هؤلاء المستشرقين. ومثله المستشرق الفرنسي أيضاً دي ساسي (١٧٥٨ / ١٨٣٨ م)^(٢) الذي كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام ١٨٠٥ م. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠ م، كان "لـ دي ساسي"، ولغيره من المستشرقين ارتباط وثيق بالاستعمار واحتلال الدول العربية والإسلامية، فقد ظهر ذلك جلياً في احتلال الجزائر، عندما مهدت فرنسا لاحتلالها سنة ١٨٣٠ م بدراسات عدّة لمستشرقين فرنسيين، فقد أرسلت فرنسا بعثة علمية مختصة في الآثار والحفريات (في الظاهر)، بقيت هذه البعثة نحو عشرين سنة في الجزائر، تحولت في عملها من مجرد دراسة حفريات وآثار إلى دراسة عقلانية منظمة للبيئة الفكرية. وقبل ذلك كانت قد تطورت فكرة علماء الحملة الفرنسية على مصر إلى مستشرقين لدراسة العالم العربي والإسلامي، فقامت عدة دراسات على الشعوب العربية والإسلامية، وكان في طليعة هؤلاء المستشرقين إدوارد لين^(*) الذي ألف كتاباً عن عادات الشعب المصري وخصائصه.

(١) د. محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص : ٥٥٦، وينظر علي النملة : ، ص : ٦٨، ٧٠، ينظر مقالة أبي القاسم سعد الله في مجلة المنهل السعودية العدد ٥٣٤، شهر أوت ١٩٩٦ م، نقلاً عن الدكتور عبد الكريم بكري : صورة الإسلام في الفكر الاستشراقي القديم والحديث، مقال منشور في مجلة المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، العدد الأول، سنة ١٩٩٨ م، ص : ١٤٦

(٢) : انظر د. يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين ص ٣٤٩، منشورات محمد علي بيبضون- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان

(*) : إدوارد لين: (١٨٠١-١٨٧٦) مستشرق انكليزي نبغ في الرياضيات صغيراً، درسه حضارة قدماء المصريين بعد أن أقام في مصر سنة (١٨٢٥) أتقن العربية كتابة وخطابة ترجمة كتب عديدة منها ترجمة ألف ليلة وليلة إلى الانكليزية ، معجم أسماء المستشرقين ص ٦٤٣

أما ليون روش (LEON Roche) تلميذ دي ساسي فقد أعدّ " مشروع استصدار فتوى من علماء الإسلام تمكن فرنسا المستعمرة الغازية من البقاء والاستقرار في الجزائر هادئة البال، وذلك بإخماد حركة الجهاد ضدها أيام المقاومة الشعبية التي كان يقودها الأمير عبد القادر الجزائري. وكان نص الفتوى التي باركها الحكام في فرنسا وشجعوها : (إذا دافع المسلم عن بلده أو تغلب عليها النصارى فيها ولكنهم أباحوا له شؤون دينه واحترموا نساءه ومساجده، وهو يرجو أن يتحرّر من غلبتهم عليه ذات يوم، هل يجب عليه الجهاد أو يسقط ؟ وقد حصل روش باستعماله كل وسائل الترغيب والترهيب على الموافقة على هذه الفتوى من الحجاز والأزهر والقيروان) ^(١) وهذه من الكوارث الفكرية التي تظهر الانجرار الجاهل لبعض الشخصيات الدينية والعلمية وراء سراب وتلويحات وهمية دون النظر الجدي إلى العواقب والآثار التي تنتج عنها وهذا ما نجده أيضا في أعمال المستشرق " ليفي بروفنسال" ^(*) (1894 / 1956) م ، عن الأندلس، والتي تبرز فيها الروح الاستعمارية، وخاصة في مجال الصراع القبلي بين العرب والبربر ^(٢) وتوظيف نتائج تلك الدراسات لخدمة التوجهات الاستعمارية وهو ما يتأكد أيضا في دليل آخر فلينظر في أعمال المستشرق الفرنسي " ارنست رينان " (١٨٢٣ / ١٨٩٢ م)، الذي كان يعمل مخططا للاستعمار الفرنسي ^(٣)

(١) (انظر مقالة أبي القاسم سعد الله في مجلة المنهل السعودية العدد ٥٣٤، شهر أوت ١٩٩٦ م، نقلا عن الدكتور عبد الكريم بكري : صورة الإسلام في الفكر الاستشراقي القديم والحديث، مقال منشور في مجلة المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، العدد الأول، سنة ١٩٩٨ م، ص : ١٤٦.

(٢) (علي النملة : المرجع السابق، ص : ٧٠.

(*) ليفي بروفنسال : مستشرق فرنسي ولد في الجزائر، له آثار كثيرة تركزت في مجملها على الأندلس ، وله أعمال في السامية ويعد من الفلاسفة.. بدوي ، موسوعة ، ص ٣٥٤.

(٣) انظر إدوارد سعيد : الاستشراق، ص : ٧٠ و ٧٣.

ومن أعلام الاستشراق الهولندي في القرن السابع عشر نذكر على الخصوص " يعقوب خوليوس (Golius) (1596 / 1667 م)، الذي عمل أستاذ اللغة العربية ومادة الرياضيات وأنشأ فيما بعد أول مرصد فلكي هولندي في ليدن عام ١٦٣٣ م. وقد لعب خوليوس هذا دورا بارزا في اقتناء مخطوطات كثيرة باللغة العربية أغنى بها مكتبة جامعة ليدن ، ولكن أخطر ما اتصف به المستشرق خوليوس، على غرار معظم المستشرقين الهولنديين، هو كراهيته للعرب والمسلمين حيث عبر عن حقد فاضح تجاههم إذ يقول: (إن الإسلام أحدث جراحا عميقة إذا تركناها ستعدي جزءا كبيرا من البشرية بجذام) ^(١).

(١) الدراسات العربية في هولندا، ص : ١٧. نقلا عن إسماعيل العثماني : قراءة في الاستشراق الهولندي، مقال منشور في مجلة المشكاة المغربية، العدد ٢٩، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، ص : ٢٦ - ٢٧.

خلاصة التمهيد :

وأخيراً، ليس الاستشراق كله سيئاً، وليس كله حسناً، وعلينا دراسة التيارات المختلفة، وتشجيع المحاييد والمتعاطف والمخلص، ولا نقف أمامهم باستفزاز وعصبية وإنما احتواء هؤلاء بالطيب من كل شيء، لأن رد الفعل سيكون أكثر استفزازاً^(١)

أمّا النتيجة الحاسمة التي يقررها الدكتور مالك بن نبي بعد التحليل المتأنّي والشواهد المختلفة التي قدمها في كتابه : (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث)، فهي : ((أن الإنتاج الاستشراقي يكلاً نوعيه، كان شرّاً على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان، سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا الحاضر، وغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا. وفي صورة التنفيذ والإقلال من شأننا، بحث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين... وعلى كل حال، فإن أمكننا أن نصرح بأننا تجد على كل وجه، جانباً إيجابياً في هذا الاستشراق فإننا لا نجده في صورة المديح، بل في صورة التنفيذ))^(٢)

أمّا الدكتور أكرم ضياء العمري، فيؤكد في كتابه (موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية) فيقول: ((إن الاستشراق حقق كثيراً من أغراضه لكنه لم يستنفد تلك الأغراض، لذلك هو يواصل التأليف ويواصل الحوار في الندوات والاجتماعات الإقليمية والاجتماعات الدولية، وهو ماض بمؤسساته الضخمة وإمكانات نشره الهائلة، يصدر دورياته الثلاثمائة التي تتناول المسلمين من شتى النواحي)).^(٣)

(١) ظ: يوسف عز الدين : الاستشراق وبواعثه وما له وما عليه، مجلة المشكاة المغربية، العدد ٢٩، ١٩٩٨ م، ص : ١٧.

(٢) مالك بن نبي : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص : ١٧. نقلاً عن محمد مغلي : المرجع السابق، ص : ٤١٨ - ٤١٩

(٣) الدكتور أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية ص ٤٥، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، كلية الدعوة

هذا القرآن العظيم لا يزال دفاق فيض مستمر العطاء على الرغم من المحاولات المستشرقين و المستغربين المتكررة للقضاء عليه، والمنع من الانتماء إليه. ولقد يكون خيراً أن نعلم في هذا التوقيت إلى طرح هذه القضية التي لا تشغل المتخصصين فقط ، وإنما أصبحت جزءاً من هموم المثقف المسلم، بعد ما رأينا بعض المثقفين، وأنصاف المثقفين يخوضون فيها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . وحسبي من ذلك أن أشير إلى أن كتابات المستشرقين عن التفسير الإسلامي للقرآن أصبحت مادة دراسة في بعض جامعاتنا، وكنت أحد الذين درسوا كتب جولد زيهر – (Ignaz Goldziher) وأرثر جيفري – (Arthur Geoffrey) وثيودور نولدكه – (Theodoer oldeke) بجامعة بغداد كلية الشريعة .

ولست ادعي أنني رائد هذا المجال، وإنما انا مسبق ومقتبس لعدد من مقدمات هذه الدراسة وملاحظاتها ونتائجها، وإن أكثر عملي فيها هو التلخيص وإعادة الترتيب تصحيحاً وتحليلاً لنصوصها وإبرازاً للشبهات التي وقعت فيها بعض التصورات الخاطئة، عسى أن نهتدي إلى رأي مستنير من هدي رب العالمين في هذه المسألة ليزيل حجب الجهل بأهميتها ويهتك أستار الغفلة عنها ويضعها في موضع مناسب من ثقافة المهتمين ودراسات الدارسين أداء للمسؤولية تجاه الدستور الإلهي والأمانة لحضارة هذه الأمة وفكرها الذي حاولت تيارات الاستشراق طمس الحق الذي في معالمة وتغيب أصوله وأثاره . منذ أكثر من عشرة سنوات كنت في بريطانيا، واطلعت على رؤى الأوروبيين للإسلام ونظرتهم للقرآن الكريم ولنبي الإسلام (ﷺ) وللمسلمين ، وقد لاحظت أن أكثر ما يركز عليه الانكليز القرآن الكريم والتشكيك في صحة نزوله، وكان النقاش يدور بيننا حول هذا الموضوع ، ولشديد الأسف لم تكن لي القدرة آنذاك للرد على كل ما يطرح بشكل دقيق مسند بالأدلة والحجج مدعّم بالنصوص والتوثيقات، ولقد أدركت تماماً من انه لا بد لي من الاطلاع على كل

جوانب وأبعاد القرآن الكريم وخصوصاً في مجال التفسير ، ومن هنا تولدت لديّ رغبة ملحة لدراسة الفكر الإسلامي على أسس علمية متينة تستند إلى المصادر الصحيحة للإسلام ، وأخذت هذه الفكرة تتجذر في أرض الواقع عندما

قدمت طلباً لرسالتي يحمل عنواناً: (الفهم الاستشراقي للقرآن الكريم) ، وبعد عرض هذا العنوان على الأستاذ الفاضل المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير ، قام بتعديله إلى (الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم) ، ولم أدرك وقتها القيمة العلمية والغاية من هذا التعديل لكني أدركت فيما بعد وفي سنة التتبع والجمع والتوثيق قيمة التعديل الذي اختصر موضوع البحث ومشكلاته وجعله ذا أبعاد محددة جعلته يتوجه إلى دراسة الموقف الإستشراقي من تفسير القرآن الكريم وإلا ففي القرآن الكريم وحوله مئات الموضوعات المهمة والبحث فيها جملة لا يعطي ثماره ولا يفي الموضوع حقّه ؛ وقد عرضت الموضوع المقترح على الأستاذ المبدع الدكتور محمد زوين ، والذي أثنى بدوره على المقترح المعدل وشجّعني على الكتابة فيه وأبدى الاستعداد النبيل لمدي العون لإكماله .

والغاية من دراسة الاستشراق فضلاً عن ما قيل سابقاً هو ما كنت أقرؤه أو اسمعه أثناء المحاضرات من أساتذتي عن الاستشراق والمستشرقين ، وما لمستّه من انطباعات في أثناء معاشتي الأوروبيين في لندن ، هذه الانطباعات المشوهة التي ؛ يحملها الأوروبيون عن المسلمين والدين الإسلامي الذي حل محل النصرانية في أغلب بلدان الشرق ، ووقف في طرق امتدادها وامتداد دولها في تلك البلدان ، بل انه ظل على مدى التاريخ المقارع والمنافس الرئيسي لها بين الشعوب واستطاع أن يصل إلى عقر دارها ، كما حصل في غرب أوروبا فاتحاً إسبانيا وما حصل في شرق أوروبا إلى حدود الصين ، وكذلك في وسطها إلى حدود النمسا .

وبهذا الصدد قال المستشرق الألماني بيكر (... إن هناك عداء في النصرانية للإسلام بسبب إن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها)^(١) ولا شك في أن القرآن الكريم كونه كلام الله هو أساس يقوم عليه الإسلام والنقل الأكبر فيه وفي ارتباط المسلمين به ، عقيدةً وديناً ، ووحية لرسوله

(١) : نقلاً عن المقدادي: الشيخ فؤاد كاظم ، الإسلام وشبهات المستشرقين ص ١٣٥ ، ط ١٤١٦هـ ، مطبعة أمير ، الناشر المجمع العلمي لأهل البيت (ع)

محمد (ﷺ) ودستور رسالته وثاني هذه الأسس والمقومات هي سيرة رسول الله (ﷺ)

وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) .

ولعل من الأسباب الأخرى التي جعلتني أختار الاستشراق موضوعاً كونه من مواضيع محل اختلاف خاصة في تفسير آياته وأهدافه ونتائجه ، هذا زيادة على أن الجهد البحثي للدارسين العرب في الاستشراق قد اكتتفه الكثير من تعدد الرؤى واختلاف الآراء بين التأييد والمعارضة والقبول والرفض إلا أن الرؤية الموضوعية تقتضي النظر بعين الانصاف والتقدير لكثير من المستشرقين الراغبين في دراسة الفكر العربي بموضوعية ونزاهة .

هذا فضلاً عن أن موضوع الأطروحة (الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم) من المواضيع التي لم تأخذ اهتماماً كافياً من الباحثين ولتجنب التكرار ، فقد حرص الباحث على أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون.

وقد كان من أهم الصعوبات التي واجهها الباحث في مثل هذه الدراسات التي تكاد تكون غربية المصدر ، هي تعدد لغات المستشرقين ، وعدم توفر المصادر ، فلكي تطلع بشكل واضح على رؤى المستشرقين لابد أن تترجم مؤلفاتهم . وتكمن الصعوبة في أن تلك المؤلفات بلغات غير لغة الباحث فضلاً عن تعددها ، ومن حسن الحظ أنني أملك خلفية جيدة في اللغة الانكليزية جاءت نتيجة لمكوئي في بريطانيا فترة من الزمن ، للحصول على درجة الماجستير في الفيزياء الطبية ، مما ساعدني على ترجمة كثير من كتب المستشرقين وترجماتهم لمعاني القرآن الكريم ، كترجمة كتاب جورج سيل ومحمد ماردوك وريتشارد بيل وغيرهم .

أما بشأن مصادر هذه الدراسة ، فقد اعتمد في إعداد هذه الرسالة على مجموعة كبيرة ومتنوعة من المصادر العربية والأجنبية التي اختصت بموضوع الاستشراق فاحتل كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) و(كتاب العقيدة والشرعية) لجولد زيهر مكان الصدارة من بينها لمكانته المؤثرة في الجهد الاستشراقي ولما حواه الكتابان من معلومات في التفسير ، ومرويات التفسير ، والجدير بالذكر أن جولد زيهر هو

الوحيد من بين المستشرقين الذين كتبوا بحوثاً حول التفسير ومذاهب التفسير عند المسلمين على مختلف مذاهبهم. كما لا يفوتني أن اذكر الاستفادة من شبكة

الانترنت في توفير العديد من المصادر التي منعت الظروف من تحصيلها ، ومن الجدير بالذكر أن طبيعة الموضوع قد تطلبت إجراء دراسة تحليلية لمجموعة من المصادر الأجنبية المترجمة وغير المترجمة وهي: الترجمة الانكليزية للقرآن الكريم لجورج سيل ، والترجمة الفرنسية لجاك بيرك وترجمة كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني ثيودور نولدكه وهو كتاب بثلاث أجزاء ويعتبر أساس الدراسات الاستشرافية في هذا التخصص وكتاب (مدخل إلى الفقه الإسلامي) لجوزيف شاخت ويضاف إلى مؤلفات هؤلاء المستشرقين مؤلفات آخرين غيرهم ، أمثال (مونتجمري وات، وليم موير ، هاملتون جيب ، بلاشير ، جوستاف لوبون، جوستاف فايل وغيرهم عشرات) .

ومن الواضح أن هذا القدر من المصادر الاستشرافية قد وفر للباحث رؤية إجمالية واضحة لطبيعة الموقف الاستشراقي من موضوع التفسير الإسلامي للقرآن الكريم .

ومن أهم المصادر العربية التي اعتمدها الباحث الكتاب (المقدس بعهديه القديم والجديد) ، فضلاً عن كتب الحديث وكتب التفسير والسيرة النبوية الشريفة والتاريخ ، ودراسات عربية حديثة حوت معلومات قيمة ولاسيما تلك الدراسات التي مست (تاريخ القرآن) مثل كتاب أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير والدكتور عبد الصبور شاهين وغيرهم من العلماء والمفكرين.

أما خطة البحث فقد قسمت البحث على مقدمة ، و مدخل ، وأربعة فصول وخاتمة مع قائمة للمصادر العربية والأجنبية ، وقد جاء المدخل بعنوان : (إطلالة على الاستشراق) حاولت فيه أن أتعرض إلى تعريف الاستشراق وإطلالة على جهود المستشرقين ، والدوافع والأهداف والمجالات التي عطتها الدراسات الاستشرافية فضلاً عن أهم مناهج المستشرقين مع عينات من آثارهم وإعمالهم من أجل خلق قاعدة فهم لتلك الدراسات والمناهج تعين على خوض عباب الموضوع المحدد للرسالة .

وجاء الفصل الأول تحت عنوان (المستشرقون وظاهرة التفسير الإسلامي للقرآن الكريم) والذي تضمن الموقف الأستشراقي من تفسير المسلمين للقرآن الكريم من خلال طبيعة الرؤية الأستشرافية لتفسير القرآن، ومحاولاتهم للتشكيك في صحة المرويات التي اعتمد عليها ، وعدالة المفسرين، ودعوى معارضة

المسلمين لتفسير القرآن ، وإبراز المستشرقين لكتب التفاسير المنحرفة والدعوى إلى منهجية حديثة في تفسير القرآن تغادر الثوابت والأصول الإعتقادية وتستجيب للدوافع التي تختفي وراء المناهج الإستشراقية كما تناولت فيه قصور الفهم في تفسير ألفاظ القرآن إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة المتعلقة بالموقف الاستشراقي من تفسير المسلمين للقران الكريم .

أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان (الاستشراق واتجاهات التفسير عند المذاهب الإسلامية-جولد زيهر- أنموذجا) والذي حاولنا فيه الرد على ما أثاره المستشرقون من شبهات وطعون في تناولهم لمدارس التفسير الإسلامي للقرآن الكريم وقد جعلت من جولد زيهر وكتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) مادة إنموذجا للبحث في هذا الفصل لأنه أكثر من تناول هذا الباب من البحث بتوسع وشمولية وقد عرضت طعنه بالتفسير المأثور ورجال التفسير بالمأثور ، وتأييده التفسير بالرأي ورجال التفسير بالرأي ، وما أثاره من الشبهات حول التفسير الشيعي للقرآن الكريم .

أما الفصل الثالث فقد خصصته للبحث في ((الاستشراق وترجمة معاني القرآن الكريم)) تعرضت فيه لنماذج كل من الترجمات الانكليزية والفرنسية وألقيت الضوء على تلك النماذج من الترجمات إظهاراً للخلل فيها وأثر هذه الترجمات في تفسير القران الكريم الذي تعرض لكثير من التشويه والأخطاء المخلة التي كانت من العوامل المهمة في وقوعهم في تصورات خاطئة عن الإسلام وعقيدته ونظمه ، وقد اخترت أهم الترجمات الانكليزية المشهورة وهي ترجمة جورج سيل لمعاني القران ، وبعض الترجمات الفرنسية الحديثة، كترجمة جاك بيرك لمعاني القران

لأهميتها ثم حاولت أن أقارنها مع بعض الترجمات للقرآن الكريم لاسيما الترجمات الإنكليزية التي لم تخل من الخلل.

وجاء الفصل الرابع تحت عنوان (نماذج تطبيقية في فهم معاني القران) والذي تتضمن موقف المستشرقين من القراءات القرآنية والتشكيك فيها، ودورها في تعدد التفسير، كما وتضمن أقوال المفسرين والمستشرقين في فواتح السور.

ثم ختمت الرسالة بعرض موجز لأهم ما توصلت إليه من نتائج على ضوء الدراسة والبحث بعد جهد عسير ، ثم ألحقت هذه النتائج ببعض التوصيات المهمة التي أتمنى أن ينظر الدارسون إليها بجدية واهتمام ، لان مثل هذه الموضوعات مازالت تحتاج إلى الكثير من البحث والتقصي ، وصولاً إلى الحقيقة التاريخية وخدمة للمبادئ الإنسانية التي جاء بها الدين الإسلامي القيم.

وبعد... فان هذا البحث المتواضع ما هو إلا محاولة لإلقاء الضوء لكشف الرأي الاستشراقي لتفسير القران الكريم بغية مناقشته ودحض ما فيه من افتراضات وأكاذيب وابطال وقد تحرّيت فيه الدقة والموضوعية لم يشغلني فيه تعب عن مواصلة ولا هوى عن حق ولا رغبة عن موضوعية ولا أبرئ هذا العمل من هنات أو نقص وقع فيه لكنني أضعه بين يدي أساتذتي الأجلاء راجياً اغناؤه بهدايا ملاحظاتهم القيمة التي تشد به وترفع ما فيه من خلل فجزاهم الله عني خيراً.

ولا يسعني في هذا المقام وبعد انجاز هذا العمل إلا أن أدعو الباري عز وجل أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وان ينفعني به يوم الدين يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ الباحث ﴾



ABSTRACT

This thesis is concerned with a very important problem among believers of Quran and unbelievers , wich has central place in Islamic doctrine , that is the phenomenon of Interpreteters.

The subject of this thesis is the intellectual dispute between two partaes , the first is Muslim scholars and commentators and the other is the Orientelists.

The thesis is bassed upon two objectives. The first is affirmation of Quranic interpreteters to prophet Muhammad (god bless him and grant him salvation)by previous studies and through reasonable and analytical argument. The second objective is to discuss and analyze orientalistic resources and referential in denying interpreteters ,These resources and referential .?

The method followed in this research is an anaiytic in studying the arguments and evidences of the two parties. The first one is to state the proofs and sayings of two parties honestly and without interference . the other one is to resort to authentic answer to orientalist abuses against Isalm and interpreteters through the scientific way.

The thesis has come up to conclusion summarizing the final academic results here are some of them :

1-Through study, the researcher has porved that this phenomenon is one of the most important secrets , wich could not be understood easily unless we compare it to recent human communication media .

2- It is mecssary to pay more intention upon Islamic ideas and to cling tenaciously to them against the intellectual globalization .

3- As interpreteters is a central idea in Islamic doctrine , so orientalist focused upon it and have devoted their efforts to destroy it .

4- Some of orientelists were not malevolent in their studies , but they were impotent in there understanding Islam, so they fell in huge mistakes

5- The interpreteters is not only phenomenon wich there no evidences to believe in , but arealistic one which has traces and signs that make one believe in , too .

All I want is to serve my religion in this very important subject in hope I will be it its service, and my last call is that praise be to god lord of all creation.

الفصل الأول المستشرقون و ظاهرة التفسير الإسلامي للقران الكريم

— تمهيد: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

- المبحث الأول :الموقف الاستشراقي من التفسير الإسلامي

- المبحث الثاني : معالم قصور الفهم الاستشراقي

- المبحث الثالث العوامل الرئيسية لأخطاء المستشرقين

تمهيد

ان العديد من بحوث المستشرقين قد اغفل إلى حد ما الجانب التفسيري وألفاظ التفسير قد بدا متضائلاً بالنسبة لغيره، من اجل ذلك ولكي تكون الصورة واضحة أمام المتابع أرى من الضروري إلقاء الضوء على تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح لكي يأتي البحث شاملاً محيطاً في الموضوع من كل جوانبه.

التفسير في اللغة والاصطلاح

١- التفسير في اللغة : قال الراغب الأصفهاني^(*): ((الفسر: إظهار المعنى المعقول ، والتفسير في المبالغة كالفسر. والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها. قال عز وجل: (وأحسن تفسيراً))^(١) و ((الفسر: البيان ، فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، فسرأً. وفسره: أبانه))^(٢). جاء في لسان العرب: ((الفسر: كشف المغطى. والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل. والتأويل: رد احد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر...))^(٣).

٢- التفسير في الاصطلاح: ولفظ التفسير كغيره من الألفاظ التي أصبح لها معنى خاص في اصطلاح العلماء. فهو (التفسير) اسم لعلم من أهم العلوم والمعارف الإسلامية، وأكثرها أثراً في حياة الأمة الفكرية والتشريعية والاجتماعية وغيرها من مجالات الحياة^(٤). ومن استقراء التعاريف التي أوردها العلماء في كتبهم وتحديدهم لشخصية وهوية هذا العلم وأهدافه، نجد التقارب بين معناه في الاصطلاح، ومعناه في اللغة .

(*)- ابو القاسم الحسين بن احمد ت (٥٩٥) ، المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد كيلاني ، ط١٩٦١ الاخيرة، مكتبة الرضوية طهران

(١) معجم مفردات الفاظ القرآن : مادة (فسر) .

(٢)- الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ت(٧٢١هـ) مختار الصحاح ، مادة (الفسر) . ، تحقيق محمد خاطر مكتبة لبنان، بيروت (١٩٩٥)

(٣-) (لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت٧١١هـ/١٣١١م)، دار صادر، ط٣، بيروت مادة (فسر).

(٤) مختار الصحاح ، مادة (الفسر)

. وقد عرفه العلماء بعبارات يختلف بعضها عن بعض أحياناً. كما عرفه البعض منهم بما عرف

به التأويل، فلم يفرق بينهما، بينما فرق فريق آخر من العلماء بين التفسير والتأويل تفريقاً حديداً، بل اعتبر بعضهم عدم التفريق بينهما جهلاً بالتفسير وعلوم القرآن. قال السيوطي ناقلاً عن الراغب تعريفه للتفسير: ((وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر ما يستعمل التأويل في المعاني والجمال، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها))^(١). وقال غيره: ((التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً...))^(٢). وقال أبو طالب^(*) التغلبي: ((التفسير بيان وضع اللفظ، إما حقيقة، أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثله قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} (١٤: سورة الفجر) تفسيره انه من الرصد، يقال: رصدته رقبته، والمرصاد (مفعول) منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الاهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه، على خلاف وضع اللفظ في اللغة))^(٣)

وقال الاصبهاني^(*) في تفسيره: ((اعلم أن التفسير في عرف العلماء : كشف معاني القرآن، وبيان المراد، اعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتأويل أكثره في الجمل. والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة، والوصيلة، أو في وجيز يتبين بشرح، نحو: أقيموا الصلوة وآتوا الزكاة، وإما لكلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها،

(١-) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن المتوفى(ت٩١١هـ)، الإتيان في علوم القرآن: ١٦٧/٤، طأ، دار القلم - قطر (٢) - م - ن : ١٦٧/٤.

(*) :ابو طالب محمد بن علي (ت٣٨٦هـ-٩٩٦م) علم القلوب ، تحقيق عبد القادر عطا ، مكتبة القاهرة ، مصر ط ١ ، ١٣٨٤هـ.

(٣) - م - ن : ١٦٧/٤ ١٦٨ .

(*) ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي ،ت(٣٥٦هـ) :

كقوله {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (٣٧: سورة التوبة) ، وقوله: { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا } (١٨٩) سورة البقرة (١).
وقال قوم: ((ما وقع مبينا في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً، لان معناه قد ظهر ووضح ، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي

ورد، لا يتعداه))^(٢)

وقال الزركشي: ((قال ابن فارس: معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء ترجع إلى ثلاثة: المعنى، والتفسير، والتأويل، وهي وان اختلفت فالمقاصد بها متقاربة. فإما المعنى: فهو القصد والمراد. وأما التفسير في اللغة: فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف... فالتفسير: كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به...))^(٣)
واختلفوا فقيل: ((التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، ورد أحد الاحتمالين إلى ما

يطابق الظاهر...))^(٤)

وقال الزركشي: ((واعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل))^(٥).
وقد عرفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي بقوله: ((التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل))^(٦) ، كما عرف التأويل بقوله: ((والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر))^(٧)

(١)- الإتقان في علوم القرآن : ١٦٨/٤ .

(٢)-(م - ن) ١٦٨ .

(٣)- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١٦٢/٢ ، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة (بيروت -مم) .. ١٦٣ .

(٤)- البرهان في علوم القرآن : ١٦٤/٢ .

(٥)-(م - ن) : ١٦٤ ١٦٥ .

(٦)- . الطبرسي: أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، (مجمع البيان في تفسير القرآن) المقدمة : ص ٨٠ دار إحياء التراث (بيروت-١٩٧٦) .

(٧)-م - ن .

وعرفه السيد أبو القاسم الخوئي بقوله: ((التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنه حجة من طريق العقل، أو من طريق الشرع للنهي عن إتباع الظن، وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه))^(١) إما الشهيد الصدر فقد عرف التفسير بقوله: ((تفسير الكلام أي كلام معناه: الكشف عن مدلوله، وبيان معناه الذي يشير إليه اللفظ))^(٢).

وبعد أن عرف الشهيد الصدر التفسير عرض اتجاهين لتعريف التفسير وتحديد

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه السائد عند الأصوليين الذي لخصه بقوله (قدس سره): (...وبتعبير آخر ان من اظهر معنى اللفظ يكون قد فسرّه، وإما حيث يكون المعنى ظاهراً ومتبادراً بطبيعته، فلا إظهار ولا تفسير. وسيراً مع هذا الاتجاه، لا يكون من التفسير إلا إظهار احد احتمالات اللفظ، واثبات انه هو المعنى المراد، أو إظهار المعنى الخفي غير المتبادر، واثبات انه هو المعنى المراد، بدلاً من المعنى الظاهر المتبادر. وإما ذكر المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ ، فلا يكون تفسيراً. وهذا الرأي يمثل الرأي السائد عند الأصوليين)^(٣).

أما الاتجاه الثاني فهو الرأي الذي تبناه بقوله: ((ولكن الصحيح: هو أن ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيراً أيضاً، وإظهاراً لأمر خفي، كما انه في بعض الحالات الأخرى لا يكون تفسيراً، لأنه يفقد عنصر الخفاء والغموض، فلا يكون إظهاراً لأمر خفي أو إزالة لغموض))^(٤) وعند دراسة وتحليل الرأيين اللذين عرضهما الشهيد الصدر نجدهما متفقان في مفهوم التفسير ، ومختلفين في تحديد مصاديقه، فالتفسير عندهما هو كشف الغموض، وإزالة الخفاء عن المعنى المراد للمتكلم.

(١)- السيد الخوئي (أبو القاسم الموسوي) (ت١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، البيان في تفسير القرآن : ص٤٢١ ، دار التوحيد للنشر والتوزيع- الكويت، ط٤ ، ١٣٩٩/٠١٩٧٣م . ط٤ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢)- نقلا عن علوم القرآن ، السيد محمد باقر الحكيم : ص٦٦، المركز العالمي للعلوم أقرانيه، (قم-١٩٩٥) .

(٣)- م - ن : ص٦٦-٦٧ .

(٤)- م - ن : ص٦٧ .

وبعد هذا العرض لمفهوم التفسير، وتعريفه في اللغة والاصطلاح يتضح لنا معنى التفسير وأهميته في الفكر الإسلامي، فهو عبارة عن بيان المحتوى القرآني الذي يحتاج إلى بيان، وكشف المراد منه، سواء أكان ذلك بيان معنى لمفردة لفظية أو جملة.

وبيان المحتوى القرآني (ومراد الله تعالى من كتابه). مسألة من أهم المسائل، وأكثرها أثراً في حياة الأمة الإسلامية. تحدث الوحي عن مسألة البيان القرآني بقوله: { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } (١٧) سورة القيامة وبقوله: { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٤٤: سورة النحل) وهكذا يوضح القرآن أن بيان ما كان غامضاً من القرآن، لا يتضح إلا ببيان الرسول (ﷺ) وهو من مهامه (ﷺ)، وإن الله سبحانه قد بينه له، وكشف غوامضه.

قال الشيخ الطوسي في تفسيره لقوله تعالى: (ثم أن علينا بيانه): ((والبيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره بان الشيء يبين إذا ظهر، وأبانه غيره، أي أظهره بياناً وأبانه. ونقيض البيان الاخفاء والإغماض. وقال قتادة: ثم أن علينا بيانه، معناه: إنا نبين لك معناه إذا حفظته))^(١) وفسر العلامة الطباطبائي هذه الآية بقوله: ((أي علينا إيضاحه عليك بعد ما كان علينا جمعه وقرآنه، فثم للتأخير الرتبي، لأن البيان مترتب على الجمع والقراءة رتبة. وقيل: المعنى: ثم إن علينا بيانه للناس بلسانك تحفظه في ذهنك عن التغيير والزوال حتى تقرأه على الناس))^(٢)

(١)- الطوسي، أبو جعفر بن حسن بن علي (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م). التبيان في تفسير القرآن: ١٠ / ١٩٦ / ١٩٧ دار إحياء التراث العربي بيروت / ط ٢.

(٢)- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ١١٠، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، (بيروت - لبنان).

توطئة :

شهدت حركة الاستشراق منذ نهاية القرن التاسع عشر اهتماماً متزايداً بدراسة القرآن الكريم، وقد تزامن هذا الاهتمام مع ظهور مدرسة نقد الكتب المقدسة في الفكر الغربي الحديث، التي كان من رموزها المستشرقان اسبينوزا(*).. ورينان (**)، وقد كانت هذه المدرسة وما زالت تنظر إلى الكتب المقدسة بوصفها نتاجاً بشرياً له علاقة بالبيئة الثقافية والحضارية التي جاءت فيها هذه النصوص، لذلك عكفت على دراستها في ضوء الوثائق التاريخية، وأخضعتها للنقد التاريخي من حيث الشكل والمضمون . وكان من آثار ظهور هذه المدرسة في الفكر الغربي أن بدأ المستشرقون بدراسة القرآن الكريم وفق هذا المنظور الوضعي، وهكذا ظهر الجيل الأول والثاني من المستشرقين الذين تبنوا هذا الاتجاه، من أمثال نولدكه(***)، بلاشير(****)، فليشر(*****)، جيفري(*****)، أربري(*****)، وجولد زيهر(*****) صاحب

(*) اسبينوزا: باروك(١٦٣٢-١٦٧٧)، رسالة في اللاهوت والسياسة، تحقيق حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ١٩٧٠م.

(**) المستشرق رينان : مستشرق فرنسي هتم بالفلسفة العربية وزعم إنها بالأصل فلسفه يونانية مكتوبة بأحرف عربية (***) ثيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٦) كاتب ألماني ولد في الثاني من مارس (١٨٣٦) بمدينة هاربوج ، من مؤلفاته كتاب تاريخ القرآن الذي يعتبر الأساس لكل المستشرقين من بعده ويلقب نولدكه بـ (شيخ المستشرقين) ، ص: ٤١٧، ينظر البدوي موسوعة ، ص ٤١٧.

(****) بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٢م) مستشرق فرنسي معروف حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٦، وترجم القرآن إلى الفرنسية مع مقدمة طويلة وقد رتب القرآن في هذه الترجمة وفقاً لما ظنه انه ترتيب السور والآيات؛ لكنه عاد عنها في عام ١٩٧٨ ومن آثاره أيضاً كتاب معضلة محمد وكتاب القرآن المكون من سبعة فصول : د. عبد الحميد صالح حمدان ، ينظر طبقات المستشرقين ص ١٠١-١٠٢ ، مكتبة مدبولي ١، القاهرة

(*****) المستشرق فليشر(١٨٠٧-١٨٨٨م) مستشرق ألماني ، تعلم في توترن ثم في ليبزج وبها استكمل دراسته في اللغات الشرقية من آثاره: تاريخ أبي الفداء، مع ترجمه المانية ، فهرست المخطوطات الشرقية المحفوظة في مكتبة درس، تفسير البيضاوي ، المفصل للزمخشري ، مرصد الاطلاع لابن عبد الحق ، وله تأليف كثيرة عن العرب والإسلام باللغة الألمانية، ينظر حمدان: طبقات المستشرقين :ص ٦١.

(*****) المستشرق آرثر جفري: مستشرق استرالي ، عين أستاذ في أجامعه الأمريكية في القاهرة ثم في جامعة كولومبيا: آثاره كتاب القرآن ، الاختيار في الإسلام، الجدال الإسلامي المسيحي ، تاريخ محمد ، نصارى مكة ينظر: د. يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين ص ٢٧٢

(*****) أربري مستشرق انكليزي ولد في ١٢ مايو ١٩٠٥ - ١٩٦٩ م برز في التصوف الإسلامي والأدب الفارسي حقق مؤلفات كثيرة منها خمسون قصيده لحافظ الشيرازي وصفحات من كتاب التمع ، ينظر البدوي :موسوعة المستشرقين ص ٥

(*****) أجناس جولد زيهر(١٨٥٠-١٩٢١) كاتب (مجري يهودي) متعصب ، غزير في الإنتاج ، له مؤلفات أشهرها (العقيدة والشريعة في الإسلام) و (مذاهب التفسير الإسلامي) ، وقد ترجمه ثلاث من علماء الأزهر عام ١٩٤٦ ، وقد عمل مدرسا في جامعة يودا بست مدة طويلة، بدوي ، موسوعة ، ص ١١٩

كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) ^(١) الذي وسَّع من دائرة اهتمامه بالدراسات القرآنية لتصل إلى دراسة تاريخ مستهل القرن العشرين .

يمكن لنا أن نقول: إن هذا الكتاب لم يستقص بيان مذاهب التفسير كلها، التشريعية الفقهية كما في تفسير الشيخ الطوسي، وتفسير القرطبي وكتب أحكام القرآن ؛ واللغوية النحوية كما في كتب الزجاج والفراء، ومن هنا نحوهم ولم أجد فيه أي إشارة إلى لفظة تفسير لا لغة ولا اصطلاحاً، ولم أجد من المستشرقين من يشير إلى هذا المعنى. لم أجد مثل هذا النفس عنده أو عند غيره من المستشرقين أمثال ثيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن). وجورج سيل في كتابه (ترجمة معاني القرآن) وجوزيف شاخنت في كتابه (مدخل إلى الفقه الإسلامي) .

(١): جولد زيهر : مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار: بيروت لبنان، ١٩٨٥

المبحث الأول

الموقف الاستشراقي من التفسير الإسلامي

المطلب الأول: : دعوى معارضة المسلمين للتفسير:

ذهب إلى هذه الدعوى المستشرق "جولد زيهر"، وزعم : أن الاشتغال بالتفسير في عصر الصحابة وأول عصر التابعين كان مصحوباً بالمقاومة له^(١) حيث قال : ((...والى جانب هذا الاستقراء توجد لدينا بعض الشواهد التاريخية ذات الدلالة البينة على طبيعة المرحلة والتزام الصحابة لحدودها في محاولات تفسيرية. فقد روي أن رجلاً يقال له : (صُبَيْغ) قدم المدينة في زمن عمر بن الخطاب فجعل يسأل، عن متشابه القرآن. فأرسل إليه الخليفة وضربه بعراجين النخل حتى ترك ظهره دَبْرَةً. ثم تركه حتى برئ ثم عاد، وبعد أن كرر ذلك للمرة الثالثة دَعَا به ليعود، فقال صُبَيْغ ضارِعاً ! إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، أو ردّني إلى ارضي بالبصرة، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين)).^(٢)

وهذه الرواية تدلنا على مدى خوف الصحابة للدخول في متشابه القرآن الكريم وتفسيره، لأن البحث في المتشابهات يتصف بالطابع العقلي دون اللغوي فالصحابة، يفرعون ويمتنعون عن التفسير للقرآن بالرأي المجرد والهوى ، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٧) سورة آل عمران. وفي تفسير السيد الخوئي (البيان في تفسير القرآن) في باب التفسير بالرأي يقول: ((إن الأخذ بظاهر اللفظ من التفسير بالرأي ، وقد نهى عنه في روايات متواترة بين الفريقين))^(٣)

(١) م - ن : ص : ٧٣ - ٧٤ ..

(٢) انظر جولد زيهر : ص : ٧٣

(٣) السيد الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ص ٢٦٩

وقد نقل عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: ((إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ، ولم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم ، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم))^(١) تفسير القرآن المبني على علم ودلائل فقد قال به آل البيت (عليهم السلام) وكبار الصحابة ، ولم يمتنعوا منه ، والدليل على هذا أن النبي (ﷺ) دعا لعبد الله بن عباس بهذا الخصوص فقال (ﷺ): ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)).^(٢) وعلى هذا الأساس يمكن أن نشكك في كل محاولة تفسيرية تنسب إلى الصحابة ولا تعيش حدود المشكلة وجوانبها ولا تتسم بسماتها وطابعها. فمن المعقول أن يداخلنا الشك في صحة ما ينسب إلى ابن عباس في تفسيره لسورة الفتح حين يحاول أن يحمل السورة معنى فوق طاقتها اللغوية ويجعل من الفتح فيها رمزاً وعلامة لمجيء أجل الرسول (ﷺ) كما جاء في البخاري^(٣).

وهذا الشك لم يغيب عن فكر المستشرقين ، يقول "جولد زيهر": ((في كل مشكلات التفسير ، يبدو ابن عباس كأنه منبئ بأخبار الغيب وأحياناً كأنه مظهر الهي))^(٤) ويشير إلى

تفسير ابن عباس لقوله تعالى: {أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } (سورة البقرة . فيقول: ((لم يستطيع احد أن يعطي جواباً مقنعاً عندما سأل عن تفسيرها عمر ابن الخطاب ولكن ابن عباس فسرّها بقوله: هذا مثل ضربه الله تعالى فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير ،

(١) المصدر السابق نفسه

(٢) د. الذهبي: محمد حسين ، التفسير والمفسرون ج ١ ص ٤٨ ط ٢ ، ١٩٨٥ القاهرة

(٣) اخرج البخاري: أبو عبد الله بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه. فقال لم يدخل هذا معنا وان لنا أبناء مثله ؟ ! فقال عمر انه ممن علمتهم. فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم. فما رأيت انه دعاني فيهم يوماً إلا ليريههم. فقال : ما تقولون في قوله تعالى : إذا جاء نصر الله والله والفتح ؟ . فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي كذلك تقول بابن عباس ؟ . فقلت لا. فقال ما تقول ؟ . قل هو أجل رسول الله (ص) ، صحيح البخاري ، مراجعة: د. مصطفى ديب البغا ، ط ١٩٨٧ ، دار ابن كثير - بيروت

(٤) جولد زيهر: ص ٩٣

حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختم بخير ، حين فنى عمره ، واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من أعمال أهل الشقاء فأفسده كله. على هذا النحو كانت الرغبة في تقديم ابن عباس إذا أريد تفسير جدير أن يوثق به لكلمة أو جملة من القرآن مشكوك في معناها أو كثيرة الاحتمالات)).^(١)

يرى الباحث انه من الواضح أن أصحابه كانوا يعرضون عن ذلك التفسير كارهين، فإن موضوع هذا الرفض الشديد، هو إن القرآن الكريم لا يجوز تفسيره بالرأي. أي بالتفكير الذاتي، ولا بالهوى ، اى بالميل الاختياري؛ وإنما الطريقة الصائبة الفذة في تفسير الكتاب الحكيم هي الرجوع إلى من يجدون عندهم التفسير وهم آل البيت (عليهم السلام)، ، وقال رسول الله ﷺ ((من قال بالقران بالرأي فأصاب فقد اخطأ)).^(٢)

(١) م - ن .

١- (٢) صحيح الترمذي، ج ٢ ص ١٥٧، الترمذي، محمد ابن عيسى السلمي (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م). تحقيق احمد محمد شاکر وآخرون ، دار احیاء التراث العربی ، (بیروت-لا.

المطلب الثاني: الدعوة إلى منهجية حديثة في التفسير:

ومن دعاوى ودعوات المستشرقين: إعادة تفسير القرآن الكريم اعتماداً على ما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية المعاصرة في الغرب، والاستفادة من مناهج تلك العلوم في إعادة تفسير القرآن الكريم، وخاصة مناهج الأنثروبولوجيا(*) ومنهجية علم اجتماع المعرفة .

ولعل أبرز مؤلفات الجيل الاستشراقي الثالث في ميدان دراسة حركة واتجاهات التفسير في العصر الحديث، هي مؤلفات الباحث الفرنسي "جومييه" الذي قدّم دراستين، واحدة عن تفسير المنار للشيخين محمد عبده، ورشيد رضا عام ١٩٥٤م، والأخرى عن الشيخ جوهري طنطاوي وتفسيره الجواهر عام ١٩٥٧م.^(١) ثم جاء بعده المستشرق الهولندي "بالجون" صاحب كتاب (التفسير القرآنية الحديثة ١٨٨٠ - ١٩٦٠) الذي صبَّ معظم اهتمامه فيه على دراسة التفسيرات القرآنية التي ظهرت باللغة الأوردية في الهند وباكستان، والتفسيرات التي ظهرت في مصر في تلك الفترة^(٢) . ثم جاء بعده الباحث جانسن صاحب كتاب: (التفسيرات القرآنية في مصر في العصر الحديث ^(٣)) الذي سيكون محور حديثنا في هذا المطلب نتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل الموجزين معظم جهود مفسري القرآن الكريم، والباحثين في ميدان الدراسات القرآنية في مصر منذ بداية القرن العشرين إلى عام ١٩٧٠م، أو - بلغة المؤلف - من الشيخ محمد عبده إلى الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء أول مفسرة أو باحثة في الدراسات القرآنية في العصر الحديث. صنّف المؤلف المادة العلمية التي قام بدراستها إلى ثلاثة اتجاهات: الاتجاه العلمي في التفسير، والاتجاه البياني والأدبي في التفسير، وأخيراً الاتجاه الاجتماعي العملي في التفسير.

(*) والأنثروبولوجيا موضوع بحثها: أساطير الجماعات البشرية باعتبار أن الإنسان (البشري) - كما يسمونه - اعتنق ديانات بدائية أقرب إلى السحر والأساطير، وتلك هي أولى الصور الدينية التي عرفها الإنسان. ، او لاين موقع على الانترنت

(١) نشر جاك جومييه كتابيه تحت العنوانين التاليين : Le commentaire Coranique du Manar J. Jomier: et son commentaire du Coran Le Cheikh Tantawi Jawhari (1862 – 1940)

(٢) نشر بالجون كتابه باللغة الإنكليزية عام ١٩٦٨ تحت عنوان:

(J. M. S. Baljon: Modern Muslim Koran INTERPRETATION (1880- 1960

EGTPT. J. J. G. JANSEN: THE INTERPRETATION OF THE KORAN IN MODERN)^(٣)

PHOTOMECHANICAL REPRINT, LEIDEN, E.J. BRILL, 1980^(٣) . مستشرق هولندي يعمل باحثاً في المعهد الهولندي للأثار والدراسات العربية في القاهرة.

قسّم المؤلف كتابه إلى مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة. تناول في المقدمة الأسباب التي دفعته للكتابة في هذا الموضوع، وحصرها بشكل رئيسي بضرورة تعريف القارئ الغربي بجهود العلماء المسلمين في ميدان تفسير القرآن الكريم، وذلك بسبب جهل هذا الجمهور بهذا الميدان بشكل عام، وصعوبة تعاملهم معه، وحاجتهم في الوقت نفسه إلى هذه المعرفة لأنها تشكل مدخلاً ضرورياً لفهم الإسلام، والفكر الإسلامي. وقد أشار المؤلف إلى كثرة المؤلفات في مجال التفسير، فإن هدف المؤلف من كتابه هو الاستجابة لحاجات وفضول القراء الغربيين في الإطلاع على جهود المسلمين المعاصرين في ميدان علم التفسير.

خصّص المؤلف الفصل الأول لذكر مقدمة عامة عن القرآن الكريم، وتاريخ تفسيره بشكل عام. وقد أشار المؤلف في صدر كلامه إلى أن المسلمين يعتقدون أن القرآن الكريم بكامل حروفه ومعانيه وحي مباشر من الله تعالى عن طريق الملك جبريل، وهو إزاء هذه النقطة الجوهرية لم يوضح لنا موقفه بشكل صريح من هذه الحقيقة التي يعتقدونها المسلمون جميعاً، وأغلب الظن عندي أن المؤلف لا يقبل هذه الحقيقة والله اعلم، مثله مثل أغلب المستشرقين من قبله، ويتضح لنا موقفه هذا من خلال استخدامه عبارات التضعيف والشك عندما أشار إلى هذه الحقيقة^(١). ثم قام المؤلف بعرض موجز وسريع لمعنى تفسير القرآن الكريم، والمراحل والاتجاهات الكبرى التي عرفها تفسيره عبر التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً. وقد وصل في نهاية تحليله المقتضب هذا إلى النتيجة التالية:

إنّ معظم التفاسير التي ظهرت في العصر الحديث هي تفاسير تقليدية، وقد استدل على هذه النتيجة التي وصل إليها بالمحتوى التراثي لكل هذه التفاسير المعاصرة، حيث اكتفت هذه التفاسير بتغيير عناوينها فقط، في حين حافظت بشكل كامل تقريباً على الإرث التفسيري السابق، وبشكل خاص تفسيري الزمخشري والجلالين _ مع شيء من التحديث والتبسيط،

(١) انظر: م - ن : ، ص ١ .

دون أية إضافة تجديدية معتبرة، ولم يستثن من هذا الحكم - غير المنصف^(١) - سوى جهود محمد عبده، وأمين الخولي دون أن يذكر لنا وجوه إضافة هذين الرجلين، أو جوانب تجديدهما في ميدان تفسير القرآن الكريم^(٢).

ثم انتقل في الفصل الثاني إلى الحديث عن جهود الشيخ محمد عبده في التفسير، باعتباره - في نظر المؤلف - الشخصية العلمية الأكثر تجديدًا، وتأثيراً في مجمل حركة التفسير في مصر في العصر الحديث. وفي الحقيقة، فإن المؤلف في كلامه عن جهود عبده لم يزد على عرض وتلخيص أفكار عبده، المعروفة سابقاً، في مسائل علم التفسير الرئيسة مثل، موقفه من الهدف من التفسير، اللغة، التفسير العلمي، الإسرائيليات، قضايا العقيدة، التصوف، قضايا المجتمع والعصر... دون أن يتطرق إلى دراسة ومعالجة هذه المواقف بطريقة تحليلية ونقدية، تبرر لنا سبب اعتبار المؤلف عبده أهم مفسرٍ ظهر في مصر في العصر الحديث، بل اكتفى بالسرد، وترديد أفكار محمد عبده بأسلوب عام ومجمل. فجاء فصله هذا فصلاً بسيطاً باهتاً من جهة، ودعائياً من جهة أخرى. وبهذه الطريقة فقد هذا الفصل معظم قيمته العلمية^(٣).

تحدث المؤلف في فصله الثالث عن الاتجاه العلمي في التفسير، حيث قام أولاً بتحرير معنى التفسير العلمي، وبيان الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف التي تشكّل الأساس الديني لمشروعية هذا النوع من التفسير في نظر أصحابه، والقائلين به. ثم أشار إلى أن المسلمين قد عرفوا هذا النوع من التفسير والمقاربة للقرآن الكريم، قبل الاحتكاك بالغرب، والاصطدام بقوته العسكرية، وتقدمه العلمي في القرن التاسع عشر. ثم أشار المؤلف إلى اعتماد أصحاب التفسير العلمي على كتاب جواهر القرآن للإمام الغزالي في اكتساب المشروعية الدينية والعلمية لعملهم، حيث ذهب الغزالي في كتابه هذا إلى أنه لا يتمكن من معرفة معاني القرآن الكريم إلا أولئك الذين درسوا العلوم الكونية المستخرجة أصلاً من

(١) أي الإشارة إلى جهود الشيخ طنطاوي جوهري التجديدية في كتابه " الجواهر في تفسير القرآن الكريم " على سبيل المثال؟
(٢) انظر، المرجع السابق: ص، ١٧.

(٣) انظر، المرجع السابق: ص، ١٨ - ٣٤

القرآن الكريم، كما أن الإنسان لا يمكن أن يعرف معاني القرآن دون معرفة اللغة العربية، فإنه كذلك لا يستطيع أن يعرف مثلاً معنى قوله تعالى (وإذا مرضت فهو يشفين) دون معرفة علوم الطب. وقد شبه الغزالي القرآن الكريم بنهر كبير تتفرع منه روافد كثيرة، وما هذه الروافد إلا فروع المعرفة المتنوعة. وبهذه الطريقة فقد جعل الغزالي دراسة العلوم الكونية شرطاً ضرورياً لدراسة وتفسير القرآن الكريم نفسه^(١)

ثم ختم فصله هذا بالإشارة إلى أفكار وآراء معارضي هذا النوع من التفسير قديماً وحديثاً من أمثال البيضاوي، والشاطبي، ورشيد رضا، وأمين الخولي، محمد وحسين الذهبي، عبد الوهاب حمودة..، وأخيراً فقد ذهب المؤلف إلى القول ((وعلى الرغم من كل الانتقادات العلمية الموجهة لهذه المدرسة، فأنا ابدى إعجابي بشجاعة أصحاب هذه المدرسة قديماً وحديثاً، الذين بذلوا جهوداً مضنية ونبيلة في التقريب بين القرآن، العمود الفقري للإسلام، وبين العلوم الحديثة))^(٢).

عالج المؤلف في الفصل الرابع الاتجاه اللغوي والأدبي في التفسير، وقد بدأ فصله هذا باستعراض جهود العلماء السابقين في مجال التفسير اللغوي للقرآن الكريم، حيث بدأ بعرض جهود ابن عباس باعتبارها الحجر الأساس لمدرسة التفسير اللغوي في القديم والحديث على السواء، ثم انتقل إلى عرض جهود غيره من العلماء القدامى الذين أثروا حركة التفسير اللغوي للقرآن الكريم عبر التاريخ من أمثال: أبو عبيدة معمر بن المثنى، والزمخشري الذي يُعد بمثابة الركن المتين، الذي اعتمد على جهوده اللغوية والأدبية كل من جاء بعده من المهتمين بالدراسة اللغوية والأدبية للقرآن الكريم، وبشكل خاص العلماء المعاصرين، ثم انتقل المؤلف ليحدثنا بإسهاب عن مدى اهتمام المعاصرين من جميع الاتجاهات التفسيرية بدراسة

(١) انظر، م - ن ، ص ٤٤ - ٤٦

(٢) م - ن

البعد اللغوي للقرآن الكريم، ثم قام بتحليل بسيط وعام لجهود أمين الخولي، ومحمد أحمد خلف الله، وعائشة عبد الرحمن في هذا المجال، ووصل في نهاية فصله إلى القول أن معظم جهود المعاصرين في ميدان التفسير اللغوي، ما عدا الجهود المتواضعة للثلاثة الذين سبق ذكرهم، لم تكن أكثر من استنساخ لآراء وأقوال الزمخشري، وهذا الاستنساخ قد أعاق في نظره إمكانية ظهور تفاسير لغوية تحمل طابع الجدة والإبداع، وتسعى بروح مستقلة لدراسة الإشكالات اللغوية التي يثيرها القرآن الكريم، دون أن يذكر لنا نماذج من هذه الإشكالات.^(١)

ثم انتقل المؤلف في فصله الخامس والأخير إلى عرض أفكار وكتابات وأعلام مدرسة الاتجاه الواقعي والعملي في التفسير، وبدأ حديثه بالإشارة إلى أن رشيد رضا هو أول، وأهم من أقحم المشاغل العملية والواقعية في تفسير القرآن الكريم في عصره، ثم تبعه بعد ذلك عدد من المفسرين والعلماء في سلوك هذا المسلك في التفسير، من أهمهم: محمد مصطفى المراغي، وأمين الخولي، ومحمود شلتوت، وحسن البنا، وسيد قطب...،

وختم فصله هذا بحكم تهكمي - غير مسوَّغ علمياً - مفاده أن مفسري القرآن الكريم في ذلك الوقت كانوا يميلون مع اتجاهاتهم الإيديولوجية أنى مالت هذه الاتجاهات، وقد صبغت هذه الاتجاهات القرآن الكريم وفسرته وفق هذه الاتجاهات، حيث وجدنا هناك من يفسر القرآن تفسيراً رأسمالياً، وهناك من يفسره تفسيراً يؤيد الحكم المطلق، وهناك من يفسره تفسيراً يؤيد الحكم البرلماني الديمقراطي^(٢) !

الخلاصة: يمكن لنا أن نقول: إن هذا الكتاب الذي استطاع أن يفرض نفسه على المكتبة الاستشرافية، أصبح الآن مرجعاً أساسياً لا غنى عنه لأي باحث غربي في ميدان حركة التفسير ومدارسها في العصر الحديث، قد حافظ على النظرة الاستشرافية التقليدية لمجمل حركة التفسير في العصر الحديث.

(١) انظر: م - ن ، ص ٥٥ - ٧٦ .

(٢) انظر: م - ن ، ص ٧٧ .

المطلب الثالث: اللاموضوعية في البحث العلمي

إن أهم شرط المنهج ، وأساسه هو، التجرد من الأهواء، وعدم الوقوع تحت سلطانها، فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه، ونفي ما عداه، فما بالك بمن يحدد الغرض أولاً، والنتيجة مسبقاً، ثم يبدأ في البحث عما يؤيدها، والتتقيب عما يثبتها، فهذا ليس علماً، وليس بحثاً، مهما كانت صورته، ومهما كان شكله، وهذا هو ما نلاحظ إن العديد من المستشرقون ساروا عليه.

وبعض المستشرقين يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدّماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هنا يكون دأبه، واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضنا، وهو في الواقع يدأب، ويشقى ويكد، لينحّي ما يهدم فكرته ويكذب رأيه، ويخفي ويطمس ويتجاهل كلّ ما يسوقه إلى نتيجة غير التي حددها سلفاً، ومن هنا تأتي أبحاثهم عليها مسحة العناء والاستقصاء، ولكنه عناء الالتواء، واستقصاء من يجمع من لا شيء شيئاً، ويصنع من الهباء بناء، ويبنى من الغبار صرحاً. هذا الداء الكبير، والخطر الوبيل، حذر منه علماؤنا الأقدمون منذ أكثر من ألف عام، حين وضعوا قواعد المنهج، وحددوا أركانه وشروطه فتردد في كتبهم ونبهوا عليه في كثير من مؤلفاتهم، وخصوا من القواعد بكتب ورسائل خاصة، فمن قبل ألف عام قرأت الدنيا للحسن بن الهيثم (*) المتوفى سنة (٤٣٠ هـ - ١٠٣٨ م). فيما وضعه من قواعد المنهج قوله في كتابه (المناظر)^(١): ((... ونجعل غرضنا في جمع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل، لا اتّباع الهوى، ونتحرى، في سائر ما نميزه وننتقده، طلب الحق، لا الميل مع الآراء، فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يتلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة، التي يزول معها الخلاف، وينحسم بها مواد الشبهات)).

(*)الحسن ابن الهيثم: ولد ابن الهيثم في مدينة البصرة في العراق سنة ٣٥٤هـ-٩٦٥ ميلادية، في عصر كان يشهد ازدهارا في مختلف العلوم من رياضيات وفلك وطب وغيرها، هناك أنكب على دراسة الهندسة والبصريات وقراءة كتب من سبقوه من علماء اليونان و العالم الأندلسي الزهراوي وغيرهم في هذا المجال، كتب عدة رسائل وكتب في تلك العلوم وساهم على وضع القواعد الرئيسية لها، وأكمل ما كان قد بدئه العالم الكبير الزهراوي.(مقدمة كتاب المناظر).

(١):المقالة الأولى ص ٣١

يشير الدكتور عرفان عبد الحميد على منهج ابن الهيثم فيقول: ((هكذا، استعمال العدل، والبعد عن الهوى، وطلب الحق، وعدم الميل مع الآراء شرط للوصول إلى اليقين والحقيقة!! فهل كان المستشرقون ييغون اليقين ويريدون الحقيقة؟))^(١)

عمد الباحث لان يشخص من خلال التقويم لمناهج المستشرقين وأبحاثهم بشكل عام ، المآخذ والمناقد التي شكلت باستفاضة تقليدا منهجيا وإطارا فكريا أوليا، فتعامل متأخر وهم مع هذا الحصيل المتراكم حقائق مسلمة وأخذوها فتوى شرعية اكتسبت درجة القطع من غير تأمل فيها أو نظر. فقد كثير من المستشرقين القدرة على الربط والعلمية واتسمت بحوثهم بالتناقض والاضطراب مما يلبسها لبوس اللاموضوعية ومن خير الأمثلة على ما سبق المستشرق "كزيميرسكي" (*) الذي ((يدعي أن محمد رسول العرب وحدهم))^(٢)

وان كنت لا أعجب حقا كيف توصل إلى هذا الإيمان الجزء بمحمد (ﷺ) فكيف يفهم – هذا- من كلام من اقر بصدقه و من قال فيه تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١٠٧ سورة الأنبياء) ،وكيف أسس هذه القناعة المجزوءة لمن قال فيه تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٢٨: سورة سبأ) أو ليس قوله تبارك وتعالى

اشارة واضحة من أن محمد (ﷺ) رسول من الله إلى الناس كافة ، ولا ندري كيف يمكن أن يتسلل بفكره مثل هذا الاستنتاج الخاطئ لو كان القران من صنع محمد (ﷺ) كيف يمكن ربطه بما اقره من أن محمد رسول العرب المكلف عبر الوحي^(٣) ؟ ، انه تيه وتخبط ممزوج بحقد مفرط ومن التقابلات غير المنطقية واللاموضوعية للتشكيك بجدية الموقف العقيدي لرسول الله (ﷺ) .

(١) : ينظر: المستشرقون والإسلام، ص٦، ط٣، ١٩٨٣، المكتب الإسلامي- بيروت
(*) كسمرسكي امير (١٧٨٠-١٨٦٥م) مستشرق بولوني استوطن فرنسا ونشر فيها معجمه الكبير بالغتين العربية والفرنسية في رابع مجلدات ويعرف بقاموس اسمه كسمرسكي وترجم إلى الفرنسية معاني القرآن: نذير حمدان طبقات المستشرقين ص٦٩.
(٢): : الجبري ، عبد المتقال محمد : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص ٥٨، ط١ ١٩٨٨ .
(٣) ظ : المصدر السابق نفسه.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد حسين الصغير: (... والقران الكريم ذو طابع إنساني عام ، وهو وان كان عربي العبارة إلا انه عالمي الرسالة ولا بد للإنسانية أن تتفاعل معه ، وللعالم أن يتداعى إليه ، ولا سبيل إلى ذلك ، إلا بنشر معالم هذا الكتاب))^(١)

ومن المآخذ على منهج المستشرقين ما ذهب إليه د. عماد الدين خليل في تحليله لمنهج "مونتجمري وات" ، قائلا: ((هو محاولة "وات" أن يقرن اعتراف محمد ﷺ بالأصنام باعتراف اليهودية والمسيحية بوجود الملائكة))^(٢). يقول د. عماد الدين : ((أي علاقة تربط بين الأصنام والملائكة وهل من مسوغ هنا أو في مناسب أخرى للاستعراض الفروق التي تميز بين الحجارة والملائكة وللنزيف الديني الذي تمثله الأولى وللحقيقة الغيبية المؤكدة التي تمثلها الثانية ؟))^(٣).

إنها مقابلة تفتقر الى الحدود الدنيا من المقارنة وتجعلها اقرب من السخرية والاستخفاف من أي تصنيف أو وصف آخر ، انه تشويش لمضمون جذور العقيدة الاسلاميه الصافية المنهل .

(١) المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١١٨

(١) خليل ، عماد الدين : المستشرقون والسيرة النبوية، ص ١٣، ١٢، وغيرها ط١ ، ١٩٨٩ ، دار الثقافة- الدوحة.
(٣) : المصدر السابق ص ٧٦ وما بعدها

المبحث الثاني

معالم قصور الفهم الإستشراقي

المطلب الأول : التشكيك في المفسرين ومرويات التفسير وترك التفاسير المعتمدة

دأب المستشرقون الطعن في المرويات الصحيحة المسندة في التفسير ، و حاولوا إسقاطها ، لفسح المجال لكل أحد من أهل البدع والضلال، من أجل التشكيك في القرآن نفسه فيما بعد ، من غير ما ضابط ولا مستند، وبأتباع منهج كثيرا ما يندرج تحت نطاق الأهداف بعيدة المدى في تحطيم الركائز التي تستند إليها الرسالة الإسلامية ودستورها القرآن الكريم . إن المستشرقين وقعوا في جملة أخطاء ، في طريقتهم لدراسة التفسير الإسلامي للقرآن الكريم حيث حكموا بإحكام جزافية ومن أهم تلك الأخطاء :

أولاً- التشكيك في المفسرين:

لقد أكثر المستشرقون من الطعن في عدالة بعض المفسرين الأوائل لاسيما من كان له باع طويل ومرويات كثيرة لها اثر مهم في التفسير وفي مقدمة هؤلاء عبد الله ابن عباس ^(١) ، وما ذلك إلا لأنه من أكثر الرواة صدقا للحديث عن (ﷺ) ، فبالطعن فيه وإسقاط عدالته يسقط معه كثير من تفسير القرآن وأحاديث السنة النبوية . فعبد الله بن عباس: ، هو من أكثر الصحابة تفسيرا للقرآن، وهو الذي دعا له النبي (ﷺ) بأن (يفقهه في الدين ويعلمه التأويل)^(٢) ، فعندما يطعن المستشرقون فيه، ويسقطون عدالته، فهم يقصدون إسقاط جزء مهم بذلك تفسير القرآن الكريم الصحيح والثابت عنه، وبذلك يفسحون المجال أمام تفاسير الفرق الأخرى من أصحاب البدع والضلالات، مما يؤدي في

(١) انظر، الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٢/٨١٠٦ ص ١٨- ٣٤ ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري ط ١ ، ١٩٨٥ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت .

(٢) : انظر شرح ابن حجر العسقلاني (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ١/٢٠٤-٢٠٥ ، دار المعرفة- بيروت، د.ت

نهاية المطاف إلى تشويه هذا الدين، والطعن فيه عن طريق تحريف المصادر التفسيرية المهمة. انظر معي إلى ما يقوله ذلك المستشرق "جولد زيهر": ((وكثيراً ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس: اليهوديين اللذين اعتقنا الإسلام: كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام))^(١).

لا يخفى ما في هذا الكلام من ظلم وتجن، وبعدٍ عن الحقيقة، ولمزٍ وحقدٍ دفين عند هؤلاء المستشرقين. وهل إن الفرد حينما يعتنق أو يؤمن بأمر على حساب أمر سابق هل يبقى موالي ومتحمساً لذلك الأمر الأول أم يسعى لتأكيد مصداقية وحقيقة الأمر الأخير الذي تبناه وامن به وأصبح من الدعاة لإتمامه؟. على هذا الأساس نحن نتعامل مع هؤلاء وغيرهم على أنهم مسلمون والأخذ منهم لا يؤثر على مجال الحقيقة التاريخية كونهم أصبحوا مسلمين وتركوا ما كانوا يعتنقون ، أما فيما يتعلق باخضاعهم لمعيار المصداقية كما نخضع باقي المسلمين فهو أمر آخر وأما مكانة ابن عباس فلا تخفى على احد وسوف نوثق سيرته الفكرية في الفصل القادم.

ثانياً-التشكيك في مرويات التفسير :يقول المستشرق كارديفو ((وعلم التفسير قديم، قد يرجع تأريخه إلى صدر الإسلام ، ويروى أن ابن عباس ت ٦٨ هـ ، كان حجة في التفسير، وقد نسبوا إليه تفسيراً، وتساءل النقاد المحدثون "جولد زيهر" و"لامانس" (*) وغيرهما عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيراً، والظاهر أن أغلب هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية، وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح، بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية))^(٢). ويقول المستشرق مرجيلوت (***) متابعاً لهذا المنحنى و مشككاً في صحة روايات الأحاديث في تفسير الطبري: ((ولجوء المفسر إلى هذا النوع من الخطاب الذي يعتمد على إسناد الحديث، يكشف لنا مختلف الإسقاطات التي وقعت في كتب التفسير، حيث

(١) انظر، م - ن ، ص، ٣٧-٣٨.

(*) :المستشرق لامنس : (١٨٢٦-١٩٣٧) مستشرق بلجيكي ، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، كتب عن السيرة النبوية والخلافة الأموية عمل في مجلة المشرق ومجله أخرى تدعى البشير، د. عبد الرحمن البدوي: موسوعة المستشرقين ص ٣٤٧ (***) : المستشرق : مار جليوت (١٨٥٨-١٩٤٠) أستاذ جامعة أكسفورد ، ترجم قسماً من تفسير البيضاوي إلى الانكليزية ونشر رسائل أبي العلاء المعري ألف كتاب (محمد ونشأة الإسلام) وفقاً عليه بكتاب الإسلام (Mmohammedansm) في (١٩١١) ، البدوي ، موسوعة ، ص ٣٧

(٢) : انظر :دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة تفسير: وينظر توبي ليستر (Toby Lester) في مقالته "What is the Koran", The Atlantic Monthly, January 1999, p.55

كانت الرغبة متجهة لتكريس مرويات بعض الصحابة الذين خصتهم كتب التراث بسيرة أسطورية مثل ابن عباس)).^(١) إن "أجناس جولد زيهر Ignaz Goldziher هو الذي حاول في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي التشكيك في صحة المصادر التاريخية الإسلامية قائلاً: ((بأن معظم الروايات إن لم يكن جميعها، برزت في حيز الوجود في القرن الثاني أو الثالث الهجري إثر نشوء خلافات سياسية وعقدية وقانونية بين المسلمين، فجاءت كل فرقة منهم بروايات مفتريات تؤيد آراءهم ومواقفهم الخاصة، فلا يمكن الاعتماد عليها)).^(٢)

هذا الكلام ليس على إطلاقه وقد أخطأ في نظريته هذه من عدة نواح، الرئيسة منها أنه تجاهل اهتمام المحدثين الشديد بنقد الحديث سنداً وممتناً.^(٣) وللرد على جولد زيهر لابد من الاطلاع على رؤى الرافضين والمؤيدين من المستشرقين ومنهم

١- المستشرق هوروفيتس J. Horovitz " (*) من الرافضين لها حيث قام بفحص نظرية "جولد زيهر" في الربع الأول من القرن العشرين، الذي كتب سلسلة من رسائل علمية معمقة أثبت فيها أن جمع الأحاديث وتدوينها بدأ بدقة في الربع الثاني من القرن الأول الهجري.^(٤) فلم تلق نظرية "جولدزيهر" قبولاً من قبل عامة المستشرقين أنفسهم.

٢- جوزيف شاخت (**) (Joseph Shacht Studies)، تأثر بأفكار "جولدزيهر" فضخمها في كتاب بعنوان "Origins of Mohammedan Jurisprudence": "أصول فلسفة التشريع الإسلامي". ذهب فيه إلى القول: ((إن الروايات الإسلامية لا صحة لها على الإطلاق،

(١): انظر : تفسير الطبري: محمد بن جرير : (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): سورة : عبس: الآيات: ١-٤، دار الفكر (بيروت-١٩٨٤).

(٢) انظر : Ignaz Goldziher, Mohammedarische Studien (first published 1890) vol: 2, tr. Into English by C.R. Borber and Snt. Sten under title: Muslim Studies, vol:2, London, P.170.

(٣) انظر: M.M. Al-Azami: Studies in Early Hadith Literature, Beirut, 1968، وينظر: محمد لقمان السلفي :اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً وممتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم ، الرياض، 1984 م، وينظر: محسن عبد الناظر: دراسات جولدزيهر في السنة ومكانتها العلمية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس، ١٩٨٤ م.

(*) هوروفيتس: (١٨٧٤-١٩٣١) مستشرق ألماني يهودي درس القرآن والسيرة النبوية الشريفة ومن أهم آثاره كتاب مباحث قرآنيه وكتب بحوث بعنوان: أسماء الإعلام اليهودية ومشتقاتها في القرآن .

(٤) انظر J. Horovitz: "The Earliest Biographies of the Prophet and Their Authors", translated from the German by Marmaduke Pickthall, Islamic

(**) : جوزيف شاخت (Joseph Shacht) (١٩٠٢-١٩٦٩) مستشرق ألماني متعصب ، متخصص بالفقه الإسلامي ومن أهم أعماله دراسة المخطوطات العربية ونشر عدة نصوص فقهيه وله كتاب مشهور (مدخل الى الفقه الإسلامي) ، ينظر: د: عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين :ص: ٢٥٢، ط١، ١٩٨٤، دار العلم للملايين.

وحتى الروايات التاريخية لا يمكن الاعتماد عليها إذ إنها وضعت لأغراض تشريعية، وأن الشريعة الإسلامية كانت خارج نطاق الدين الإسلامي وأن القرآن لم يكن مصدراً لها خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة^(١) وبالطبع أثار كتاب شاخنت انتقادات حادة لا من قبل العلماء المسلمين فحسب، بل من قبل علماء الغرب كذلك. فقال "ن. ج. N.J. Coulson" أستاذ آخر بجامعة لندن: ((إن فرضية شاخنت تؤدي إلى إيجاد فراغ تاريخي لا يمكن قبوله نظراً للواقع))^(٢) وقال: "مونتجمري وات (*) W.M. Watt" ((إن علماء الغرب يقبلون صحة عامة ما جاء في كتب السيرة ويكملونها بما يوجد من الإشارات في القرآن، وإن الأسلوب الأفضل هو اتخاذ الروايات والإشارات القرآنية ليُتمَّ بعضها بعضها))^(٣).

وبالرغم من هذه الانتقادات والرفض العام للأفكار المطروحة من قبل جولدزيهر وشاخنت فإن بعض أعضاء هيئة التدريس بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن تبناها في السبعينيات وتجاوزوا جميع الحدود في الغلو والمبالغة. ومن المسلمين الرافضين لنظرية جولدزيهر - الدكتور محمد الأعظمي الذي يقول: ((بمراجعة النصوص التي اعتمد عليها زيهر في بحثه ليرسم أوضاع المسلمين في القرن الأول من الناحية الدينية والتعليمية يتبين تماماً إن استنتاجاته لا تستند ولا تركز على أساس علمي بل هي مبنية على الهوى ... وعلى معلومات قاصرة عن النشاط الثقافي والديني في القرن الأول))^(٤).

(1) Published at Oxford, pp.64-65 . 1950

(٢) انظر N.J. Coulson: A History of Islamic Law, London, 1946, pp.64-65 :
(*) مونتجمري وات: (W.M. Watt) : مستشرق بريطاني ، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبره ، من آثاره: (محمد في مكة ، محمد في المدينة ، وكتاب عوامل انتشار الإسلام) وقد درس منهجه باستقلال وتفرد : د. عماد الدين خليل من خلال كتيب اسماء: المستشرقون والسير النبوية) وللمزيد ينظر العقيلي المستشرقونج ٢ ص ١٣٢ .

(٣) انظر M.M. Watt: Muhammad at Mecca, Oxford, 1960, p.xv; and his "The Materials used by Ibn Ishaq" in B. Lewis and P.M. Holtfield (ed): Historians of the Middle east, London, 1962, pp.23-24

(٤) د محمد مصطفى الأعظمي : دراسات في الحديث النبوي ٦٨/١ ، ط٣ ، الرياض ١٩٨١ م

ويذهب الأستاذ محمود أبو ريه إلى أن تدوين الرواية بدأ بعد وفاة النبي (ﷺ) فيقول: ((في الإسلام كان الصحابة يأخذون عن رسول الله (ﷺ) أخذاً علمياً ليتفقهوا في الدين- فكانت مجالسه (ﷺ) هي الحلقات العلمية الأولى التي عرفت في سلسلة التاريخ العربي كله، كما هو أول من علم. فلما قبض (ﷺ) بدأ من بعده علم الرواية. إذ لم يعد سبيل إلى الاستدلال والفصل إلا بها))^(١) ويقول الدكتور صبحي الصالح: ((كان أول تدوين رسمي للسنة على يد محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ)، بأمر من عمر بن عبد العزيز ونقل عنه قوله: "لم يدون هذا العلم أحدٌ قبل تدويني... " وكان ذلك بداية المائة الثانية من الهجرة))^(٢) ويذهب السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) إلى أن هناك استثناء لهذا الكلام حيث يقول: (ويستثنى من ذلك باتجاه أهل البيت ، فإنهم على التسجيل و التدوين منذ العصر الأول، وقد استفاضت رواياتنا عن أئمة أهل البيت بأن عندهم كتاباً ضخماً مدوناً بإملاء رسول الله (ﷺ) وخط علي بن أبي طالب (عليه السلام) في جميع سنن رسول الله (ﷺ)^(٣)

يظهر للباحث أن رفض نظرية "جولد زيهر" وما تبعها من طروحات "لشاخت" من قبل المسلمين والمستشرقين قد لا يجانب الواقع إلا أن جزءاً مهماً من طروحاتهم هي مقبولة ومنطقية، فالروايات الإسلامية قد أصابها شيء من الوضع والمبالغة للأسباب التي بينها "جولد زيهر" ولأسباب أخرى يمكن أن تكون قد ارتبطت بمكانة الفرد ومنزلته ومنزلة عائلته ضمن مجتمع إسلامي بحت ويمكن الاستدلال على ذلك بسهولة وعلى هذا الأساس لا يمكن رفض هذه الطروحات رفضاً نهائياً ، وإنما يجب التعامل معها بحيادية وبالوقت نفسه بحذر لكي لا ينسحب ذلك على رفض جميع الروايات والتشكيك بما هو مهم ومؤكد منها.

(١) الشيخ محمود أبو ريه ، أضواء على السنة المحمدية ص ١١٢ ، ط١، دار التأليف بمصر ١٩٨٥

(٢) علوم الحديث ومصطلحه: ص ٤٦

(٣) نقلاً عن أصول الكافي ص ٢٤١-٢٤٢ ، باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة نشر دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨ هـ، وينظر بحث حول الولاية، للمرحوم محمد باقر الصدر.

ومن المشككين في صحة مرويات التفسير المستشرق وانسبرة الذي يقول: ((أن الروايات القرآنية المتفرقة بقيت شفوية عبر قرنين ثم جمعت في "القرن التاسع الميلادي"))^(١) في حين يقول ((إن الروايات الإسلامية التاريخية لم تكن موجودة من قبل، بل اختلقت في القرن التاسع ونسبت إلى وقت مبكر من بداية القرن الأول الهجري))^(٢) والأخطر من هذا يذهب إلى القول: ((إن القرآن تطور تدريجياً في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين من أصل روايات شفوية عن طريق تعديلات جرت عبر قرنين، ثم أعطيت شكلاً رسمياً Canonical "Form"، وصادف ذلك بروز التفسير القرآنية، وكانت هذه العملية مماثلة لما حدث في تقويم الكتاب المقدس لليهود))^(٣).

يظهر للباحث إن الأمور التي وردت في وانسبرة متشابكة ومشوشة للغاية. وبما أنها مبنية على أفكار "جولد زيهر" و "شاخنت" فقد أخطأ وانسبرة في أمور منها:

أولاً: إنه تأثر بما يعرفه عن طريقة تدوين الكتاب المقدس وتنقيحه، وما شابها من عملية تحريف فحاول تطبيق تلك الطريقة على تدوين القرآن الكريم و الروايات الإسلامية.

ثانياً: نظريته بالنسبة لمجموعة من الروايات حسب زعمه مناقضة لنظريته بالنسبة لمجموعة أخرى من الروايات، وإضافة إلى ذلك فزعمه غير منطقي إذ لا يمكن تصور اختلاق روايات ذات

عدد هائل ومتصلة بوقائع وتطورات متنوعة مع فروقها الواسعة في الأزمنة والأماكن والأشخاص.

ثالثاً: يخطئ وانسبرة في قوله: ((إن القرآن كان جارياً في روايات شفوية متفرقة))^(٤). ومعنى هذا القول أن المسلمين كانوا يحفظونه بكامله في صدورهم، وهذا صحيح، ولكن بالإضافة إلى ذلك كان القرآن متداولاً أيضاً في شكل كتاب مجموع، وهناك روايات عديدة تؤكد على أن جماعه من صحابة رسول الله (ﷺ) وفي حياته قد كانوا يدونون القرآن لأنفسهم وقد جمعوا كامل

(١): J. Wansborough: Qur'anic Studies, etc, Oxford, 1977, pp.42-45

(٢) من : ص ٤٢-٤٥

(٣) م - ن

(٤) م - ن

النصوص خلال حياة رسول الله (ﷺ)، أو على عهد الإمام علي (عليه السلام) بعد وفاة النبي

(ﷺ) بالإضافة إلى تركيز الآخرين على الحفظ الشفوي . وبالتالي عملية الكتابة للقرآن وتدوين النص كانت متقدمة وترتبط بحياة رسول الله (ﷺ) ولم تكن متأخرة حتى عهد عثمان.

رابعاً: يخطئ وانسبيرة في قوله: ((إنه لم توجد مصادر تاريخية للإسلام قبل القرن التاسع الميلادي "نهاية القرن الثاني الهجري")^(١). فإضافة إلى القرآن الكريم، هناك دلائل عديدة تثبت كتابة أقوال النبي (ﷺ) أبان حياته^(٢) (وكما بينا سابقاً) وعلى بدء تدوين الأحاديث والروايات بانتظام في الربع الثاني من القرن الأول الهجري^(٣). وعلاوة على ذلك، فإن وجود المخطوطات القرآنية القديمة والآثار والنقوش التي ترجع إلى القرن الأول الهجري يبطل دعوى وانسبيرة. وفضلاً عن هذا كله تأمين القرآن متضمن في دلالات واحتجاجات كثيرة منها:

١- التعهد الإلهي بحفظ الذكر ، لقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩: سورة الحجر) .

٢- الاهتمام البالغ من قبل النبي (ﷺ) بكتابة ما ينزل من الخالق تبارك وتعالى، ولتأكيد هذا

الاهتمام يقول الشيخ السيد مير محمدي: ((إن القرآن الذي بين أيدينا قد جمع في عصر النبي

(ﷺ) وأنهم كانوا يؤلفون القرآن بين يدي النبي (ﷺ) من الرقاع وكانت المصاحف تكتب في ذلك المصحف الذي جمع في عصر النبي. ولعل مصحف النبي (ﷺ) كان مع علي

(عليه السلام) حينئذ يكتب عنه مضيفاً التفسير والتأويل ... هذه هي الصورة التي يمكن استخلاصها ويدل عليها الاعتبار والعقل والإخبار^(٤) .

(1): J. Wansborough: Qur'anic Studies, etc, Oxford, 1977, pp.42-45

(٢) انظر: صحيح البخاري، ج ٢ ص ١١١-١١٢

(٣) انظر مقالات هوروفيتس (J. Horvitz)

(٤): السيد مير محمدي زرندي، بحوث في تاريخ القرآن ص ١٢٨، المعجم الإسلامي الإصدار الثالث إيران قم.

ثالثاً- إبراز التفاسير غير المعتمدة .

اعتمد المستشرقون على كتب تفاسير بعض الفرق المنسوبة للإسلام مع تمجيد طريقتهم في التفسير، واعتبار تلك التفاسير في التفاسير المثلى، وأهلها أصحاب العقل الحر، مع ذمهم وانتقاصهم لكتب التفاسير بالمأثور ، وهذا يظهر جلياً من خلال تتبع ما كتبه المستشرقون في ثنايا كتبهم، ويبرز ذلك بجلاء فيما كتبه "جولد زيهر" في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي) ، من تمجيد لكتب الفرق الأخرى كالمعتزلة^(*)، وثنائه على ظواهر حركة التفسير العصرية.

والمتتبع لإنتاج المستشرقين في هذا المجال يجدهم يعلنون من شأن التفاسير غير معتمدة، فهم في المقابل يطعنون في التفاسير المعتمدة عند المسلمين الموثوق بها، وها هو " ثيودور نولدكه" يطعن في تفسير علي بن إبراهيم القمي^(*) ويقول عنه: ((انه نسيج بائس من الكذب والحقاقات))^(١) ثم يقارن بين التفسير الشيعي والتفسير السني فيقول: ((إذا تأكدت قيمة التفاسير السنية حصراً للفهم التاريخي للوحي ، فان قيمة التفاسير الشيعية كما تعرض هذه العينات، لا تساوي شيئاً. ونظراً لتأويلاتهم المغالية والتي تتجاهل سياق النصوص تماماً، قد يميل المرء إلى طرح التساؤل حول ما إذا كان لهذا الكذب المفصوح إسهام أكبر في ذلك من إسهام الحماقة))^(٢) وها هو زميله جولد زيهر يطعن في تفسير الطبري ويبالغ في ذكر وتضخيم ما ورد فيه من إسرائيليات ، بل ويزعم أن مقاطع كثيرة من تفسيره مرتبطة بمثلها من سفر التكوين الذي يعرض للروايات اليهودية والنصرانية، وأن وهب بن منبه هو الطريق الذي انتقلت بواسطته هذه الآثار في نهاية القرن الأول الهجري^(٣). هذا هو منهج المستشرقين في نظرتهم إلى تفاسير المسلمين ، على كل حال فالمقام لا يتسع للرد لأننا سوف نرد على مثل هذه الأقوال في الفصل الثاني وبالتفصيل.

(*) :إحد الفرق الاسلاميه نشأة في العصر الأموي، المشهورة باسم المدرسة العقلية أو أصحاب العقل الحر من أهم شيوخ هذه الفرقة هم واصل بن عطاء المتوفى (٨٠_١٣١هـ) وعمر بن عبيد ، ينظر: الذهبي ج ٢ ص ١٩٢
(*) :هو ابو الحسن علي بن ابراهيم (ت بعد ٣٠٧هـ ٩١٩م) - تفسير القمي تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري ، مطبعة النجف الاشرف ، ١٣٨٦هـ.

(١) ثيودور نولدكه، تاريخ القرآن ص ٣٩٨ ترجمة جورج تامر ط ١ ، بيروت ٢٠٠٤

(٢) م - ن:

(٣) : جولد زيهر : ص ١١٢

المطلب الثاني: تحريف النسخ للقرآن الكريم .

توطئة :

أن القول إنه قد تكون أخطاء في المصادر أو الروايات التي اقتبس منها القرآن مجرد ظنّ من قبل المستشرقين لا أساس له من الصحة. أما الكلمات والعبارات التي يعالجها المستشرقون في مقالاتهم فقد حللها وفسرها المفسرون والنحاة، قديما وحديثا، لكن أغلبهم يستخف بهذه التحليلات والتفاسير ويستنتج على أساس الظن وقصور الفهم في تفسير ألفاظ القرآن الكريم فيقع في أخطاء فاضحة. وسيتضح مدى أخطائهم عند عرض النماذج التي اختاروها من القرآن الكريم .

١ - كتب المستشرق (بيلا مي J.A. Bellamy) سلسلة من المقالات في "مجلة الجمعية الاستشرافية الأمريكية" (Journal of the American Oriental Society) ، يتحدث فيها عن ٢٢ كلمة وعبارة صعبة في القرآن يزعم أنها أخطاء من قبل النسخ أو أخطاء كانت في مصادر أو روايات اقتبس منها أجزاء من القرآن . ويقترح تصحيح هذه "الأخطاء" ويقول في مقالته الأخيرة: ((إن علماء القرآن غير المسلمين متفقون على أن محمداً ألف القرآن بشكل أو آخر، ولذا ينسبون المشكلات إليه))^(٢)

(١) انظر J.A. Bellami: "Al-raqim or al-Ruqa?": A note on Surat 18:9", Journal of American Oriental Society: 1991, pp.115-117; "Fa-Ummuhu Hayiyyah: A Note on Surah 101:9", ibid, 1992, pp.485-487; "Some proposed Emenuation to the Text of the Qur'an", ibid, 1993, pp.562-573; and "More proposed Emenuations to the Text of the Koran", ibid, 1996, pp.196-204

(٢) م - ن ، ص ٢٠٣

لو نظرنا إلى بعض عينات مما يكتبه في هذا الشأن. فالكلمة الأولى هي كلمة "حصب" في قوله تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} (٩٨) سورة الأنبياء . فيقول إن معنى الكلمة "الحصاة" أو "البلور الصخري" وإن معنى "الوقود" الذي يعطيه إياها المفسرون والمعجميون مثل "الزبيدي في تاج العروس" أو "لين Lane" في معجمه ليس بصحيح، كما يرفض قول بعض المستشرقين إن الكلمة مأخوذة من كلمة "حصة" العبرية والتي تعني "خشب" أو "قطع الخشب". ثم يذهب قائلًا: ((إنه ينبغي أن تكون الكلمة هنا "حطب"، فهي الكلمة التي تعني الخشب للنار والتي تستعمل في موضع آخر في القرآن - وإنه لسهل جدا التصور كيف حصل هذا الخطأ عند كتابة "الحطب" نسي الناسخ وضع الخط العمودي للطاء فأصبحت الطاء صادًا))^(١)

أولاً : وللجواب على هذه الفرية نقول: إن قول "بيلامي" هذا لظن فقط لا أساس له من الصحة، فهو يفترض بلا دليل أنه كانت هناك نسخة فيها كلمة "الحطب" ولكنه لم يشر إلى شيء مثل هذا ولم تكن النسخة المزعومة موجودة على الإطلاق .

ثانياً: يتجاهل حقيقة أن القرآن كان كتاباً مفتوحاً ومنشوراً منذ البداية، ولم يكن كتاباً محجوباً عن الناس في أي وقت، فلو أخطأ ناسخ في كتابة كلمة في نسخة ما لكشفه ألوف من الحفاظ والقراء وعامة المسلمين الذين كانوا يقرأون القرآن يومياً في صلاتهم ودراساتهم فكيف يصح أو يجوز إن يأتي أحد في هذا العصر المتأخر ليروي روايات عن كلمة يخطأ بها أو يستبدلها البعض مكان كلمة أخرى .

ثالثاً: كما يتجاهل أن في كل اللغات كلمات لكل واحدة منها عدة معان حسب السياق والموضوع، فيظن أن لكلمة "الحصب" معنى واحداً فقط فلا يمكن استعمالها بمعنى آخر، ومن هذا المنطلق يسفّه جميع المفسرين والمعجميين القدماء والمحدثين من المسلمين والأوروبيين.

(١) Journal of the American Oriental Society, 1993, p.564

رابعاً: يذكر "بيلامي": (أن القرآن يستعمل كلمة "الحطب" بمعنى خشب النار "٧٢: ١٥ و ١١١: ٤") ، ولكنه يغض النظر في الوقت نفسه عن أن القرآن يذكر بصراحة في موضعين أن "الحجارة" تكون وقوداً للنار {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (البقرة: ٢٤). و {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (التحریم: ٦). فلا غرابة أن يذكر القرآن "الحصب" وقوداً لجهنم.

خامساً: إذا كان "بيلامي" يظن أن الحجر والحصب ليسا قابلين للاشتعال والتوقد فلا يمكن أن يكونا وقوداً للنار فهو مخطئ للغاية. لأن الحجر والمعادن تذوب وتتقد كما نرى في الحمم (Lava) التي تقذفها البراكين والتي تتحجر بعد أن تبرد.

والكلمة الثانية التي يتناولها "بيلامي" بالنقد في المقالة نفسها هي "الأمة" في الآيات: (١-٨) {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} (هود: ٨). {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمْمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ} (يوسف: ٤٥)، فيقول: ((إن المفسرين يفسرونها "بالوقت" أو

لمدة)) نظراً للسياق فقط، ولكنه ليس معناه الصحيح. كما يختلف عن المترجمين الأوروبيين مثل "باريت R. Paret" و "بلاشير Blachere" اللذين يفسرانها التفسير نفسه في هاتين الآيتين.

ثم يقول بيلامي: ((إن المعنى هنا، خصوصاً في الآية ١١: ٨، يلزم أن يكون وقتاً أو مدة، لكن يمكننا إعطاء هذا المعنى هنا إذا بدلنا التاء المربوطة في "الأمة" بالذال وجعلناها "أمداً")، ثم يقول: ((إن الناسخ أخطأ في قراءته للنص في الأصل فقرأ "أمة" مكان "أمد" وأنت الصفة "معدود" فكتبها "معدودة" وذلك إما بالسليقة أو من أجل تصحيحه العبارة))^(١)

أولاً: إن ادعاء "بيلامي" هذا يعتريه ما يعترى زعمه بالنسبة لكلمة "حصب" السالفة الذكر، وهو أنه يفترض أصلاً لا وجود لها ولا يستطيع الإشارة إليه، كما أنه يتغاضى عن حقيقة أن نشر القرآن لم يكن قط أمراً فردياً لا ينظر إليه الآخرون من المسلمين. وإضافة إلى ذلك، فهو

يفترض هنا عيبين في الناسخ المزعوم وهما خطؤه في قراءة الأصل المزعوم وانتحاله تصحيح النص

القرآني أو تعديله، وكلاهما بلا دليل إلا الظن وهو غير مقبول. لو كان الناسخ المزعوم قادراً على تأنيث الصفة لموصوف مؤنث كما يقول "بيلامي" لانتبه للغرابة في معنى العبارة التي يكتبها ولتأمل في الأمر ولقام بإعادة النظر فيه، وبما أنه لم يفعل شيئاً من ذلك فإنه لم يشعر بغرابة في معنى العبارة ولم يخطئ في القراءة أو في الكتابة .

ثانياً: يغفل بيلامي عن أن كلمة "أمة" جاءت في القرآن الكريم بعدة معانٍ، منها بمعنى "المدة" أو "الحقبة من الزمان".^(١) كما أنه يغفل عما يعطيها المعجميون الأوروبيون من المعاني، فمثلاً يكتب "هانز فير" أن كلمة "أمة" تعني الجيل (Generation) بالإضافة إلى معانٍ أخرى.^(٢) والجيل أو (generation) في الإنجليزية تعني جيلاً من الناس أو زمانهم وهو المدة التي يترعرع فيها الأولاد من الطفولة إلى سن الرشد والإنجاب.^(٣) لو أن بيلامي راجع هذا النوع من

المعاجم العربية الإنجليزية لوجد أن كلمة "أمة" في الآيتين المذكورتين صحيحة وليست بغيرية. وكلمة أخرى يتناولها بيلامي في مقالته الأخيرة في هذه السلسلة^(١) هي "لما" في "الآية ١١١: هود" {وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١١: سورة هود) يرفض "بيلامي" التفاسير النحوية التي يقدمها المفسرون المسلمون والمستشرقون مثل "ر. بيل R. Bel" و "ج. برجشتراسر G. Bargstrasser" "لهذه الكلمة. ويضيف قائلاً إن هذه الكلمة جاءت هنا بسبب خطأ من قبل النساخ. يقول: ((إن الناسخ عندما فرغ من كتابة "وإن كلا" من الآية ١١١، رفع نظره من الورقة فلفت النظر إلى الآية ١٠٩ حيث تقع العبارة "وإننا لموفوهم" فبدأ الكتابة من "لموفوهم"، ولكن بعد أن فرغ من كتابة "ل" و "م" شعر بخطئه فألغى الحرفين بوضع خط عمودي عبر "م" واستأنف كتابة الآية من "ليوفينهم". وهذه النسخة اعتمد عليه ناسخ آخر فقرأ الخط العمودي

(١) انظر: مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي: "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" (تحرير محمد علي النجار)، بيروت، دون تاريخ، ج ٢، ص ٧٩-٨٠، وينظر الحسين بن محمد الدامغاني: قاموس القرآن (تحرير عبد العزيز سيد الأهل)، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٢-٤٤

(٢) انظر: Hans Wehr: A Dictionary of Modern Written Arabic (ed.):

(٣) انظر: Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English, ed. A.S. Hornby and others, third edition,

1974, eighteenth impression, 1983, p. 357

عبر "م" ألفا فكتب هناك "لما" بين "كلا" و "ليوفينهم"، وهكذا دخلت "لما" في الآية^(١).

أولاً: لا حاجة للإشارة إلى التفاسير النحوية لـ "لما" في هذا المكان، وتكفي الإشارة إلى عدم منطقية الحجة التي جاء بها بيلامي. أولاً إنه ليس من الطبيعي أن يلفت الناسخ المزعوم نظره إلى الورااء قبل آية كاملة (الآية ١١٠ وهي أطول من سطرين عاديين، ثم يبدأ بكتابة العبارة التي كان قد كتبها قبل قليل، ليس هناك أي تشابه بين العبارتين حيث إن (الآية ١١١ تبدأ بـ "وإن" وتليها "كلاً" والتي في آية ١٠٩ تبدأ بـ "إننا" وتليها "لموفوهم"، وإضافة إلى ذلك، فإن الناسخ المزعوم كان قد بدأ كتابة آية جديدة (أي آية ١١١) والعبارة "وإن" تقع في أولها في حين تقع العبارة "وإننا لموفوهم" في نهاية الآية ١٠٩، فالخطأ الذي يزعمه بيلامي أن الناسخ المزعوم كان قد ارتكبه بعيد كل البعد عن المنطق والاحتمال.

ثانياً: لو كان الناسخ المزعوم قد شعر بخطئه بعد كتابة حرفين وهما "اللام والميم"، لألغاهما بوضع خط أفقي عبر كليهما وليس بوضع خط عمودي عبر كليهما ولا بوضع خط عمودي عبر الميم فقط، كما يزعم بيلامي. ثالثاً: إن الظن أن ناسخاً لاحقاً قرأ الخط العمودي ألفاً، فكتب "لما" في ذلك المكان ليس معقولاً على الإطلاق حيث إن الناسخ الثاني المزعوم كان بطبيعة الحال يعرف اللغة ويفهم معنى العبارة التي يكتبها، كما أنه من المستحيل أن نسخة واحدة فقط من القرآن والتي كان قد أعدها الناسخ الأول المزعوم كانت موجودة فاضطر الناسخ اللاحق المزعوم إلى اللجوء إليها لإعداد نسخته. ونظراً لهذه الأمور فإن حجة بيلامي فاسدة ومضللة ولا تقنع أحداً ذا عقل سليم. هذه هي بعض نماذج لما كتبه بيلامي في هذا الموضوع ولا حاجة للنظر هنا في بقية الكلمات التي يتناولها في مقالاته. إنه في كتابته عن هذه الكلمات الاثنتين والعشرين يرتكب في الحقيقة نفس العدد من الأخطاء الفاضحة. ولورد على مثل هذه الافتراضات السطحية والغير منطقية نقول ما يلي: أن طبيعة الأشياء تدل بشكل واضح على أن القرآن الكريم قد تم تدوينه في زمن النبي

(ﷺ) مما يجعلنا نقتنع بضرورة قيام النبي (ﷺ) بجمع القرآن في عهده وهذه الظروف والخصائص لخصها لنا السيد محمد باقر الحكيم وهي ما يلي :
(١)

١. يعتبر القرآن الكريم الدستور الأساسي للأمة الإسلامية وهو يشكل الزاوية الرئيسية التي يقوم عليها كيان الأمة العقيدي والتشريعي والثقافي .
٢. لقد عكف المسلمون منذ البدء على حفظ القرآن واستظهاره ، إنطلاقاً من نظرتهن إلى القرآن الكريم وشعوراً بالأهمية التي يحتلها في حياتهم الاجتماعية ومركزه من الدور الذي ينتظرهم في الحياة الإنسانية .
٣. وقد كان الرسول (ﷺ) يعيش مع الأمة في آمالها وآلامها ، مدركاً لحاجاتها وداعياً للمسؤولية العظيمة التي تفرضها طبيعة الظروف المحيطة بتكوينها و (الأخطار) التي تتهددها .
٤. إن إمكانات التدوين والتسجيل كانت متوفرة لدى الرسول (ﷺ) ، حيث لا تعني هذه الإمكانيات حينئذ إلا وجود أشخاص قادرين على الكتابة يتوفر فيهم الإخلاص في العمل إلى جانب توفر أدوات الكتابة ، وليس هناك من يشك تأريخياً في تمكن المسلمين من كل ذلك .
٥. ولا بد أن نعترف بوجود عنصر الإخلاص للقرآن الكريم وأهدافه إذ لا يمكن أن نجد من يشك في توفر ذلك لدى النبي (ﷺ) مهما بلغ ذلك الشخص من التطرف في الشك والتفكير .

المطلب الثالث : الطعن في مصدر النص وعربيته .

١- لفظة القرآن:

يذهب بعض المستشرقين على ان لفظة " القرآن " هي ليست ذات أصل عربي ، وإنما هي دخيلة على اللغة العربية و حاولوا التأكيد على أن أصل الكلمة غير عربي .

يرى الأستاذ " ثيودور نولدكه" الالماني (شيخ المستشرقين) ان لفظتي قراء وقران هما من الكلمات الدينية التي أدخلتها النصرانية الى شبه الجزيرة العربية ^(١). في حين أن بعض المستشرقين أمثال "شافلي" و"ولهاوزن" يجدانها كلمة مستعارة من السريانية أو العبرية : قرينا keryina أو بالكسر kiryana ^(٢) .

أما الأصل اللغوي للفظه يقول المستشرق الفرنسي بلاشير : ((أن السور المنزلة الأولى التي افتتحت دعوة محمد ، تشتمل على الأصل اللغوي لأسم "القرآن" ففي بعض المقاطع القرآنية وردت كلمة قرآن بمعنى التلاوة ، ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية التي يرد فيها لفظ مشابه جداً لهذا المعنى)) ويذهب المستشرق "عمانوئيل كريل هلس" الى القول: ((أن أصل كلمة قرآن ... هو غير معلوم لنا بصورة أكيدة ولكن على ما يبدو هو مشتق من الفعل قرأ أو يقرأ استنادا إلى الوحي الذي نزل على النبي محمد وأمره بـ أقرأ أو قل وما نلاحظه بوجه خاص هو المعنى نفسه في العهد القديم ، وكذلك الكلمة العبرية (kara أي قرأ) ^(٣)

وللجواب على هذه الفرية يقول الدكتور مشتاق بشير:

((أن القرآن الكريم عربي مبين في مجمله وتفصيله ، ومفرداته وتراكيبه وليس فيه ما غير عربي ،مثلما يوضح ذلك قوله تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (سورة يوسف الآية : ٢). وقوله جل شأنه {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٩٢) سورة الشعراء {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

(١) ينظر: . 82 , p. 1- vol , Noldeke , Geschichte des Qorans ينظر كذلك : وينظر مونجمري وات ، محمد في مكة ، ص ٨٦ .

(٢)- ينظر: هاملتون جب و ج . هـ كالمرز ، الموسوعة الاسلاميه الميسرة ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة الانجول المصري ، (القاهرة - ١٨٨٥) ، ج٢ ، ص ٨٠٠ . نقلا عن ، اطروحة : الدكتور :مشتاق بشير وهي بعنوان : دراسات المستشرقين عن القرآن الكريم- دراسه في تاريخ القرآن نزوله وتدوينه وجمعه ص ١١٢ .

(٣) Hals,Der Islam ,P .160 .

الأمين} (١٩٣) سورة الشعراء {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} (١٩٥) سورة الشعراء . وقوله سبحانه وتعالى : {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} الآية { (٤٤ : سورة فصلت). وبناءً على هذه المعاني السامية الدالة على أن الألفاظ القرآنية ما هي إلا ألفاظ عربية وبلسان عربي وإذن فالأولى أن لا نعتقد إلا بالأصل العربي لكلمة القرآن ، الكلمة الجامعة لمحتواه والمعبرة عن الكل والجزء من كلام الله المنزل على رسوله محمد (ﷺ) ((^(١)

٢- لفظة محمد (ﷺ):

شكك المستشرقون باسم النبي (ﷺ) بسبب قصور الفهم وعدم المعرفة بالسيرة النبوية ، فقد استنتج المستشرق "شبرنجر" (*) من ورود اسم النبي في أربع سور مدنية من القرآن هي آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح ، من إن لفظة (محمد) لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة^(٢) وإنما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى^(٣).

ويتساءل د.جواد علي مستكراً هذه الفرية فيقول : ((وقد يتوجب ان نسأل شبرنجر إذا كان النبي (ﷺ) قد التقطه اسم (محمد) من خلال قراءته لتنبؤات الإنجيل فأين ذهب (محمد) الحقيقي الذي بشر به العهدان القديم والجديد))^(٤).

فإذا كان اسمه الشريف قد تعرض للإنكار والطعن فسئري المسائل الأخرى كيف تم تشويهها واختلقت لها ومن اجلها فنون الطعن والتزييف من قبل الاستشراق والمستشرقين

(١) دراسات المستشرقين عن القرآن الكريم- دراسة في تاريخ القرآن نزوله وتدوينه وجمعه ص ١١٣ وينظر: البدوي ، القرآن الكريم تاريخه وعلومه ، ص ١٧-١٨ ؛ عبد الكريم الخطيب ، القرآن ، ص ٢-٣ .

(*) شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣) : مستشرق نمساوي طبيب، نشر بمجهوده الإثقان في علوم القرآن للسيوطي، ومن آثاره: سيرة محمد مع ترجمة لبعض آيات القرآن ، أعانه فيها (نولدكه) ودرس جغرافية البلاد العربية، ينظر : العقيلي: المستشرقون، ج ٢، ص ٢٧٨، ط ٤، دار المعارف - القاهرة.

(٢) ينظر: علي، جواد : تاريخ العرب في الاستلام ج ١، ص ٩٧، ط ١، ١٩٨٣ دار الحادثة، بيروت

(٣) ينظر: م - ن ، ج ١ ص ٧٨

(٤) م - ن ، ج ١، ص ١٠٠

المبحث الثالث العوامل الرئيسية لأخطاء المستشرقين

توطئة :

من شروط المنهج إدراك اللغة والإحاطة بأسرارها، وآدابها وعلومها، وفنونها، وكذلك إدراك

الثقافة والإحاطة بسرها، ثقافة الأمة التي يريد أن يبحث في تاريخها، وعقائدها، وعمرانها وحضارتها، ودينها. وذلك لازمٌ للمستشرق وغير المستشرق هذه الشروط لا يختلف في شأنها أحد قط في كل ثقافة، وفي كل أمة . والمستشرق ، ناشئ في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها ومن الصعب عليه يُفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والإفتاء على القرآن الكريم إلى التناول بان : هذا الكتاب غير صحيح وغير بليغ وان به أغلاطا نحويه وتاريخية ومتناقضات لفظية.

المطلب الأول: الإسقاط والتعسف بالتفسير:

لا يكون اللفظ العربي مستعصياً مستغلقاً على المستشرق، ويمكنه - لو أراد - أن يفهمه فهماً صحيحاً، ولكنه يميل مع هواه فيُنطِق النص بما يتفق وهدفه، ويشبع هواه وفي هذا المجال يقول الدكتور محمد حسين الصغير ((أن الموضوعية في تفسير القرآن شرط أساسي وليس شرطاً احترازياً، فهو أساسي لتلقي معاني القرآن كما أرادها الله تعالى، وهو احترازي من النزوع إلى الهوى، والإغراق في الخيال، والتعرض لشطحات الميول، فالمتلقي يريد معرفة هذا النص على حقيقته والغوص إلى أعماقه، والمفسر الحق هو الباحث الذي يحقق هذه الرغبة الملحة، وينهض بهذه المهمة الصعبة، متطلعاً إلى الأسرار القرآنية ناصعة أنيقة، ليحوز رضا الله تعالى، ويظفر بإقبال الناس))^(١) الأمثلة على ذلك كثيرة لا تقع تحت حصر، ولكن يكفي أن نذكر مثلاً للمستشرق "وليم مونتجمري وات" willialam Montgomery Watt " وذلك حين يفسر أمر القرآن الكريم

(١) د. محمد حسين الصغير : أقسام التفسير ومناهجه عند المسلمين : دراسات وبحوث ، شبكة الشيعة العالمية (الانترنت)

للمؤمنين بالاستئذان قبل الدخول لبيوت غير بيوتهم، وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر ^(١) قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٢٧) سورة النور وقوله تعالى { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } (٣٠: سورة النور)

وقوله تعالى {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ.... الآية} (٣١: سورة النور يفسر ذلك بانحطاط في مستوى الأخلاق عند القوم، كان النبي (ﷺ) ، بحاجة إلى السمو به. فمن أين أتى بهذا الاستنتاج؟ وهل تسمح النصوص القرآنية الكريمة بأن يستنتج منها هذا الاستنتاج العجيب هل إذا كانت الأخلاق (غير منحلة) يسمح بدخول بيوت الآخرين بدون استئذان؟

ومثل هذا النوع من التفسير ذهب إليه جوستاف فايل(*) لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الجمعة: الآية ٢)، حيث أشار إلى أن: ((الأمية هنا تعني الجهل بالدين لا الكتابة))^(٢) ، في حين أن القرآن الكريم وَصَفَ النَّبِيَّ (ﷺ) بأنه (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) ولا يعقل أن يكون النَّبِيُّ جاهلاً بالدين، في هذا الصدد يقول الدكتور محمد حسين الصغير: ((ولعل من أطرف ما جاء به فايل: ذهابه إلى إن النبي (ﷺ) كان يعرف القراءة والكتابة ، وإن القرآن يشير إلى ذلك، ولكنه اخفق بالاستدلال المقنع في الموضوع)).^(٣)

(١) مونتميري وات: محمد في المدينة : ص ١٢١ ترجمة شعبان بركات منشورات المكتبة العصرية ، (بيروت-١٩٥٢)
(*) جوستاف فايل (١٨٠٨-١٨٨٩) مستشرق ألماني من أصل يهودي ولد في ٢٤ أبريل ١٨٠٨ في مدينة (زولتسبورج) جنوب ألمانيا من أهم آثاره (مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) امتازت بحوثه بشمولية الموضوع، ومعرفة المنهج التاريخي، البدوي: موسوعة المستشرقين: ص ٢٧١

(٢) ظ: د. السلمي: مناهج التاريخ الإسلامي: ص ٥٠٣

(٣) د. محمد حسين الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية: ص ٢٢ دار المؤرخ العربي بيروت لبنان وانظر د. عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن : ص ٤٩ وما بعدها ، دار الكاتب ، العربي، القاهرة، ٩٦٦م.

يبدو للباحث إن خلفيات أكثر المستشرقين الدينية لا تسمح لهم بالإقرار بأمية الرسول عليه الصلاة والسلام مما يحاولون تأكيده كلما أرخوا للسيرة النبوية أو تحدثوا عن مصدر القرآن الكريم، فإن الأمانة العلمية تفرض عليهم وعلى غيرهم أن يترجموا لفظة "الأمي" الواردة في القرآن كما يدل عليه المعنى المراد والذي يعونه جيدا بطبيعة الحال. ولنقف عند لفظة "الأمي" من قوله تعالى: { {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} (الأعراف: ١٥) وقوله تبارك وتعالى:

{.... النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (١٥٨) سورة الأعراف، وقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (٤٨: سورة العنكبوت) والتفسير الذي وضعه المستشرقون والمسلمون على السواء للآيات السابقة: أي الذي لا يقرأ ولا يكتب. وهو التفسير الصحيح وقد اهتدى إليه أكثر المستشرقين. والمفسرين المسلمين ومنهم ابن جرير الطبري^(١)، معززا هذا التفسير بقول النبي (ﷺ) ((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب))^(٢).

أما ما ذهب إليه المستشرق "جاك بيرك" بالقول: ((لفظة "أمي" نسبة إلى الأم))^(٣) فهي لا تحقق المراد من نقل المعنى الأصلي للفظ، بل إنها تثير الالتباس والاضطراب لدى القارئ، ومهما ذكر بعض المفسرين من أنه: ((إنما قيل للأمي أمي نسبة إلى أمه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه))^(٤). فإن ذلك لا يعدو أن يكون وجهاً تفسيرياً للفظ يعود بها إلى أصل وضعها، لكنها وفق ذلك المعنى لا يمكنها أن تؤدي المعنى المراد في السياق القرآني، وبالتالي فإنه لا يجوز أن تفهم على ذلك النحو.

(١) تفسير الطبري ٥٢٧/١

(٢) صحيح البخاري كتاب الصوم باب ١٣.

(٣) د. حسن ابن إدريس عزوزي: ملاحظات على ترجمة معاني القرآن للمستشرق الفرنسي جاك بيرك ص ١٤ مطبعة فاس ١٩٩٩

(٤) تفسير الطبري ٥٢٨/١.

ولكي نرد ردا علميا في دعم حقيقة أمية النبي (ﷺ) على أن الأمية هنا ، لا تعني إلا جهل القراءة والكتابة ، وإلا فعقل النبي (ﷺ) وتفكيره ونطق لسانه لا يضاهيه فيهن أحد ، لأنه المختار من العباد لحمل آخر وأشرف الرسائل السماوية ، وأن الأمية هنا لا تتعدى حدود جهل (القراءة والكتابة) وهو بلا شك أمر إلهي لإرادة حكيمة .

أما كيف إثبات هذه الأمية ، يقول الدكتور مشتاق بشير : ((أن رسول الله محمد (ﷺ) كان من المسلمين بمقام رفيع ومنزلة عالية، ولذلك تشرف الكثير منهم لتسجيل أحاديثه وأخباره وغزواته وكل ما يخصه (ﷺ) من الشمائل والأخلاق والصفات وعدد الزوجات وغيرها من صغير أو كبير فكيف إذن يعرضون عن إيراد خبر هام حول معرفة النبي (ﷺ) للقراءة والكتابة ولو كان بالفعل قارئاً وكاتباً. أضف لذلك استعمال النبي (ﷺ) لعدد من الصحابة لكتابة الوحي، حتى بعض الصحابة كان معروفاً لملازمته للنبي (ﷺ) استعداداً وتهيؤاً لأي وحي قد ينزل على الرسول (ﷺ) فيقوم الكاتب بتسجيله . ولو كان عليه أفضل الصلاة والسلام على علم ومعرفة بالقراءة والكتابة لم احتاج إلى ذلك العدد من الكتبة ولا إلى تلك الملازمة))^(١) .

قال الشيخ المفيد : ((إن النبي (ﷺ) أمر علياً أن يكتب عقد الصلح بخطه فقال : اكتب يا علي : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : هذا الكتاب بيننا وبينك يا محمد فافتحه بما نعرفه ، واكتب : باسمك اللهم . فقال النبي (ﷺ) : لأمر المؤمنين (ﷺ) :

امحي ما كتبت ، واكتب : باسمك اللهم ، فقال أمير المؤمنين : لولا طاعتك يا رسول الله، لما محوت بسم الله الرحمن الرحيم ثم محاها، وكتب بأسمك اللهم، فقال له النبي (ﷺ) : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو أجبتك في الكتاب الذي بيننا الى هذا لأقررت لك بالنبوة ... امح هذا — الى أن قال :- فقال له النبي :

(١) د. مشتاق بشير ، أطروحة دكتوراه : ص ١١٧-١١٨ ، جامعة ابن رشد / ٢٠٠٤

أَمَحَهَا يَا عَلِي ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ إِنْ يَدِي لَا تَنْتَلِقُ يَمْحُوا اسْمَكَ مِنَ النُّبُوَّةِ ، قَالَ لَهُ: فَضَعْ يَدِي عَلَيْهَا ، فَمَحَاهَا رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ ... ثُمَّ تَمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) (الكتاب) (١).

وظاهر هذا النقل إن النبي لم يكن يعرف القراءة فضلا عن الكتابة. نقل عن الشريف المرتضى علم الهدى (قدس سره): ((من أن قوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (٤٨: سورة العنكبوت) من الآية تدل على أن النبي لم يكن يحسن الكتابة قبل النبوة، وأما بعدها فالذي نعتقد أنه يجوز عليه أن يكون عالماً بها وبالقراءة ويجوز كونه غير عالم بها من دون قطع بأحد الأمرين صحيح ولا باس به)) (٢).

يرى الباحث هذه الأمية ليست عيباً ولا نقصاً لشخص النبي (ﷺ) وبالنسبة إلينا نحن المسلمين فإن أمية النبي (ﷺ) تمثل حقيقة دينية بالغة الأهمية في سياق العقيدة الإسلامية الصحيحة، إنها من آيات ودلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، فهو أُمِّي أتى بكتاب يعجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله.

ومما لا شك فيه أن جل المستشرقين لا يؤمنون بأمية نبينا عليه الصلاة والسلام، وهم يرون أنه لم يكن جاهلاً بالقراءة والكتابة محاولين تدعيم رأيهم بأدلة واهية، وذلك من أجل الخلوص إلى نتيجة مفادها أنه (ﷺ) قد استفاد من التوراة والإنجيل اللذين كانا نعم العون له في نسج تعاليم القرآن الكريم. ولا غرابة في ذلك، فمسألة كتابة الرسول (ﷺ) وقراءته تعد نقطة جوهرية في الإيمان بالإسلام، إذ لو أن مستشرقاً قال بأمية الرسول عليه السلام ونفى القراءة والكتابة عنه وأنه كما وصفه القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (العنكبوت: ٤٨). لاستوجب ذلك منه منطقياً الإيمان بالإسلام لأنه عندئذ يكون القرآن من مصدر إلهي غير بشري.

(١) الشيخ المفيد: محمد بن النعمان (٤١٣هـ-١٠٣٢م)، الإرشاد في غزوة الحديبية نقلاً عن السيد مبر محمددي، بحوث في تاريخ القرآن ص ١٣٢
(٢) م - ن

المطلب الثاني: اثر اللغة والثقافة في طبيعة الفهم الاسشراقي :

قد قرأ (بودلي)(*) : في كتابه: "الرسول، حياة محمد" : ((حاولت أن أترجم الحوار العربي حرفيا وببساطه وقد كان الشعر العربي والبيان فوق طاقتي ، واعتمدت في الآيات القرآنية على ترجمات مار مادوك (**) (أو روديل))^(١) ويحاول (اورنلد توينبى)(***) تعزية نفسه بجهله بلعربيه من خلال الادعاء بان اللفظة العربية هي لغة دينيه مسوغا لنفسه جهله بها^(٢) وتبرز هذه النزعة بوضوح عند(كارليل) الذي قال في كتابه "الأبطال" ذائع الصيت : ((لا عجب إن قلت إن الأوربي يجد في قراءة القرآن اكبر عناء فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد ، لا يزال يقطع في صفحاتها قفراً من القول الممل المتعب ويحمل على ذهنه هضاباً وجبالاً من الكلم لكي يعثر خلال ذلك على كلمة مفيدة ، أما العرب فيرونه على عكس ذلك))^(٣). وبالنظر لاشتراك (لوبون) (****) مع (كارليل) وبذات السبب المؤدى لمثل هذا القول فقد صدر عن لوبون قوله : ((وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط مع انه نزل وحيًا من الله على محمد ﷺ [] ، وأسلوب هذا الكتاب وان كان جديراً بالذكر أحياناً خالي من الترتيب فاقد السياق كثيراً ويسهل تفسير هذا عند النظر إلى كيفية تأليفه))^(٤)

(*) : (ر . ف . بودلي) : مستشرق انكليزي ، قام في الجزيرة العربية سبعة سنين عقب الحرب العالمية الأولى وعمل بالجيش العراقي بحدود عام مع طول مدة إقامته بين عرب الجزيرة فان ذلك لم يجعله قادر على ترجمة الأحاديث العربية بما يؤدي المعنى المراد بشكل دقيق استدعى منه التتويه ، ومن آثاره: (الرسول حياة محمد) وقد آمن بالعقيدة الإسلامية: ينظر العقيلي : المستشرقون ج ٢ ص ٩٥

(١) : بودلي، ر.ف : الرسول : حياة محمد ، ص ٨ ، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ، ومحمد محمد فرج ، ط ١ ، ١٩٤٨ ، مكتبة مصر

(**) : (١٨٧٥-١٩٣٦) مستشرق انكليزي ولد في لندن حال ضعف صحته دون إكمال دراسته ، استدعه اللورد كرومر غالي مصر سنة ١٩٠٤ حيث أقام مدة ، وصنف فيها كتابيه أبناء النيل والنساء والمحجبات ، ترجمه القرآن ، وتولى منصب إمام المسلمين في لندن وتعتبر ترجمته من خير الترجمات . ، معجم أسماء المستشرقين ص ١٦٨ (مصدر سابق).

(***) : (١٧٩٥-١٨٨١م) من أعماله : (الأبطال وعبادة البطولة)، ١٨٤٠م ترجمه إلى العربية محمد السباعي وفيه عقد المؤلف فصلاً رائعاً عن النبي (ص) إلا انه كان اقل إعجاباً بالقرآن ، ولم يسعفه فهمه للعربية لأدراك ما اسماء بالتكرار بلا نهاية في القرآن وهو مما أعابه على قرآننا لقصوره وضحالة غريبته : ينظر نجيب العقيلي : المستشرقون ج ٢ ص ٥٣٠ ، ط ٣ ، ٤ ، دار المعارف - القاهرة

(٢) : ينظر : انور الجندي : الاسلام في وجه التغريب ، ص ٢٩٣ ، دار الاعتصام مطابع الناشر العربي - القاهرة

(٣) : كارليل ، توماس : الابطال وعبادة البطولة ن ص ٨٣ - ٨٤ ، وقد علق ادوار السعيد على مقولة كارليل بالقول : (ولان كارليل ليس مثل اعلي للسلامة والانا قه الاسلوبيه فانه يؤكد هذه الأمور كاو سيله لإنقاذ محمد من المستويات البنتاميه التي كانت ستدين محمد وكارليل معن ، غير ان محمد مع ذلك بطل) الاستشراق ص ١٦٨ .

(****) : (مستشرق وفيلسوف مادي ، لا يؤمن بالأديان مطلقاً من آثاره كتاب (حضارة العرب) جاءت أبحاثه وكتبه متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره : جو ستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعير (٤) : لوبون ، جو ستاف : حضارة العرب ، ص ١١٦ ، نقله للعربية: عادل زعير ، ط ٣ ، ١٩٥٦ ، دار احياء الكتب العربية - القاهرة

ولعل من الأسباب التي أدت إلى ذلك أن قسما من المستشرقين لم يقرأ عن الإسلام والقران بلغة

أهله بل قرأ ما ألفه المستشرقون (المستعربون) الذين أقاموا بالشرق وتكلموا لغتهم وادركوا أكثر من غيرهم بعض خصائص العربية والمكتوبة (الفصحى). ومن هؤلاء (أربري) (*) الذي ترجم القرآن إلى الانكليزية ولقيت ترجمته استحسان البعض فقد وصف القرآن بأنه ((كامل النظم وغنى برواياته الدقيقه وأوزانه المتقدمه ، التي بلغت مرحلة الكمال ، ولهذا فان كمية الموضوعات والصور والرؤى كانت شامله))^(١)

نحن وان كنا لا ننتظر من المستشرقين أن ينصفوا القرآن بعد أن عرفنا كيف تكتب بحوثهم إلا إننا نود الإشارة إلى أن من يدرك عظمة القرآن هو من قطع شوطا كبيرا في التمرس على فهم أسلوب القرآن والتدبر لآياته وشروحاتها وتفسيرها وأصول الكلام وجذوره ، فما بالناس ممن لا يعرف عن العربي إلا بعض السطحيات ، فليس من المتوقع ان يصدر عنه غير ما عالمنا . ويؤثر العديد من المفكرين المسلمين على انعكاس سوء فهم العربية عند المستشرقين على نتائجهم (العلمي) وسائر مؤلفاتهم الاستشرقية فيقول الدكتور صلاح الدين المنجد في تصنيفه لفئات المستشرقين: ((هناك ضرب لم يملك الفهم الغوي والبلاغي الدقيق فاخطأ في نشر الكتب وفي فهم النصوص ولكن حفل بأمور شكلية لا فائدة لنا منها))^(٢)

ومن المؤكد إن لهذا المأخذ الكبير تأثير واضح في نتائج دراستهم للقران فهذا يظهر حقيقة جهلهم للعربية الذي انعكس بحكم تعسفي على القرآن هو ادعاء القائلين بتطور الأسلوب أقراني يقول الدكتور محمد خليفة ((إن أسلوب القرآن الرفيع قد بقا كما هو خلال فترة وحيه ثلاث وعشرين سنة وهل يمكن لأي مؤلف مهما عظم شأنه أن يعمل إلى درجة الكمال في أسلوبه لمدة طويلة كهذه))^(٣)

(*) (١٩٠٥-١٩٦٩م) مستشرق انكليزي برز في التصوف الإسلامي والأدب الفارسي حقق مؤلفات كثيرة منها كتاب الرياضة للحكيم الترمذي وحقق خمسين قصيدة للحافظ الشيرازي وصفحات من كتاب اللمعة وسواها: البدوي: موسوعة المستشرقين ص ٥ (١): (أربري): الترجمة الانكليزية للقران (المقدمة) ص ١١. نقلا عن ، علم الدين: مقرر مادة الاستشراق للسنة الرابعة ، ص ١٧ ، كلية الإمام الأزاعي ، الدراسات الاسلاميه ، جامعة الجنان بيروت .
(٢) نذير حمدان : الرسول ص ٣٦ ، نقلا عن: المنجد، د. صلاح الدين: المنتقى من دراسات المستشرقين دون الإشارة الى الصفحة و د ت.
(٣) الاستشراق والقران العظيم ص ٤٨ ، نقله الى العربية عبد الصبور شاهين ، ط ١ ، ١٩٩٤ القاهرة.

ويحاول " جولد زيهر " أن يطعن ببلاغة القرآن وخصوصا في العصر المدني قائلا: ((بديهي إن التغير الذي حدث في الطابع الشخصي لمحمد ﷺ [قد اثر في أسلوب القرآن وشكله الأدبي... ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصورة التي اوجتها حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد لكن حمية النبوه وحدها أخذة في عظات المدنية والوحي الذي جاء بها تهذا رويدا رويدا حيث أخذة البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاملة كما أخذة الوحي نفسه ينزل إلى مستوى اقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل حتى لقد صار أحياننا في مستوى البشر العادي))^(١).

وأنا من حيث كوننا مسلمين لا يمكن إن نرجع أسباب هذا الهراء إلا لسوء فهم العربية إذ أن أهل العربية الأقحاح لم يخرج منهم أي تصريح أو إشارة – اقصد المشركين المنكرين- يفيد طعنهم واستخفافهم بالبلاغة القرآنية بل كانت وكثيرا السبب في دخولهم أفواجا في سبيل الله.

مما عقد معرفة المستشرقين للعربية هو قياسهم التراكيب العربية على لغاتهم ولاسيما الإنجليزية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور احمد علم الدين: ((من المفيد الإشارة إلى بعض الاختلافات القائمة بين اللغتين العربية والإنجليزية؛ لان تركيب الجملة العربية يختلف بطرق كثيرة عن الجملة الإنجليزية لذلك يمكن أن تظهر السماجة بوضوح إذا ترجمة حرفيا كلمة وان فضيلة التكرار الذين لا يتكلمون العربية هو لغو مفرط للتعبير الحرفي))^(٢). ونسوق هنا نماذج لما وقعوا فيه من أوهام غليظة نتيجة لهذا العجز المهيّن.

(١) جولد زيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٤-١٥ ترجمة محمد يوسف موسى، ط١، ١٩٤٦

(٢) مقرر مادة الاستشراق للسنة الرابعة، ص ١٧٢، كلية الإمام الاوزاعي، جامعة الجنان، بيروت.

- ١ - من ذلك تفسير كازانوفاً(*) ، لفظ (أُمِّي) بشعبي^(١) .
- ٢- ومن ذلك ما وقع فيه المستشرق الألماني (براجستراسر)(**) ، في تحقيق كتاب مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه، حيث صحَّف كلمة أبي عمرو بن العلاء: (فقد تربع في لحنه) وجعلها: (فقد تربع في الجنة)^(٢) ، مع أن المقام مقام ذم". وإذا كانت هذه الأخطاء لا يترتب عليها خلل كبير في المعنى أو قضايا علمية فهناك ما يترتب عليه فساد في المعنى، وأحكام شرعية.
- ٣- ومن ذلك ما قاله المستشرق (مونتيكمري وات - Montgomery Watt) من تفسير الغض من البصر بأنه التواضع^(٣)، حيث قال: ((وقد نزلت آيات أخرى تدعو المؤمنين إلى التواضع: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...} "سورة النور: من الآية: ٣١")).
- ٤- ما ذهب إليه سيل(***) George Sale : إلى أن خطاب القرآن الكريم إلى بني آدم "يأيها الناس" (البقرة: ٢١) كالتالي: يا أهل مكة، وعلق في تفسيره "يا ناس" إلا أن الأمر -على حد زعمه- الذي ليس بخافٍ على أي مطلع هو أن محمداً (ﷺ) لم يقصد إلا إصلاح بني قومه، ولم يكن في مستوى يطمح فيه إلى مخاطبة بني آدم كلهم، فكل ما جاء في القرآن الكريم خطاباً عاماً موجهاً إلى الناس بصيغة العموم معناه أهل مكة^(٤).

(*) :المستشرق كزانوفاً: (١٣٣٤هـ-١٩٢٦م) مستشرق فرنسي جزائري المولد من إعماله صنف كتاب عن (محمد(ص) ونهاية العلم) بالفرنسي وكتب أبحاثاً عن النقود الإسلامية وآلات الرصد عند العرب ومكاييلهم وموازينهم، بالفرنسية أيضاً ، حمدان : طبقات المستشرقين ، ص ١٨٠

(١) كزانوفاً :محمد ونهاية العالم : ص ١٢٢

(**) :براجستراسر (١٨٨٦-١٩٣٢) مستشرق ألماني من اثاره :له كتاب الأسابيع لابقراط ،تطور النحوي باللغة العربية ،ابن خالويه في القراءات الشاذة ولهو مؤلفات عديدة باللغة الألمانية ، حمدان ، طبقات المستشرقين ص ٩١-٩٢ ،

(٢) :براجستراسر:تحقيق كتاب مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه :

(٣) :مونتيكمري وات : محمد في المدينة : ص ٢٧٧ .

(***) جورج سيل : (١٦٩٧-١٧٦٣م)مستشرق انكليزي اهتم بالدراسات الإسلامية حتى وصفه بعضهم بأنه نصف مسلم ترجم القرآن الى الانكليزية والتي نشرت لأول مرة في سنة ١٧٣٧ : ينظر البدوي موسوعة ، ص ٢٥٠ .

(٤): جورج سيل George Sale : ترجمات معاني القرآن الكريم : ص ١٢١

٥- وما ذهب إليه- المستشرق (ماكدونالد D.B.M acdonald) (*) تحت مادة (بعل) يقول: ((ولا يزال بين كلمت "بعل" التي تدل على اله وبين "بعل" معناها دهش أو فرق ومشتقاتها صلة ضئيلة ، وليس لهذين الاشتقاقيين الآن وجود ودخلت إلى العربية تفسيراً لأيه في القرآن، وقد أشار القرآن "سورة الصافات ، الآيات ١٢٣-١٣٢ " إلى قصة الياص وقال على لسانه : " أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين " ، ومن المرجح أن محمداً قصد بـ "بعل" ص ٣٠٦ كما سمعها في قصه من قصص التوراة "سفر الملوك الأول ، الإصحاح ١٨ "))^(١) وللجواب على هذه الفرية : يقال للرجل ، هو بَعْلُ المرأة ويقال، للمرأة هي بَعْلُه وبَعْلُته وباعلت المرأة : اتخذت بَعْلاً ، و باعل القوم قوما آخرين مُباعلةً وبُعَلاً : تزوج بعضهم لبعض ، الأنثى بَعْل وبَعْلَة مثل زوج وزوجة ؛ قال الراجز :

شر قرين للكبير بَعْلُته ثولغ كلباً سُورَه أو تكفُّته

وَبَعْلٌ يَبْعُلُ بُعُوله وهو بَعْلٌ : صار بَعْلاً وقال : يا رَبُّ بعل ساء ما كان بَعْلٌ . وَبَعْلُ الشيء : رَبُّه ومالكه . وبعل البعل جميعها : صنم ، سمي بذلك لعبادتهم إياه كأنه ربهم وقوله عز وجل : { أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ } (الصافات: الآية ١٢٥) يقال أنا بَعْلُ هذا الشيء أي ربه أو مالكه كأنه يقول تدعون ربا سوى الله ؟ ^(٢) وجاء في كتب التفسير ما يطابق المعاني اللغوية التي ذكرناها ، منها في تفسير الآية { أَتَدْعُونَ بَعْلاً ... } ، قال الحسن والضحاك وابن زيد : المراد بالبعل — هاهنا — صنم كانوا يعبدونه ، والبعل في لغة أهل اليمن هو الرب ، يقولون من بعل هذا الثوب

(*) : مكدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣) مستشرق امريكى الاقامه، برطاني المولد والنشأة ، اهتم بتاريخ العلوم في الإسلام، أهم مؤلفاته : كتابه (تطور علم الكلام والفقه) و (النظرية الدستورية في الإسلام) ينظر ، بدوي : موسوعة ، ص ٣٧٣

(١) : دائرة المعارف الاسلاميه ٣: ص ٦٩٤

(٢) : لسان العرب : مادة (بعل)

أي من ربه — وهو قول عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي — ويقولون : هو بعل هذه الدابة أي ربها ^(١) ، وعليه فكيف يدعي (ماكدو نالد) إن هذه الكلمة دخلت للعربية تفسير لآية في القرآن الكريم؟ ^(٢)

٦ - يذهب المستشرق (بول F. Buhl) (*) فيقول تحت مادة "سورة" ((أما من أين أتى النبي بهذه الفظة أو الكلمة فأمر لا يزال غير ثابت على الرغم من المحاولات التي بذلت لتتبع أصلها)) ^(٣). ويذهب "نولدكه" إلى إن (سورة) هي الكلمة العبرية الحديثه "شورا" ومعناها الترتيب أو السلسلة .

والجواب على الفظة سورة :السورة :المنزلة ، والجمع سور ، والسورة من البناء : ما حسن وطال . قال الجواهري : ((والسور جمع سورة ، مثل بسرة وبسر ، وهي كل منزله من البناء ؛ ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى ، والجمع سور بفتح الواو ؛ قال الراعي : هن الحرائر لا ربات اخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور وسميت السورة من القرآن سورة لأنها درجت إلى غيرها)) ^(٤)، وروى الأزهرى (*) بسنده عن أبي الهيثم قال ((إما سورة القرآن فان الله جل ثناؤه جعلها سورا مثل غرفه وغرف ورتبة ورتب وزلفة وزلف)) ^(٥). بعد هذا البيان للمعنى اللغوي الأصل لكلمة (سورة) في اللغة العربية واستعمالهما بهذا المعنى في القرآن الكريم ، كيف يوجه (بول) استفهامه عن المصدر هذه الكلمة وأصالتها ؟ وكيف يدعى (نولدكه) إنها عبارة عن الكلمة العبرية (شورا) ؟

(١): الطوسي ، التبيان :ص ٥٢٤ - ٥٢٥

(٢):الصافات: الآية ١٢٥(نقل بتصريف عن كتاب الاسلام وشبهات المشركين ، ص ٣٠٦)

(*) : المستشرق بول:انظر د.الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية :ص ٣١ وما بعدها

(٣): دائرة المعارف الاسلاميه : ١٢ ص ٣٥٨

(٤): انظر: لسان العرب :مادة (سور) .

(*)الازهرى ابى منصور بن احمد ت (٣٧٠هـ) : تهذيب اللغة ط ١٩٦٤ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة .

(٥) ظ :م - ن

الفصل الثاني

الإستشراق واتجاهات التفسير عند المذاهب الإسلامية - جولد زيهر انموذجاً

ـ المبحث الأول : التفسير بالمأثور عند أهل السنة (مدرسة ابن عباس والطبري - انموذجاً)

ـ المبحث الثاني : التفسير بالرأي عند المعتزلة

ـ المبحث الثالث : التفسير في ضوء المذهب الشيعي

الفصل الثاني

توطئة :

لأول مرة في تاريخ الاستشراق أبرزَ المستشرقُ المجري "جولدزيهر" Goldziher الاتجاهات المختلفة حسب التيارات الفكرية والسياسية لدى المفسرين عبر العصور التي عاشوا فيها ، وكان اقترابه من القرآن ، ومنهجه في البحث غير اقتراب "ثيودور نولدكه Theodoer Noldeke" منه ، إذ هذا الأخير تناول النص من وجهة نظر اللغويين ، أما "جولد زيهر" فركّز في أبحاثه حول القرآن والحديث على الأفكار المروية في كتب القدماء .

شكّلت دراسات جولد زيهر التفسير منذ عهد رسول الله (ﷺ) الأساس المنهجي والمعرفي لكل من جاء بعده من المستشرقين ، الذين اهتموا بشكل خاص بدراسة تاريخ حركة التفسير في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر على السواء .

لقد أصبح كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) نقطة الانطلاق لطلبة العلم في دراساتهم القرآنية الذي تُرجم إلى اللغة العربية فيما بعدُ ، ويرى الباحث وبما يمتلكه من ملكة في اللغة الإنجليزية من الضروري الإشارة إلى أن الترجمة نفسها فيها أخطاء كثيرة تعود إلى عدم فهم النص ، حتى العنوان لا يتمشى مع المقصود الذي تُرجم إلى العربية تحت عنوان "مذاهب التفسير الإسلامي" ؛ لأنَّ جولد زيهر لم يتحدث عن مذاهب في التفسير ، بل عن اتجاهات فكرية ، وسوف يتضح هذا من خلال مناقشة الأفكار ، والمسائل التي أثارها في كتابه والذي سيكون محور حديثنا في هذا الفصل إنشاء الله .

المبحث الأول

التفسير بالمأثور عند أهل السنة - (مدرسة ابن عباس والطبري - نموذجاً)

تعتبر مدرسة ابن عباس من مدارس التفسير بالمأثور ، وأن المستشرقين أمثال "ثيودور نولدكه" وجولد زيهر" أشادوا بهذا التفسير كما في قول الأخير: ((إن تفسير ابن عباس من أفضل التفاسير الإسلامية الأخرى ، فهو يعد معجزة التفسير ، وبحر العلم وحبر هذه الأمة، وترجمان القرآن الذي باركه الرسول ﷺ] ، بل كذلك باركه جبريل الملك ، وعلي ابن أبي طالب [عليه السلام] ، وقد قدمه الخليفة عمر ابن الخطاب (رض) وهو شاب بعد على أقدم أصحابه وأفضلهم))^(١) .

المطلب الأول: ابن عباس وأثره في التفسير

بسبب تأثر "جولد زيهر" بالمستشرق الكبير "ثيودور نولدكه" وتبنيه لرأيه ، طعن في تفسير ابن عباس وتلاميذه ، حيث قال: ((انه كان لا يرى غضاضة (أي ابن عباس) أن يرجع في الأحوال التي يغمره فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها ، وهناك شروح أخرى لا تحصى ترجع إلى ابن عباس ، ويبدو أنها مأخوذة من كتب تلاميذه التي أنجزت تارة أثناء مجالس العلم العامة ، وتارة في مجالسه الخاصة أو في مناقشاته ، على أن الاختلافات ، بل حتى أحياناً التناقضات بين هذه التفسيرات يمكن أن تفسر إلى حد ما كنتيجة للتطور الذي طرأ على فكر ابن عباس وعلى فكر تلاميذه الذين كانوا يتوجهون إليه دائماً بأسئلة ثم يؤلفون بعد ذلك كتبهم في التفسير))^(٢) .

يرى الباحث أن "جولد زيهر" كان يقصد أن ابن عباس كان يرجع إلى من يرجوا عنده تفسيراً لبعض الآيات في الحالات التي يغمره فيها الشك وان أكثر تفاسير ابن عباس تتضمن اختلافات وتناقضات من دون دليل ولا توجيه فهو افتراء على ابن عباس ، وما ذكره من الاختلافات والتناقضات لا ينبغي إطلاقه بدون ترجيح أو توجيه ، فإن ما ورد في ذلك لا يخلو من أمرين: إما أن يروى بإسناد ضعيف ، فما ورد بسند ضعيف لا يدخل في هذه المسألة ويكون من باب المرجوح.

(١) جولد زيهر :ص: ٨٣-٨٤

(٢) م - ن الصفحة السابقة ، وينظر: فؤاد سزكين :تاريخ التراث العربي ٦٠/١ . ترجمة فهمي أبو الفضل القاهرة .

أو أنه يروي بإسناد ثابت، وما ثبت فإنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وتناقض. أن الخلاف قد يكون بسبب القراءات المتواترة ففي بعض الأحيان يكون لكل قراءة معنى، وكذلك بعضهم يورد بعض القراءات الشاذة للتفسير لا للتلاوة. هذا بالنسبة لشبهة الاختلاف والتناقض.

وقد تمخض من هذه الشبهة أن "جولد زيهر" رتب على ذلك نتيجة التطور الذي طرأ في فكر ابن عباس وفكر تلاميذه. وأقول أيضاً: لم يذكر لنا ما هو هذا التطور وما نوعيته، إن هذا الاستنتاج باطل، وأنه لم يطرأ أي تطور على فكر ابن عباس ولا على فكر تلاميذه، لأن فكرهم ومنهجهم منضبط بين دفتي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس: ((انه إذا سئل عن أمر، فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ) أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله وكان عن الصحابة أخبر به، فإن لم يكن من ذلك اجتهد رأييه)).^(١)

وما ذكره من الاجتهاد فهو أهل لذلك، لقد تتلمذ وأخذ العلم عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) منبع العلم وأمير البلاغة والفصاحة. ولم يطلق رأييه في كل شيء فما لم يعرفه يسكت عنه ويأبى أن يقف ما ليس له به علم، فقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة قال رجل لسعيد بن جبيرة: أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} (النساء/ ٢٤) فلم يقل فيها شيئاً، فقال سعيد: "كان لا يعلمها"^(٢).

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة قال: "سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال له ابن عباس فما {يَوْمٌ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} فقال الرجل: إنما سألتك لتحديثي، فقال ابن عباس: ((هما يومان ذكرهما الله في كتاب الله، الله أعلم بهما))^(٣) فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

(١) أخرجه ابن سعد، وصححه ابن حجر الطبقات الكبرى ٣٦٦/٢ والإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٤٩.

(٢) المصدر والصفحة نفسها

(٣) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ص ٤٨ ط ١٩٨٥، دار الكتب العلمية - بيروت.

ثم يمضي جولد زيهر في استنتاجاته فيقول: ((ويتضح من النصوص أن التفسير القرآني قد تطور في هذه الفترة تطوراً قوياً وسريعاً. فضلاً عن هذا فلدينا انطباع أن ابن عباس وتلاميذه لم يكن بإمكانهم أن يتجنبوا التفسير الحر للقرآن الكريم في وقت تطور فيه تفسير القرآن تطوراً سريعاً، وكثيراً ما أدخل هؤلاء مبدأ "الرأي" وطبقوه في مجال التفسير. ودفع الحرص على تفسير القرآن أيضاً عبد الله بن عباس وبعض تلاميذه إلى علماء النصارى واليهود من أهل الكتاب)).^(١)

ليس عيباً أن يدخل ابن عباس وتلاميذه مبدأ الرأي و قبل أن نحكم أنهم فسّروا بالرأي لابد من معرفة ثبوت الإسناد إليهم، لأنه ما روي من طريق عكرمة أو عن طريق الضحاك بن مزاحم فكل هذه الطرق ضعيفة لا تثبت، أما ما ورد من الطرق الصحيحة في التفسير بالرأي عنهم فهو من قبيل الرأي المحمود لا المذموم .

يزعم "جولد زيهر" أن التفسير اللغوي الخالص للقرآن الكريم بدأ بإجابات ابن عباس على أسئلة نافع بن الأزرق فقال: ((ويبدو أن محاولات التفسير اللغوي الخالص للقرآن الكريم بدأت بإجابات ابن عباس على أسئلة نافع بن الأزرق أحد زعماء الخوارج)).^(٢)

وأقول أن هذا الاستدلال لا يقوى ما ذهب إليه "جولد زيهر" لأن هذه الأسئلة لم تثبت، فقد وصلت إلينا بواسطة الطبراني في (المعجم الكبير)^(٣)، وابن الأنباري في كتابه (الإيضاح في الوقف والابتداء)^(٤)، والسيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)^(٥)، وكل هذه الطرق تحتاج إلى بحث وتدقيق أكثر، فما أورده الطبراني من طريق جويبر وهو متروك في التقريب لابن حجر، وما أورده ابن الأنباري من طريق محمد بن زي وهو كذاب يضع الحديث^(٦)، وما أورده السيوطي من طريق

عيسى بن دأب: وهو منكر الحديث ويضع الحديث^(٧)، فكلها طرق تالفة لا تصلح للاستشهاد والاستدلال.

(١) جولد زيهر ١٢٩

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي ١ / ٦١ .

(٣) ٣١٢ - ٣٠٤ / ١٠

(٤) ص ٩٨ - ٧٦

(٥) ١٧٥ - ١٥٨ / ١

(٦) الحافظ ابن حجر ، لسان الميزان ٣ / ٥٥٢ .

(٧) [لسان الميزان ٤ / ٤٠٨ .

والملاحظ أن بعض المتقنين يوافق المستشرقين في أخطائهم فيما ينقله عنهم ويخالفهم في بعض صوابهم وهو قليل ومثاله هذه التساؤلات التي لم تثبت حيث ذهب إلى ذلك "جولد زيهر" فقال معقباً على قول المستشرق "لوث" (*) عليه: ((وهناك أسباب أخرى تجعلنا لا نتفق مع "لوث - Loth" ^(١) في اعتباره هذا الخبر مجرد أسطورة فابن عباس شرح المائتي كلمة - تقريباً - التي قدمها له نافع بن الأزرق أحد زعماء الخوارج بشواهد من الشعر الجاهلي)) ^(٢).

ووافق المستشرق "جولد زيهر" المستشرق (لوث) في بعض الافتراءات على ابن عباس فقال : ((إن المقتبسات الباقية التي ترجع إلى عبد الله بن عباس تذكر أحياناً أسماء عدد من الرواة. وفي هذه المقتبسات يتضح أن ابن عباس ذكر روايات عن النبي ﷺ [وعن كبار الصحابة، وأنه اعتمد - من ناحية أخرى - في شرح دلالات الكلمات على أحد المخضرمين وهو أبو الجلد غيلان بن فروة الأزدي. وكان أبو الجلد مخضرمًا يزهو بأنه قرأ كتباً قديمة. وقد ورد في هذه النصوص أيضاً اسمان ليهوديين أسلمًا، هما كعب الأحبار وعبد الله بن سلام، وكان كعب حبراً يمينياً ^(٣). وقد وصفها "لوث" بأنها "مدرسة ذات لون يهودي" تنتسب إلى ابن عباس)) ^(٤).

وفي هذا النقل وجهان من الافتراءات:

الوجه الأول أن ابن عباس روى عن أبي الجلد ثم استدل "جولد زيهر" بخمس روايات من تفسير

الطبري وذكر مواطنها وأسوقها بشيء من الإيجاز، قال الطبري: : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن البرق، فكتب إليه: "كتبت إلىّ تسألني عن البرق، وإنه من الماء". و أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم، والشجرة التي تاب عندها: فكتب إليه أبو الجلد: "سألتني عن الشجرة التي نهي عنها آدم، وهي السنبلة، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتون" وسألتني عن الرعد، فالرعد الريح" ^(٥).

(*) مستشرق انجليزي (١٨٤٤ - ١٨٨١) تخرج بالعربية على فلايشير في ليبزيغ، ونال الأستاذية بالرسالة عن ابن سعد، وعمل مدة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن من آثاره : رسالة من ملك العرب ليعقوب ابن الانسحاق الكندي ورسالة عن ابن المعتز ورسالة عن ابي سعد ، وهي أطروحته في الأستاذية (ليزيغ ١٨٦٩) ، والطبقات لابن سعد ، وفهرس المخطوطات العربية . معجم أسماء المستشرقين ص ٦١٩ مصدر سابق

(١): انظر: (1875) 298¹ Morgenlaksdische Forschungen (Fleischer-Festatachrf Lipzig

(٢) تاريخ التراث العربي ٦٥ / ١

(٣): انظر: جولد زيهر: مذاهب التفسير الاسلامي :ص ٨٧

(٤): المصدر السابق ص ٨٥

(٥) تفسير الطبري ١ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، : ١ / ٣٤٤ ، ٣٤٣ .

وهذه الروايات كلها ضعيفة ففي الرواية الأولى والثانية بشر بن إسماعيل، نقل ابن أبي حاتم عن أبيه أنه مجهول^(١) وكذا نقل الذهبي في (ديوان الضعفاء والمتروكين) والحافظ ابن حجر في (لسان الميزان) في ترجمته. وأما الرواية الثالثة ففي الإسناد فرات بن أبي عبد الرحمن القزاز ثقة لكن روايته عن ابن عباس منقطعة. فالإسناد ضعيف. وأما الرواية الرابعة والخامسة ففي كل واحدة منها شيخ مبهم لم يصرح باسمه، وكذلك في الرواية الأولى والثانية أبو كثير ما عرفت من هو، عن أبي الجلد. هذا بالنسبة للإسناد

أما بالنسبة للمتن فقد ورد عن ابن عباس أن تفسير ((الرعد)): الريح. وما ثبت عنه مرفوعاً أنه ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب كما أخرج أحمد^(٢) والترمذي^(٣) والنسائي^(٤) وابن أبي حاتم^(٥).

هذا وقد وردت عدة روايات عن ابن عباس ظاهرها التناقض ولكن بعد النقد نجد التوجيه بالترجيح، وبالتمثيل يزداد التوضيح، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ} (سورة النساء آية ٨). عن ابن عباس قولان:

١- ما أخرجه البخاري بسنده الصحيح عن ابن عباس قال: ((هي محكمة وليس بمنسوخة))^(٦)

ب-: ما أخرجه ابن أبي حاتم في (تفسيره)^(٧) بسنديهما عن عطاء الخراساني عن ابن عباس أنها منسوخة. وأخرجه النحاس في (الناسخ والمنسوخ) من طريق حميد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس^(٨). فهل نقول أن القولين متناقضان؟ كلا لأن الرأي الأول ورد بسند صحيح، أما الرأي الثاني فهو ضعيف فيه عطاء الخراساني صدوق يهتم كثيراً ويرسل ويدلس ولم يلق ابن عباس، وكذلك سند النحاس فيه حميد الأعرج وهو ضعيف وأخرجه ابن مردويه أيضاً بسند ضعيف

(١) الجرح والتعديل ٣٥٢/٢.

(٢) المسند رقم ٢٤٨٣

(٣) السنن - التفسير سورة الرعد رقم ٣١١٧

(٤) في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف ٣٩٤/٤.

(٥) التفسير رقم ١٨٦. مصدر سابق

(٦) الصحيح - كتاب التفسير - سورة النساء - باب {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ} رقم ٤٥٧٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم - سورة النساء رقم النص ٣٣٦٦.

(٨) ص ٩٥

وإما الوجه الثاني من اتهام "جولد زيهر" لابن عباس في قوله: ((وقد ورد في هذه النصوص أيضاً اسمان ليهوديين أسلما هما كعب الأحبار وعبد الله بن سلام))^(١).

لم يبين لنا هذه النصوص ولعله أراد هذه النصوص التي أشار إليها وذكرتها آنفاً عن الطبري، فإن لم يقصد هذه النصوص فيا ليته بين لنا هذه النصوص لكي نفندھا ونبين زيفها أو نوجد المراد منها. - ثم نقل عن المستشرق "لوث" بأنهما- أي كعب الأحبار وعبد الله بن سلام- (مدرسة ذات لون يهودي) تنتسب إلى ابن عباس.

علق الدكتور عبد الحليم النجار على ما ادعاه "جولد زيهر" في كلامه المذكور مستكشفاً سوء نيته منه بقوله: ((لا بأس بأن يسأل ابن عباس كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وغيرهما من المسلمين في أمور الدين حيث كان هذا هو العادة الجارية المتبعة بين الصحابة إلا أن "جولد زيهر" يرمي إلى هدف آخر من قوله: وهو أن ابن عباس لم يحتل المكانة العلمية المرموقة إلا نتيجة لتعلمه من اليهود واستفادته من أحبارهم وسواء في ذلك كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، فهو يريد أن يقول : أن الإسلام يعود في معظم أصوله وأحكامه إلى اليهودية، وهذا ما صرح به غير مرة في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام"))^(٢).

يبدو للباحث أن المستشرقين وقعوا في الخطأ مره أخرى أقول: لقد أسستم كلامكم على شفا جرف هار، أين المدرسة ذات اللون اليهودي؟ وأين نصوصها ورواياتها؟ وإذا كان ابن عباس قد روى عن كعب وعبد الله بن سلام كما تزعمون فهل يقال أنها مدرسة تنسب إلى ابن عباس وهو الذي يأخذ منهم! وعلى احتمال أنهم وقفوا على بعض النصوص عن هذين الراويين فإنه لا يقال أنها مدرسة يهودية فهو لاء دخلوا الإسلام والإسلام يجب ما قبله.

(١) تاريخ التراث العربي ٦٥/١. وينظر جولد زيهر ص ٨٧

(٢) جولد زيهر ٨٨

المطلب الثاني: مدرسة ابن عباس (تلاميذ ابن عباس)

يذهب جولد زيهر: إلى القول ((أن تفاسير هؤلاء العلماء وتفسير شيخهم ابن عباس تضم شروحات تاريخية وفقهية وتصويراً تعسفياً لعالم الغيب، إلى جانب توضيحات كثيرة ذات طابع لغوي، تدخل في دراسة مفردات اللغة)).^(١) و لقد اكتفى جولد زيهر بالكلام عن سعيد بن جبير (*) و مجاهد بن جبر المكي (*) باعتبار الأخير احد رواد التفسير بالرأي حسب ما يزعّم.

١- سعيد بن جبير من كبار التابعين، لازم سعيد بن جبير عبد الله بن عباس لزوم الظل لصاحبه، فأخذ عنه القرآن وتفسيره، وتلقى عنه القراءات القرآنية الثابتة عن رسول الله (ﷺ) وقرأ بها، وتفقه على يديه في الدين، وتعلم منه علم التأويل، وعلى الرغم من مكانته العلمية التي كان يحظى بها، وخاصة معرفته الواسعة بتفسير كتاب الله، إلا أنه - رحمه الله - كان يتورع عن القول في التفسير برأيه^(٢) ومما يروى عنه في هذا الشأن: أن رجلاً سأله أن يكتب له تفسيراً للقرآن، فغضب، وقال له ((لأن يسقط شقي، أحب إليّ من أن أفعل ذلك))^(٣)

(١): جولد زيهر: ص ٨٩

(*) سعيد بن جبير الوالبي (المتوفى ٩٥ هـ/ ٧١٣ م)، المقرئ الكوفي، احد الإعلام، سمع من ابن عباس وعدي بن حاتم... قتله الحجاج في شعبان، سنة خمس وتسعين، وله تسعة وأربعون سنة، وهو من الذين كانوا يقرأون هذه الآية (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)، انظر الشيخ المفيد، المسائل الصاغانية ص ٣٧ وينظر. تذكرة الحفاظ: ٧٦، وانظر تفسير ابن كثير ٤٧٤/١

(*) (*): مجاهد بن جبر المكي، "المتوفى ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م" أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، روى عن علي عليه السلام وسعد بن ابي وقاص والعباد له الأربعة. وراع بن خديج وغيرهم. وروى عنه عطاء وعكرمة، وابن عون، وعمر بن دينار وغيرهم، مات سنة ١٠٠ هـ، وقيل ١٠٣ هـ، ينظر: الشيخ الطوسي، الخلاف، ج ١، ص ٥٤

(٢) ظ: الشيخ المفيد، المسائل الصاغانية ص ٣٧

(٣): تاريخ التراث العربي ١ / ٦١.

كما ذهب إلى ذلك "جولد زيهر" حيث يقول: ((ولأجل ملازمة سعيد ابن جبير لـ ابن عباس، ومكانته العلمية بين التابعين، فقد كانت أقواله مرجعاً أساساً، ومنهلاً عذباً لأهل التفسير، يرجعون إليها، ويغترفون من معينها في تفسير كثير من آيات الذكر الحكيم))^(١). ويذكر جولد زيهر ((إن ابن سعيد سأل أحد اليهود قائلاً: أخبرني أي الآجلين قضى موسى: قال: لا أعلم، وعندما سأل ابن سعيد ابن عباس قال له: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف، وهذا يعني إن ابن سعيد كان يرجع إلى ابن عباس في التفسير))^(٢)

٢- التفسير لمجاهد المتوفى سنة ١٠٤ هـ

ذهب "جولد زيهر" إلى القول في تفسير مجاهد: ((أما مجاهد وهو أحد تلاميذ ابن عباس المقربين إليه فقد انطلق في التفسير الحر إلى مدى بعيد، بحيث إننا نجد عنده بدايات التأويل المجازي بعبارات المشبهة، وهو موضوع عني به المعتزلة فيما بعد عناية شاملة)).^(٣)

والجواب على مثل هذا القول: إن مجاهداً من أثبت تلاميذ ابن عباس في التفسير وأقربهم إليه وأنه أخذ عن بضعة عشر من أصحاب رسول الله (ﷺ) فقد صح عن مجاهد أنه قال: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"^(٤). فهو لا يعرف مبدأ التفسير بالرأي (المذموم) بل يعرف القراءة والعرض والسؤال عن التفسير فيأخذه عن حبر الأمة في التفسير وكان يكتب التفسير عن ابن عباس، وأخرج الطبري عن ابن مليكة أنه قال: ((رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواح، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سألته عن التفسير كله))^(٥)

(١) : انظر م - ن : ٥٦/١ ، ٧١

(٢) جولد زيهر ص ٨٩ وما بعدها

(٣) رواه الطبري بسنده عن الثوري التفسير رقم ١٠٩. وينظر: جولد زيهر ص ٢٩١ وما بعدها

(٤) تاريخ التراث العربي ١/ ٦٠. كذلك ينظر: جولد زيهر: ص ١٣٠ وما بعدها

(٥) أخرجه الطبري بسند صحيح عن ابن أبي مليكة به التفسير رقم ١٠٧ تحقيق أحمد شاكر.

وأما تفسيره عن النبي (ﷺ) لم فلو تتبعنا مروياته في تحفة الأشراف فقط لرأينا عشرات الروايات يرويها مرفوعة بواسطة الصحابة، وأغلبها على شرط البخاري ومسلم^(١). كما استنبط من أقوال الصحابة كما في تفسير ابن مسعود "لهو الحديث" الغناء، فقد ثبت عنهما هذا التفسير.

وأما ما نقله عن الصحابة، فقد روى عن بضعة عشر صحابياً كما ورد عن السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) فقد روى بسنده عن ابن مجاهد قال: قال رجل لأبي: "أنت الذي تفسر برأيك؟ فبكي أبي ثم قال: إني إذا لجريء لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي (ﷺ)"^(٢)

أما القول في عكرمة مولى عبداً لله ابن عباس من أنه قد أساء استغلال علاقته بابن عباس فنشر باسمه ما لم يسمع منه أصلاً، يقول الدكتور عبد الحليم النجار: (بل الراجح إن ذلك كان لكونه خارجياً متهماً في علمه)^(٣)

وقد اعتمد "جولد زيهر" على بعض المعتزلة إضافة إلى المستشرقين فنقل عنهم ببعض المفسرين التابعين، ثم أتبعه بافتراء آخر عليهم وعلى ابن عباس بأن تفاسيرهم تضم تصويراً تعسفياً لعالم الغيب فقال: ((وقد رمى أبو إسحاق النظام - وله مكانته بين المعتزلة - عدداً من المفسرين بأنهم فسروا القرآن بشكل تعسفي خالص لا يقوم على أساس من المأثور))^(٤)

لقد أخفق أيضاً في نقله عن النظام المعتزلي لأن رأي هذا المعتزلي معزول عن آراء النقاد من الذين مارسوا علم الجرح والتعديل، لقد اتفق النقاد جميعاً على توثيق هذه النخبة المرموقة من

التابعين المفسرين ولم يذكروا فيهم ما قاله النظام، بل إن تفسيرهم يقوم على أساس التفسير بالمأثور وخصوصاً عن شيخهم ابن عباس اللهم إلا رواية الضحاك فمنقطة وتفسيره بواسطة سعيد بن جبير^(٥) فهو من التفسير بالمأثور أيضاً.

(١) انظر تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ٨٩/٥ طبعة الشع (ت ٧٧٤ هـ): تفسير القرآن العظيم ط ١٩٦٩، دار المعرفة - بيروت.

(٢) انظر على سبيل المثال تحفة الأشراف ٢١٣-٢١٨.

(٣) د. عبد الحليم النجار: مذاهب التفسير الاسلاميه: الهامش ص ٩٦

(٤) انظر: جولد زيهر: ص ٧٥ وما بعدها

(٥) أخرج الطبري بسنده عن عبد الملك بن ميسرة قال: لم يلق الضحاك ابن العباس وإنما لقي سعيد بن جبير بالري وأخذ عنه التفسير رقم ١١٠، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ١٩.

أما القول: الذي نسب إلى هؤلاء التابعين المفسرين بأنهم فسروا القرآن بشكل تعسفي خالص فهو لا يقوم على أساس من المأثور.

إنهم هؤلاء التابعين هم من ثقات التفسير بالمأثور وما ورد عنهم مراسيل فإن صحت من طرق عن التابعين فإنها تقوي بعضها بعضاً، ولو تتبعنا كتب التفسير بالمأثور لرأينا ألوف الروايات التفسيرية المنقولة عن هؤلاء التابعين، وأختم هذه المسألة بأن ما نقل عن أبي إسحاق النظام وقع فيه المعتزلة جميعاً فتفسيرهم لا يقوم على أساس من المأثور وكتبهم تشهد بذلك، فهذا سعيد بن جبير يرحل من الكوفة إلى مكة المكرمة ليسأل ابن عباس عن تفسير آية^(١)، فلو كان من أهل الرأي

(المذموم) لفسر برأيه وأراح نفسه ولم يتجشم مشقة السفر آنذاك.

(١) انظر صحيح مسلم- كتاب التفسير رقم ٣٠٢٣، هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت (٢٦١) : ط١، دار ابن حزم - بيروت .

المطلب الثالث:- تفسير الطبري (*):

إن تفسير ابن جرير من أكبر كتب التفسير بالرأي، غير أنه رأي محمود؛ لاعتماده على تفسير الصحابة وعدم خروجه عن أقوالهم، مع اعتماده على المصادر الأخرى في التفسير. كما أن تفسيره من أكبر مصادر التفسير المأثور.

يقول جولد زيهر: ((مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن جرير الطبري، من أعظم رجال العلم الاسلامي في جميع العصور. ولقد قدره العلم الاوروبي حق قدره، ولدينا في هذا الكتاب دائرة معارف غزيرة الثروة من التفسير المأثور يقدمها لنا الطبري نفسه))^(١).

وكتب "ثيودور نولدكه" في سنة ١٨٦٠ - صادرا في حكمه عن قطع وجدها منه ونصوص نقلتها عنه كتب أخرى قائلا: ((لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغني عن كل كتب التفسير المتأخرة عليه، ولكن يبدو - للأسف - مفقودا بالكلية))^(٢).

وكما هو يمجده كوثيقة تاريخيه، فهم في المقابل يطعنون فيه، وها هو "جولد زيهر" يطعن في تفسير ابن جرير الطبري "جامع البيان"، ويبالغ في ذكر وتضخيم ما ورد فيه من إسرائيليات، دون ذكر لمنهج الطبري في عرض الروايات، بل ويزعم أن مقاطع كثيرة من تفسير الطبري مرتبطة بمثلها من سفر التكوين الذي يعرض للروايات اليهودية والنصرانية، وأن وهب بن منبه هو الطريق الذي انتقلت بواسطته هذه الآثار في نهاية القرن الأول الهجري.^(٣) ثم بعد هذا يذهب "جولد زيهر" إلى إن الطبري يتوسع في استخدام المصادر اليهودية الأصل^(٤)

(*) هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (٢٥١-٣١٠ هجرى)، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو من أهل أمل طبرستان، ولد بها سنة ٢٢٤ هـ أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، سنة ست وثلاثين ومائتين، وطوف في الأقاليم، فسمع بمصر والشام والعراق، ثم ألقى عصاه واستقر ببغداد، وبقي بها إلى أن مات سنة عشر وثلاثمائة، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ١، ٢٦٩.

(١): جولد زيهر: ص ١٠٧

(٢): م - ن : ص ١٠٨

(٣): م - ن : ص ١١١

(٤): انظر: م - ن : ص ١١٢

فيقول: ((بل كتابه اغرز الكنوز بالنصوص المنتشرة في الأوساط الإسلامية من مواد الأسرائيليات. كذلك الأساطير النصرانية يرويها راجعا إلى وهب بن منبه))^(١) ويشير "جولد زيهر" إلى هذا المعنى من تفسير الطبري لقوله تعالى: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} (٧٢ سورة البقرة)، بقوله: ((والتفسير المأثور لهذه القصة والمعتمد على معنى غامض محور الفهم للفصل ٩-١ من الإصحاح ٢١ من كتاب ألتثنيه من التوراة))^(٢).

و في موضع آخر يشير "جولد زيهر" إلى كراهية الحنابلة للطبري فيقول: ((إن الحنابلة يضمرون له كراهية شديدة بتصريحه بالتقليل من شأن أحمد ابن حنبل وكذلك بجرأته على التصريح برأي في الآية ٧٩ من سورة الإسراء أثار تعصب الحنابلة عليه {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} (٧٩ سورة الإسراء)، ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب لحنابلة . . إلى أن الذي يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبي معه على العرش . . . ربما كان هذا متأثراً بما جاء في إنجيل مرقس ١٦ - ١٩ ، وآخرون ذهبوا إلى(*) أن المقام المحمود . . هو

مرتبة الشفاعة التي يرفع إليها النبي))^(٣).

ثم يشير "جولد زيهر" إلى الفتنه التي سجلت في بغداد فيقول: ((لقد كان الطبري يقاسي ثورة الغوغاء الذين البهم عليه حنابلة متعصبون وحينما عقب على التفسير المألوف لنفس الآية بقوله: إن حديث الجلوس على العرش محال، ثم انشد:

سبحان من ليس إليه أنيس
ولا له في عرشه جليس
فرماه آلاف المستمعين بمحابرهم ، واضطر إمام حنق التلاميذ الحنابلة ان يدخل داره التي هاجمها العامة مواصلة لثورة التلاميذ وقذفوها بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم))^(٤).

(١) م - ن : ص: ١١٢

(٢) : انظر: جولد زيهر: ص ١١٤

(*) يقصد المذاهب الأخرى

(٣) : انظر: م - ن : ص ١١٧ - ١٢٣

(٤) م - ن

يقول البيهقي في دلائل النبوة: ((أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من اليهود وأدخلوها في الثقافة الإسلامية ، وأضاف إليها هؤلاء المقلدة إجلال نبيهم إلى جنب الله تعالى ! بينما روى اليهود إجلال موسى وداود إلى جنبه ! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير إلى جنب أبيه))!!^(١)

ويضيف البيهقي إلى قوله: ((ونلاحظ أن ابن سلام اليهودي الذي أسلم يقول عن نبينا ﷺ) : إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل " يلقى " له كرسي في جنب المجلس مثلاً فيجلس عليه !))^(٢) ونقل البيهقي: عن عبد الله بن سلام أيضاً فقال: ((وينجو النبي ﷺ) والصالحون معه ، وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم . . حتى ينتهي إلى الله عز وجل فيلقى له كرسي))^(٣).

الخلاصة :

يظهر للباحث ما نقله أولئك المستشرقون من اليهود والنصارى، يشوه التفسير بالمأثور المنقول عن أولئك الرجال الذين طعن فيهم، وفي تشويه التفسير بالمأثور ورجاله تشويه لعلم التفسير، وهو أساس التفسير، وبواسطته يقع ويكتمل علم التفسير وذلك بمعرفة أحكام القرآن، وبيان المشكل، والوقف والابتداء، وأسباب النزول، والمكي والمدني، والخاص والعام، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد، والقراءات، والغريب، وفضائل الآيات والسور وكل هذه المعارف تنبثق من علم التفسير بالمأثور ولا يقوم علم التفسير بدونها.

(١): البيهقي : ابو بكر محمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م): دلائل النبوة: ج ٥ ص ٤٨٦ ، دار احياء التراث العربي بيروت (د.ت)

(٢) - م - ن

(٣) - م - ن

المبحث الثاني التفسير بالرأي عند المعتزلة

توطئة :

حدث انشقاق على تفسير القرآن بالمأثور، دون أن يحس أو يقصد ممثلوا هذا الانشقاق من القدماء أن يكون تفسيرهم حرباً على الرواية والنقل. وصدر ذلك لأول مرة عن مذهب أهل الرأي الإسلاميين : عن أولئك الذين يذهبون مذهباً دينياً أراد أن ينفي عن الصورة التي يحملها المؤمن في قرارة نفسه للألوهية، وحقيقتها، وتدبيرها ، كل ما يتجافى عن العقل ، وينزل بها على نحو لا يليق بدائرة الماديات ، وكذلك كل اختيار يتنافى مع مقتضيات الحكمة^(١) .

ولا ريب أن هؤلاء الناس الأتقياء – ويسمّون المعتزلة – قد وقعوا في تعارض مع تصورات سائدة بدت فيها الألوهية المجسّمة غير منفصلة عن صفاتها ؛ ولم تفهم القدرة الإلهية فهماً يختلف كثيراً عن قدرة سلطان يتصرف دون مسؤولية، لا تحده قيود. هذا الموقف المعارض الذي اتخذته قدماء المعتزلة تجاه الكثير من التصورات السائدة عن طريق النقل، أدى من قبل إلى تجانس في المذهب بين أهل الرأي المتشددين وسرعان ما اتسعت دائرتهم فصارت حزب الذين يواجهون الآراء المأثورة باستقلال وحرية على طول الخط ، ادخل المعتزلة لأول مرة مبدأً أساسياً ذلك هو العقل من حيث هو مصدر للمعارف الدينية، ومعيّار توزن به الحقيقة الدينية فالمعتزلة ينقادون في أنظارهم إلى مجرد العقل . بل هم يجعلون الأنبياء أنفسهم يقيمون الحجة على صدق رسالتهم الإلهية بأنهم أرسلوا من الله للنظر في أدلة العقل والاستدلال^(٢) .

وفي هذا البحث حاولت التعرف على بعض الشبهات التي أثارها المستشرقون في التفسير بالرأي وذلك بقراءة ما كتبه المستشرق "جولد زيهر" في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) في فصل عن التفسير بالرأي ، لذا فسوف أذكر ملخص الشبهة ومن ثم محل فهمها من كلام هذا المستشرق ثم الأدلة التي يستدل بها إن وجدت والجواب عليها .

(١) ظ: جولد زيهر ص ١٢١ (نقل بتصرف)

(٢) ظ: نفس المصدر والصفحة (نقل بتصرف)

المطلب الأول: دعوى التحريم المطلق للتفسير بالرأي :

من ابرز ما ذكره المستشرق "جولد زيهر": انه ينقل عن الصحابة تحريم التفسير بالرأي - مع عدم التفريق بين المحمود والمذموم ،ويقول أنهم حذروا منه وأن المرجع الوحيد في التفسير عندهم هو المأثور والذي يسميه " العلم " فيقول ^(١) مستندا إلى صحيح الترمذي : ((فان القرآن لا يجوز تفسيره بالرأي. ... وإنما الطريقة الصائبة الفذة في تفسير الكتاب الحكيم هي: التفسير بعلم و من فسر القرآن بالرأي أو بالهوى فقد كفر)) ^(٢)

يظهر للباحث أن "جولد زيهر" أراد من بيان تحذير المسلمين من التفسير بالرأي فقدان الثقة به ، وأن آل البيت عليهم السلام و أصحابه قد حاربوه ، حيث جاء في تفسير السيد الخوئي قوله : ((.....التفسير بالرأي ، وقد نهى عنه في روايات متواترة بين الفريقين ... ويحمل أن معنى التفسير بالرأي الاستقلال بالفتوى من غير مراجعة الأئمة (عليهم السلام) ، مع أنهم قرءاء الكتاب في وجوب التمسك ، ولزوم الانتهاء إليهم.....)) ^(٣)

ويشير "جولد زيهر" إلى أصحاب المدرسة العقلية فيقول: ((ادخل المعتزلة العقل من حيث هو مصدر المعارف الدينية، ومعيار توزن به الحقيقة الدينية ويثير المعتزلة - من باب أولى - حربا لا هوادة فيها على كل نوع من الإيمان من الخرافات والعجائب مما سمح به أهل السنة ، أي لم يعدوه في دائرة الخرافات - وتمرد المعتزلة في حربه دون حيطة على الإيمان بالسحر والكهان وما يتصل بذلك من خرافات)). ^(٤) فإذا فُقدت الثقة بالتفسير بالرأي كله والذي يشمل المحمود أوقفنا بعد ذلك على عدم الثقة بالتفسير بالمأثور لاضطرابه وكما قال سابقا ^(٥) وبذلك يكون قد أتى على نوعي التفسير الثابت عن علماء المسلمين فأنكرهما.

(١): جولد زيهر : ص ٨٠

(٢): الترمذي : ج ٢ ص ١٥٧

(٣) السيد الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ص ٢٦٩

(٤) انظر : جولد زيهر: ص ١٥٨-١٥٩

(٥) : انظر: جولد زيهر: ص ١٤١

المطلب الثاني :- رجال التفسير بالرأي :

يشير المستشرق "جولد زيهر" إلى أول رجل من رجال التفسير بالرأي ويعتبره انموذجاً لهذا التفسير فيقول: ((من رجال التفسير بالرأي الكبار الزمخشري(*) (نموذج للتفسير الاعتزالي)). ويذهب "جولد زيهر" في تفضيل الزمخشري حتى من قبل أهل السنة فيقول: ((إن أهل السنة المحافظين أنفسهم يميزون الزمخشري ، على الرغم من موقفه المضاد لهم ، بلقب : إمام الدنيا وهو يساوى ألقب الأوربي "doctor universalin"))^(١)

وفي الواقع استمد التفسير المخالف فوائد كثيرة من كتاب الزمخشري ، إذ جعل المؤلف المعتزلي نصب عينيه دائماً، على خلاف طريقة التفسير عن أهل السنة المحترفين ، ان يلقي الضوء على الجمال والكمال البلاغيين في النصوص المقدسة الى جانب مقتضيات الفهم اللغوي والى النيل من خصومه المفسرين من أهل السنة، ولم يغيب هذا المفهوم عن فكر المستشرقين حيث ينقل "جولد زيهر" عن تفسير الزمخشري ويقول: ((لا يدع الزمخشري فرصه تمر دون أن ينال مغمراً من خصومه الاشاعرة ، وأحب الأسماء عنده لهم : المجبرة ، الحشوية ، المشبهة ، وأحياناً المبطلة))^(٢). ويضرب جولد زيهر مثلاً لتفسير الزمخشري قاصداً به أهل السنة في قوله تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (سورة آل عمران) ، بالقول: ((وهم اليهود والنصارى وقيل هم مبتدعوا هذه الأمة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم))^(٣).

(*) هو محمود بن عمر الزمخشري المولود سنة (٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م) والمتوفى سنة (٥٣٨ هـ - ١١٤٣ م) من الإقليم الفارسي: خوارزم حيث كان مذهب الاعتزال على عهده لازال يجد مأوى خصيباً ، وهو صاحب كتاب التفسير المشهور "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل " معتزلي الاعتقاد حنفي المذهب عبقرياً بالنحو والأدب والتفسير ، ومن الجانب اللغوي كشف عن جمال القرآن ، وسر بلاغته كما له أحاطه من معلوم لبلاغة البيان والأدب والنحو والتصريف استطاع أن ينال الاعتراف من الصديق والعدو بأن كتابه احد الكتب الاصلية في التفسير وان يحصل بهذا التقدير على شهره كبيره على انه ، ينظر : مذاهب التفسير الإسلامي: ص ١٤٨

(١): جولد زيهر ص ١٤٨

(٢) م - ن

(٣) م - ن

ويمجد "جولد زيهر" الزمخشري لتفسيره الآية ٧ من سورة آل عمران ويعتبرها المبدأ المنهجي لتفسيره: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (٧: سورة آل عمران) فيقول نقلا عن تفسير الزمخشري: ((إن معنى محكمات هو الآيات التي أحكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه ، أي فلا يمكن أن تقبل تفسير آخر غير معنى اللفظي البسيط ، والمتشابهات هي المحتملات لوجوه كثير من التفسير . وأم الكتاب، أي أصل الكتاب ، تحمل المتشابهات عليها وترد إليها))^(١) .

ويرى "جولد زيهر" ((إن الزمخشري بغوص في آيات القرآن على الصور الشعرية من مثل التعبيرات التخيلية ويشير إلى هذا المعنى من قوله تعالى : {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (٢١: سورة الحشر) هنا يقول الزمخشري : هذا تمثيل وتخييل.))^(٢)

وينقل جولد زيهر كلام المعلق السني بقوله: ((أفلا كان يتأدب (أي الزمخشري) بأدب الآية حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل تلك الخيالات نضربها للناس))^(٣)

ويشيد جولد زيهر بتفسير الزمخشري بالآية الكريمة {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (١١: سورة فصلت) قائلا: ((فالأممر الصادر من إلى السماء والأرض وطاعتهما يعني إن الله [سبحانه] أراد تكوينها فلم تمتنع عليه ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع ، وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ، ويجوز أن يكون تخيلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما: اتئيا شئتما ذلك أو أبيئتما))^(٤) .

(١) جولد زيهر ص ١٥١

(٢) م - ن : ص ١٥٥

(٣) م - ن

(٤) م - ن

ويذكر "جولد زيهر" رجال آخرين من التفسير بالرأي ولكن لم يشير إلى تفاسيرهم فيقول: ((وليس هذا بالمثال الوحيد فأن الذهبي(*) يذكر في كتابه عن المحدثين الأحكام الطافحة بالمجد والفخار عن العالم الديني الكبير: سعيد ابن إسماعيل السما لرازي(**). ودون تضيق من هذا التمجيد" يضيف الذهبي إلى هذا اللقب، مع احتفاظه بنفس الوقت بموقفه المذهبي، هذا التعقيب: ولكنه كذلك شيخ المعتزلة، وذلك مما يستوقف النظر، فان تفوقه في العلوم لم يعصمه من البدعة)).^(١) ثم يشير "جولد زيهر" بعد ذلك الى فخر الدين الرازي(***) وهو من رجال التفسير بالرأي فيقول: ((وللحديث عن تفسير من أهم التفاسير التي اعتمدت منهج التفسير بالرأي منهجاً أساساً في تفسير القرآن، وهو تفسير "مفاتيح الغيب" لمؤلفه الإمام الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي))^(٢) ، والشخصية الرابعة من رجال التفسير بالرأي والتي اشار إليها أبو هلال العسكري فيقول ((لا يجوز أن نمضي هنا دون أن نذكر أبا هلال العسكري(***) ولم يبدُ مفسراً نشطاً أكثر من الزمخشري في بيان الإعجاز البلاغي لنظم القرآن))^(٣) .

من الواضح إن "جولد زيهر" يفضل التفسير بالرأي على التفسير بالمأثور، وهذا التفضيل والتمجيد لا بد له من سبب،: هو أن مدرسة الاعتزال قد انقضت وولت ولم يبق لها دورا في المنهج الإسلامي، وبانتهاء الفكر الاعتزالي يكون قد انتهى التفسير الإسلامي (حسب ما يظن) ، وينسحب هذا على القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفكر الإسلامي، وهذا هو مرادهم.

(*) محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ-١٣٤٧م)

(**) المتوفى (٤٤٣هـ - ١٠٥١م) الذي كان يعتنق تعاليم رأسين من رؤوس الاعتزال ، أبو هاشم وأبو علي الجبائين انه كان في وقت واحد عظيماً من حيث هو زاهد فقيه عالم بالحديث ، لا يمك أن يجاريه احد في عصره ، ويجوز أن يسمى بحق تاريخ زمانه. انظر ، جولد زيهر ص ١٤٦

(١): المصدر نفسه ، وينظر: تذكرة الحفاظ شمس الدين الذهبي: ج ٣ ص ٣١٨ ، ط/ دائرة المعارف العثمانية بالهند.

(***) المتوفى "٦٠٦هـ = ١٢٠٩م" الذي كان فريد عصره، ونايعة دهره؛ إذ جمع كثيراً من العلوم وبرع فيها، فكان إماماً في التفسير، وعلم الكلام، وعلوم اللغة، والعلوم العقلية، وغيرها. وكان - لما تمتع به من منزلة علمية - مقصد العلماء، ومحط الأنظار... ويُعدُّ تفسيره المشار إليه أنفأ من أشهر مصنفاته، وهو تفسير مطبوع، ومتداول بين أهل العلم؛ وقد حظي هذا التفسير

بشهرة واسعة بين أهل العلم؛ لما امتاز به من سعة في الأبحاث في نواحي شتى ٦ م - ن

(٢): ينظر جولد تسيهر: ص ١٤٦

(***) المتوفى "٤٩٥ هجري" كما ورد في مقدمة كتابه: الصناعتين- أل كتابه والشعر الذي اثر تأليف هذا الكتاب النفيس القيمة قصداً إلى تمكين المعرفة بإعجاز القرآن، وهو ممن يعتقد به إلى ابعد مدى، كان يدور في مدار المعتزلة .. م - ن

(٣): المصدر نفسه: ص ١٤٧

لمطلب الثالث : مناقشة أدلة جولد زيهر (نماذج تفسيرية).

والرد على أدلة "جولد زيهر" نقول ما يلي:

أولاً : تحريم التفسير بالرأي .

١- قوله تعالى : {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (الأنعام: ٦٨)

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (٧) سورة آل عمران .

٢ - نهى النبي (ﷺ) عن التفسير بالرأي : كقوله (ﷺ) : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ^(١)) ، وكالحديث الذي أخبر النبي (ﷺ) أنه يخشى على أمته من ثلاث وذكر منهم : " رجال يتأولون القرآن على غير تأويله " ^(٢) وقوله (ﷺ) (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار).^(٣)

٣- نهى آل البيت (عليهم السلام) وامتناعهم من تفسير القرآن بمجرد الرأي . قال الإمام الصادق (عليه السلام) من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ كان إثمه عليه^(٤) وقال أيضاً: ((إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ، ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند انفسهم بآرائهم ، واستغنوا بذلك عن مسائله الأوصياء فيعرفونهم))^(٥)

(١) انظر- ن:ص ١٠٤

(٢) : صحيح الترمذي:ج ٢ ص ١٥٧

(٣) : مراسيل أبي داود :ص ٥٥ ، أبي بكر عبد الله ابن أبي داود سليمان بن الأشعث (ت ٣١٦ هـ - ٩٢٨ م):المطبعة الرحمانية،(مصر- ١٩٣٦ م).

(٤) أخرجه الترمذي ٦٧: ١١ ورواه الصدوق في الغنية في حديث طويل عن النبي(ص)

(٥) البحار: ٢/ ١٠٧/ ٩ وص ١١/ ١١٠ نقلا عن ميزان الحكمة محمدي الريشهري ص ٢٥٣٢

(٥) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص ٢٦٩ .

٤- نهى الصحابة وامتناعهم من تفسير القرآن بمجرد الرأي:
كما ورد عن أبي بكر (رض) عنه قوله : (أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم) ^(١) . وكوقوف عمر (رض) عن تفسير الأب في قوله تعالى : (وفاكهة وأباً) حيث قال (عرفنا الفاكهة فما الأب ؟ فقال : لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف) ^(٢)

٦- تحذير الصحابة من التفسير بالرأي : كقول سعيد بن جبير - رحمه الله - (ت: ٩٥هـ) قال لرجل طلب إليه تفسير بعض آيات القرآن فقال : (لأن تقع جوانبي خير لك من ذلك) ^(٣).

يمكن الجواب عن هذه الأدلة التي ذكرها جولد زيهر بجواب عام وهو أن العلماء المسلمين المفسرين للقران الكريم، قد قسموا التفسير بالرأي إلى قسمين أ - تفسير بالرأي المذموم :- وهو التفسير بمجرد الهوى وبلا استكمال لأدوات التفسير وشروطه

أي تفسير القرآن تفسيراً غير جارٍ على قوانين العربية ولا موافق للأدلة الشرعية،. يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون: ((القسم المذموم فلا يعقل وجود تعارض بينه وبين المأثور: لأنه ساقط من أول الأمر، وخارج عن محيط التفسير بمعناه الصحيح)). ^(٤)

وجميع ما ورد من الأحاديث والآثار التي فيها النهي عن التفسير بالرأي إنما قصد بها هذا النوع من التفسير ؛ أي التفسير بالمذموم . وإنما قلنا بحملها على هذا النوع من الرأي لوجود أدلة أخرى تدل على جواز التفسير بالرأي المحمود وعلى وقوعه عند علماء المسلمين .

ب - تفسير بالرأي المحمود : وهو تفسير القرآن بموافقة كلام العرب مع موافقة الكتاب والسنة ومراعاة شروط التفسير: "وهو الذي يعقل التعارض بينه وبين التفسير المأثور" وهذا النوع من التفسير لا يمكن إنكاره عن أصحابه بل إنهم قد وضحو معاني كلام الله تعالى بأقوال لم يسندوها إلى من سبقهم وإنما فهموها من كلام الله تعالى ومما يدل على ذلك اختلافهم في تفسير كثير من الآيات ومما يدل على جواز هذا النوع من التفسير ^(٥)

(١): الترمذي: ج ٢ ص ١٥٨ (مصدر سابق)

(٢) نقش أئمة در إحياء دين، ج ١١٧/٦ .

(٣): جولد زيهر: ص ٧

(٤): د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: ص ١٧٨ .

(٥) انظر م - ن ص ١٧٨ وما بعدها

أ - الأدلة الكثيرة الواردة في كتاب الله تعالى والتي تحت على الاعتبار والاتعاظ بالقرآن الكريم : من مثل قوله تعالى : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (٢٤) سورة محمد) : وقوله عز وجل : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ } (٢٩) سورة ص وقوله تبارك وتعالى : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } (٨٣) سورة النساء

وقد دلت الآية الأخيرة على أن في القرآن ما يستنبطه أولوا الألباب باجتهادهم.
ب - اختلاف الصحابة في تفسير القرآن على وجوه ومعلوم أنهم لم يسمعوا كل ما قالوه من النبي (ﷺ) .

ج - دعاء النبي (ﷺ) لابن عباس بقوله : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فلو كان التفسير مقصوراً على السماع ، لما كان هناك فائدة من تخصيصه بهذا الدعاء ^(١) .

د - أن من نُقل عنهم التخرج من التفسير فقد نقل عنهم تفسير آيات من كتاب الله تعالى برأيهم - المحمود - فقد جاء عن أبي بكر (رض) عنه أنه فسر " الكلالة " برأيه حيث قال : " أقول فيها برأبي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان " ^(٢) فيحمل توقفهم في بعض الآيات على أنه من باب الورع أو لوجود من يكفي في الجواب عنهم أو لعدم اتضاح المعنى لديهم.
ثانياً : تفسير " جولد زيهر " " للعلم " بأنه : ((ما كان منقولاً فقط عن النبي (ﷺ)) وأصحابه وأن الذي يعد في نطاق علوم الدين في الإسلام علماً حقيقياً هو ما يرجع إلى أقدم الثقافات)) ^(٣) . لم يذكر لهذا الكلام مستنداً غير ما ذكر من تحذير المسلمين من الخوض في التفسير كما سبق بيانه والجواب على هذا الزعم :

(١) : الذهبي : المصدر السابق : ص ٤٨

(٢) : تفسير الطبري : ج ١ ص ٢٦

(٣) : جولد زيهر ص ١٥٨ وما بعدها

هو أن الصحابه كانوا يعدون من العلم المقبول في تفسير كلام الله تعالى ما كان عن طريق الاجتهاد بآلته الصحيحة حتى ولو لم يكن منقولاً عن النبي (ﷺ) وآل البيت وصحابته، ودليل ذلك ما يلي :-

١- إن من المعلوم أن القرآن الكريم قد تضمن کلیات الشريعة وقد استدلل به العلماء على مسائل لم تكن موجودة على عهد النبي (ﷺ) ولا يمكن أن يكون هذا الاستدلال إلا بطريق الاجتهاد والأمثلة في ذلك كثيرة مما يدل على عدم توقفهم على المأثور فقط.

٢- أن عدداً من العلماء كان يرد تفسير معاني القرآن إلى اللغة العربية ويستشهد على ذلك منها وهذا ليس من التفسير بالمأثور . قال ابن الأنباري : (("وجاء عن أصحاب النبي (ﷺ) وتابعيهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحويين في ذلك وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم . من ذلك ... أن ابن عباس قال : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب)) .^(١)

قال القرطبي: ((" وقال بعض العلماء إن التفسير موقوف على السماع ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (النساء : ٥٩) . وهذا فاسد ، لأن النهي عن تفسير القرآن لا يخلو : إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط ، أو المراد به أمراً آخر . وباطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه ، فإن الصحابة قد قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه ، وليس كل ما قالوه سمعوه عن النبي (ﷺ) ، فإن النبي (ﷺ) دعا لابن عباس وقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك ؟! وهذا بين لا إشكال فيه))^(٢)

(١): الطبري: ج١٧ ص٧٤

(٢): انظر القرطبي الجامع لإحكام القرآن في تفسير سورة النساء (مصدر سابق)

ثالثاً : ما ذكره "جولد زيهر" من أن: أوائل من تكلموا في التفسير لم يلقوا عدم التشجيع فحسب وإنما وضعت أمامهم علامات التحذير وأنه كان يُنظر للمشتغل بالتفسير بعين الارتياب وأن الوعي

الجاد كان يتراجع دون مزاولة ذلك في مهابة ونفور. (١)

فالجواب على ذلك زيادةً على ما سبق أن التحذير والنهي كان من التفسير بالرأي المذموم فإننا نجد من القرآن الكريم والسنة الشريفة و أقوال آل البيت (عليهم السلام) والصحابة (رض) ما يدل على التشجيع والحث على تفسير كتاب الله تعالى بالرأي المحمود بشروطه وإنما يحمى الرأي إذا كان مستنداً إلى علم يقي صاحبه الوقوع في الخطأ . ويمكن استنباط أدله تدل على جواز القول بالرأي المحمود. ومن هذه الأدلة قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد: ٢٤) وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ} (ص: ٢٩) وفي حث الله تعالى على التدبر ما يدل على إن علينا معرفة تأويل ما لم يحجب عنا تأويله؛ لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له: اعتبر بما لا فهم لك به (٢)

من ذلك ما رواه ابن مسعود رحمه الله قال: ((لما نزلت آية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام: ٨٢) قلنا يا رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه))، فقال: ((انه ليس الذي تعنون، الم تسمعوا إلى قول العبد الصالح {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} "لقمان: ١٣")) (٣)

أن الصحابة فهموا الآية على العموم، وما كان ذلك إلى رأيا واجتهادا منهم في الفهم، فلما استكشفوا ذلك سألوا رسول الله (ﷺ) فأرشداهم إلى المعنى المراد، ولم ينههم عن تفهم القرآن والقول فيه بما فهموه. كما يدل على إنهم إذا لم يستشكلوا شيئا لم يحتاجوا إلى سؤال الرسول (ﷺ). (٤)

فهذه الآثار وغيرها تدل على عدم صحة ما أراد تصويره من أن آل البيت (عليهم السلام) و الصحابة (رض) كانوا يضعون أمام أوائل المفسرين علامات التحذير والمنع من الخوض في التفسير بل فيها الحث والمدح والثناء مما لا يخفى أنه دافع لفهم كتاب الله تعالى من غير تقييد منهم بالأثر.

(١): انظر: جولد زيهر: ص ٧٣

(٢): انظر تفسير الطبري ٨٢/١-٨٣

(٣): البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٩

(٤): أخرجه البخاري في أكثر من موضع، كتاب الإيمان ج ٣٢، أحاديث للأنبياء/٣٤٢٨، ٣٣٦٠

المبحث الثالث

التفسير في ضوء المذهب الشيعي

المطلب الأول : المنظور الاستشراقي في نشأة التشيع :

زعم غير واحد من الكتاب القدامى والجدد : أن التشيع كسائر المذاهب الإسلامية من إفرازات الصراعات السياسية ، في حين يذهب القسم الآخر إلى القول بأنه نتاج الجدل الكلامي والصراع الفكري . فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره في الساحة الإسلامية ، وكأنهم يتلقون التشيع بوصفه ظاهرة جديدة وافدة على المجتمع الإسلامي ، ويعتقدون بأن التشيع وإن كان من جسم الأمة الإسلامية إلا أنه تكون على مر الزمن نتيجة لأحداث وتطورات سياسية أو اجتماعية فكرية أدت إلى تكوين هذا المذهب كجزء من ذلك الجسم الكبير ومن ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج وهذا ما ذهب إليه المستشرقون أمثال دوزي(*)، وميور(**)، وجولد زيهر ، وفلهاوزن (***) ، بالقول: ((في رد أصل التشيع في جذوره الأولى إلى الفرس انطلاقاً من فكرة إن النبي ﷺ] مادام لم ينبج ولد ، فولده علي ، شرعاً وقانوناً إلهياً وهذه الفكرة من المذاهب الفارسية التي تعتقد في الحق الإلهي للملك.))⁽¹⁾ ، ويقول الدكتور عبد القادر محمود: ((إنه حقا قد دخلت أفكار فارسية على التفكير الإسلامي - فضلا عن أفكار يونانية ويهودية ونصرانية كذلك - غير أن ذلك لم يفقد التفكير الإسلامي شخصيته في عقيدته ، فكل شئ دخل على الإسلام ، صادف في الإسلام شيئاً " قائماً " في ذاته وموضوعه ، لم يخلقه من عدم ، وقد هضم الإسلام كل شئ ، وأخذ ما يناسبه ، وطبعه بطابعه ، وخلق فيه الآيات هذا وقد دخل التشيع بخاصة لون من هذه

(*) دوزي: (١٨٢٠-١٨٨٣) مستشرق فرنسي ولد في ليون من أسره تحب الاستشراق: آثاره: تاريخ بني زيدان ، معجم في أسماء ملابس العرب ، وفهرس المخطوطات الشرقية في جامعة ليدن ، معجم أسماء المستشرقين ص ٣٣٨

(**) ميور: (١٨١٩-١٩٠٥) مستشرق ومبشر وموظف إداري انجليزي ، آثاره: كتاب الحق الذي هاجم فيه الإسلام بمنتهى العنف ودافع عن العقائد المسيحية: د. عبد الرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين : ص ٤٤٠

(***) فلهاوزن. (١٨٤٤-١٩١٨): مستشرق الماني بدأ بدراسة اللاهوت لنقد التوراة ثم تخرج بالغات الشرقية ، آثاره تاريخ اليهود ، محمد في المدينة بترجمة المانيه مختصره استنادا للواقدي ص ٥١٧ .

الأفكار، كما دخلت مبادئ تقلدها بعض الشيعة، ولا سيما بعد عصر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لا يعني أبداً أن نحكم على مبدأ التشيع في ذاته بأنه فارسي كما ذهب دوزي، (ومن شايعة) ^(١). وقد تكفل مستشرق آخر يرد هذه الشبهة وهو "آدم متز" (*) إلى: ((أن التشيع إنما يرجع إلى أصل عربي صميم، وليس رد فعل من جانب العقل الفارسي)). وأما "فلها وزن" فالرأي عنده: ((أن عقائد الشيعة مأخوذة من اليهودية الأصلية، أكثر مما هي مقتبسة من المنابع الفارسية)) - كما قال "دوزي" - ((وقد اعتمد "فلها وزن" في رأيه هذا على قول ابن سبأ: علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي، وعلى قول ابن سبأ في رجعة محمد في شخص علي)) ^(٢)

يرى الباحث إن هذا التصور الخاطئ لمفهوم التشيع هو ما دفع أصحاب هذه الأطروحات إلى التخبط والتعثر في فهمهم لحقيقة نشوء هذا المذهب، ولو أن أولئك الدارسين شرعوا في دراستهم لتأريخ هذه النشأة من خلال الأطروحات العقائدية والفكرية التي ابنتي عليها التشيع لأدركوا بوضوح ودون لبس أن هذا المذهب لا يؤلف في جوهر تكوينه وقواعد أركانه إلا الامتداد الحقيقي للفكر العقائدي للدين الإسلامي والذي قام عليه كيانه. وإذا كان البعض يذهب إلى الاعتقاد بأن التشيع يظهر بأوضح صورته من خلال الالتفاف والمشايعة للوصي الذي اختاره رسول الله (ﷺ) خليفة له بأمر الله تعالى ليكون قائدا وإماما للناس - كما كان رسول الله (ﷺ) - ففي ذلك أوضح المصاديق على حقيقة هذا النشوء الذي اقترن بنشوء وتبلور الفكر الإسلامي الكبير، والذي لا بد له من الاستمرار والتواصل والتكامل حتى بعد رحيل صاحب الرسالة (ﷺ) والذي ينبغي له أن يكون الاستمرار الحقيقي لتلك العقيدة السماوية وحامل أعباء تركتها.

(١) عبد القادر محمود: الإمام جعفر الصادق - رائد السنة والشيعة - القاهرة ص ٧، وينظر: مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة في الإسلام - القاهرة ١٩٤٤ ص ١٣٩ - ١٤١، ٢٩٤-٢٩٥.

(*) آدم متز: مستشرق أمريكي ولد في هاو ستون/تكساس بتاريخ ١٩٢٤/٤/٢٤ حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو ودكتوراه في الأديان: آثاره تاريخ الديانات ودراسة الإسلام والشيخ الطوسي ومساهمته في نظرية الشيعة لأصول الفقه - وفي تتابع ألفية الشيخ الطوسي، معجم أسماء المستشرقين ص ٨٣.

(٢) انظر: فلهاوزن: أحزاب المعارضة الدينية في صدر الإسلام، وانظر الأصل: ٨٩ - Wellhausen, Die - Religioes - P, Opposition Sparteien in Alten Islam غير أن فلهاوزن يقول في كتابه الخوارج والشيعة ص ٢٥ - ٢٦ إن الخوارج لم يكونوا بذرة فاسدة بنزها اليهودي ابن سبأ سرا "، ولم يكونوا فرقة تعيش في الظلام، بل كانوا ظاهرين علنا.

فإذا اعتبرنا بأن التشيع يرتكز أساساً في استمرار القيادة بالوصي ، فلا نجد له تاريخاً سوى تأريخ الإسلام ، والنصوص الواردة عن رسوله (ﷺ) وفي هذا الصدد يقول السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) : ((... وهكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الأحداث ، بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصلية التي كانت تفرض على الإسلام أن يلد التشيع)). ثم يضيف (رحمه الله) موضحاً المعنى فيقول:

((و بمعنى آخر كانت تفرض على القائد الأول للتجربة ، أن يعدّ للتجربة قائدها الثاني^(١)، الذي تواصل على يده ويد خلفائه نموها الثوري ، وتقترب نحو اكتمال هدفها التغييري في اجتثاث كل رواسب الماضي الجاهلي وجذوره وبناء أمة جديدة على مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها))^(٢).

و روى البخاري في صحيحه بسنده عن سعد قال : ((سمعت إبراهيم بن سعد عن أبيه قال ، قال النبي (ﷺ) لعلي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى))^(٣) وروى البخاري بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه : أن رسول (ﷺ) خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي^(٤) وروى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ، قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً ، فقال : ما منعك أن تسب أبا التراب فقال : أما ما ذكرت ثلاثاً قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلن أسبه ، لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من حمر النعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : خلفه في بعض فغازيه ، فقال علي : يا رسول الله ، خلفتني مع النساء والصبيان ، فقال له رسول الله (ﷺ) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبوة بعدي ، وسمعت يقول يوم خيبر ، لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فتناولنا لها فقال : ادعوا لي علياً ، فأتني به أرمد فبصق في عينه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه

(١) ظ: مختصر تاريخ بن عساكر: ٣٥/١٨ ، قول الخليفة الثاني لأصحاب الشورى

(٢) محمد باقر الصدر: بحث حول الولاية: ص ٥٧، ط ٥، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٣) : (صحيح البخاري ٢٤/٥ (م-ن))

(٤) : (صحيح البخاري ٦/)

الآية : {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} (٦١: سورة آل)، دعا رسول الله

(ﷺ)، عليا " وفاطمة وحسنا " وحسينا " ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي (١) .
وروى الإمام مسلم في صحيحة بسنده عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ، قال رسول الله (ﷺ) لعلي : أنت مني بمنزلة هارون .

وإمامة أهل البيت والإمام علي(عليه السلام) التي تمثلها تلك الظاهرة الطبيعية تعبر عن مرجعيتين :المرجعية الفكرية ،والأخرى المرجعية في العمل القيادي والاجتماعي ،وكلتا المرجعيتين كانتا تمثلان في شخص النبي (ﷺ) وجاءت النصوص النبوية الشريفة تؤكد ذلك باستمرار ، والمثال الرئيسي للنص النبوي على المرجعية الفكرية حديث الثقلين(٢) إذ قال رسول الله (ﷺ) : ((إني أوشك إن ادعي فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها)) (٣) والمثال الرئيسي للنص النبوي على المرجعية في العمل القيادي ،حديث الغدير إذ قال رسول الله (ﷺ) : ((أيها الناس يوشك أن ادعي فأجيب واني مسؤول وأنكم مسؤولون فماذا انتم قائلون ؟ فقالوا نشهد انك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزأك الله خيرا . فقال : أليس تشهدون أن لا اله إلا الله وان محمد عبده ورسوله وان جنته حق وان ناره حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة أتتة لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلا نشهد بذلك . قال: اللهم اشهد . ثم قال يا أيها الناس أن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه – يعني علياً – اللهم والي من والاه وعاد من عادته ((٤).

(١): صحيح مسلم : ١٧٥/١٥-١٧٦

(٢) ظ: محمد باقر الصدر: بحث حول الولاية: ص ٦٦ وما بعدها (يتصرف)

(٣) المستدرك على الصحيحين للحكم النيسابوري: ١١٩/٣ وينظر صحيح مسلم: ١٨٧٤/٤، وينظر صحيح الترمذي ١٣٠/١

(٤) حديث الغدير مستفيض في كتب الحديث عند السنة والشيعة ، ينظر كتاب الغدير للشيخ الاميني: ٣١/١-٣٦، وسنن ابن ماجه: ٩- المقدمة- الباب ١٦ ومسند الإمام احمد بن حنبل: ٢٨١/٤-٣٦٨، طبعة دار مصر.

المطلب الثاني : موقف الشيعة من النص القرآني :

يذهب المستشرق "جولد زيهر" : إلى أن هناك حقيقة واقعة يجب معرفتها للوصول إلى فهم هذا المذهب فهما تاريخيا كاملا : ((تلك هي علاقة الشيعة بالنص الرسمي الموجود بأيدينا فأني موقف يأخذه التشيع الطائفي من هذا النص القرآني انه وان كان الشيعة قد رفضوا الرأي الذي ذهبت إليه طائفة متطرفة منهم ؛ من أن القرآن المأثور لا يمكن: الاعتراف به مصدرا للدين بسبب الشك في صحته^(١) . وهم يدعون إن هذا النص العثماني بالنسبة إلى القرآن يشتمل على زيادات وتغييرات هامة ؛ كما استؤصلت فيه أيضا ؛ من جانب آخر قطعة هامة من القرآن الصحيح بالأبعاد والحذف))^(٢)

ويتهم الشيعة بان لديهم قرآناً غير القرآن الذي هو بين أيدينا حيث يقول: ((ولكن لديهم هم نص قرآني صحيح سليم من المآخذ معترف به اعترافا مطلقا يضعونه في مواجهه النص العثماني . ويسود الميل عند الشيعة ؛ على وجه العموم ؛ إلا إن القرآن "الكريم" الذي انزله الله [سبحانه] كان أطول كثيرا من القرآن المتداول في جميع الأيدي ؛ ومن قرآنهم أيضا . وهم في الحق لا يأتون من الأجزاء الناقصة من النص ؛ وبدلا من ذلك جاءوا بسور ساقطة بالكلية من القرآن العثماني ؛ أخفتها الجماعة التي كلفها عثمان بكتابته ؛ عن سوء نية ؛ في زعمهم ؛ إذ هي تشتمل على تمجيد لعلي))^(٣) . ثم يشير بعد ذلك إلى وجود حقيقي لمثل هذه النصوص، فيقول: ((وقد نشر " جارسان دي تاسي GAREIN DE TASSY " ومرزا كاظم بك ؛ لأول مرة في " المجلة الآسيوية JOURNAL ASIATIQUE " سورة من هذه السور المتداولة في الدوائر الشيعية، وحديثا وجدت في مكتبة "بانكيبور بالهند " نسخة من هذا القرآن تشتمل فضلا عن هذه السورة على سورة "النورين ٤١ آية " ، وسورة أخرى شيعية أيضا ذات سبع آيات ؛ وهي سورة الولاية أي الموالاتة لعلّي والأئمة ؛ كما تشتمل على تفسيرات مذهبية كبيرة مع بقية السور المشتركة وكل هذه الزيادات الشيعية نشرها" كليدر تال W.ST.CLAIR TISDALL " باللغة الإنجليزية))^(٤) .

(١) نقلا عن : البغدادي ، قدامه بن جعفر ، الفرق بين الفرق ص ٣١٥ ، (ت ٣٣٧ هـ) ، ط ، ١٩٨٠ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) ظ : جولد زيهر ٢٩٤ وانظر : NOELDEKE GESCHIEHTE DES QORANS 221,223

(٣) م - ن

(٤) NOELDEKE GESCHIEHTE DES QORANS, P. 221,223 (٤)

يبدو لي من اجل البلوغ بالبحث إلى قدر اكبر من الوضوح أن ننشر نص
السورة العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

١ يا أيها الذين آمنوا امنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم
عذاب يوم عظيم ٢ نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم ٣ إن الذين
يوفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم ٤ والذين كفروا من بعد ما
آمنا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم ٥ ظلموا
أنفسهم وعصوا لوصي الرسول أولئك يسقون من حميم ٦ إن الله الذي نور
السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين
٧ أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا اله إلا هو الرحمن الرحيم ٨ قد مكر الذين
من قبلهم برسلمهم فأخذتهم بمكرهم إن اخذي شديد اليم ٩ إن الله قد اهلك عاد
وتمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون ١٠ وفرعون بما طغى على
موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم
فاسقون ١١ إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون ١٢
أن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم ١٣ يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف
يعملون ١٤ قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون ١٥ مثل الذين
يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم ١٦ إن الله لذو مغفرة واجر عظيم ١٧
وان عليا لمن المتقين ١٨ وأنا لنوفيه حقه يوم الدين ١٩ وما نحن عن ظلمه
بغافلين ٢٠ وكرمناه على اهلك أجمعين ٢١ وانه وذريته لصابرون ٢٢ وان
عدوهم إمام المجرمين ٢٣ قل للذين كفروا بعدما امنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا
واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود بعد توكيدها
وضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون ٢٤ يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات
فيها من يتوفه مؤمنا ومن يتوله من بعدك يظهر فاعرض عنهم إنهم
معرضون ٢٥ إنا لهم محضرون في يوم لا يغني عنهم شيئا ولا هم يرحمون
٢٦ إن لهم في جهنم مقاما عنه لا يعدلون ٢٨ فسبح باسم ربك وكن من
الساجدين ٢٩ ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر
جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنناهم إلى يوم يبعثون ٣٠ فاصبر فسوف
يبلون ٣١ ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين ٣٢ وجعلنا لك
منهم وصيا لعلهم يرجعون ٣٣ ومن يتولى عن

أمري فاني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسال عن الناكثين ٣٤ يا أيها الرسول قد جعلنا لك في اعتناق الذين امنوا عهدا فخذة وكن من الشاكرين ٣٥ إن علياً قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه ٣٦ قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعبادي يعلمون سيجعل الأغلال في أ عناقهم وهم على أعمالهم يندمون ٣٧ إنا بشرناك لذرية الصالحين ٣٨ وإنهم لآمرنا لا يخلفون ٣٩ فعليهم مني صلوه ورحمة إحياء وأموات ويوم يبعثون ٤٠ وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين ٤١ وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون ٤٢ والحمد لله رب العالمين آمين (١).

والجواب على هذه الفرية نقول :يمكن اختصار مقالات المستشرقين الآخرين وتحقيقاتهم في مصادر سورتي النورين وأسانيدهما والولاية كلاتي:

أ - نولدكه: ينقل في كتابه: «تاريخ القران» عن كتاب «دبستان مذاهب» كلاما عن هاتين السورتين)) (٢).

ب - جولد زيهر : يعرض بتفصيل أكثر لهذا المطلب، كما ذكرنا سابقاً (٣).

والأبحاث التي ينبغي التعرض لها، في هذا المجال، هي:

١ - ما هو المصدر الذي استند إليه كل من «غارسان دي تاسي» و«كاظم بيك» في ما ذكراه عن

هاتين السورتين ؟

(١) انظر THE MOSLEM WORLD (1613) III 227 SHIAH ADITION TO THE KORAN

(٢): انظر ثيودور نولدكه : تاريخ القران : ج١ ص٣٢٩، ترجمة جورج تامر ، ط١، بيروت ٢٠٠٤

(٣) انظر: جولد زيهر ص٢٩ وما بعدها

٢ - هل إن السورتين اللتين نقلاهما «غارسان دي تاسي» و«كاظم بيك» هما غير سورتى النورين والولاية؟

٣ - هل إن "كليرتسداال" الذي قال "جولد زيهر"، في شأنه، انه جمع في مكان واحد تمام الموارد التي أدعي تحريفها في القرآن نقل من السور الساقطة شيئاً غير هاتين السورتين؟

يمكن الحصول على أجوبة هذه الأسئلة بمراجعة المصادر نفسها التي ذكرها "جولد زيهر" ولا يوجد لهاتين السورتين أي اثر في مصادر الشيعة المتقدمة والمتأخرة. والحاصل إن المصدر الذي اعتمد عليه المستشرقون وآخرون، في سورتى النورين والولاية، ليس الا كتاب «دبستان مذاهب»، ونسخة من القرآن، قيل: انها كتبت في القرن السابع عشر الميلادي، من دون أن يذكر هؤلاء أي مصدر آخر اعتمدوا عليه.

ثم يؤكد "زيهر" من أن الشيعة حاولوا تقديم نص قران جديد ولكن أهل السنة قضوا بحرقه اذ يقول : ((ولم نعدم من جانب الشيعة محاولات لتقديم نص قرآني جديد ؛ فقد شرّع مثل هذه المحاولة شيعة بغداد سنة ٣٩٨هـ = ١٠٠٧ م إذ قدموا نصا قرآنيا صحيحا في زعمهم على انه مصحف عبد الله بن مسعود وقد قضت محكمة علماء الدين من أهل السنة على هذا المصحف بالإحراق)).^(١)

ويذهب "زيهر" من إن لدى الشيعة قران هو قران على مرتب ترتيبا مخالف للترتيب العثماني فيقول: ((كذلك جرى الكلام أيضا عن ترتيب قران مخالف للترتيب العثماني وبناءا على حديث صنعه الشيعة رتب علي القرآن على سبع مجموعات وعلى رأس هذه المجموعات . سورة البقرة.، سورة آل عمران ، سورة النساء، سورة المائدة ، سورة الأنعام ، سورة الأعراف ، سورة الأنفال وتجيء بعد رؤوس فواتح كل مجموعة على ترتيب مخالف للترتيب للمصحف العثماني،

(١) انظر: جولد زيهر: ص ٢٩٥

بحيث تجيء مثلاً في المجموعه الأولى على الترتيب : سورة يوسف، سورة العنكبوت، سورة الروم . سورة لقمان، سورة فصلت ، سورة الداريات ، سورة الإنسان ، سورة السجدة ، سورة ، النازعات ، سورة التكوير ، سورة الانفطار، سورة الانشقاق، سورة الأعلى ، سورة البينة . وهكذا في بقية المجموعات. وتنتهي الاخير به بسوريتين معوذتين . ومن الغريب إن فاتحة الكتاب ليس لها مكان في هذا الترتيب ((^(١)).

ويذهب "جولد زيهر" إلى ان الشيعة حرفوا القرآن لأجل إثبات العصمة

للنبي (ﷺ) فيقول

((..و مسألة العصمة وبراءتهم من الذنوب التي يقرها الشيعة على تقصى ما يترتب عليه من النتائج جعلتهم يفكرون في تصحيح "الآية ٧ من سورة الضحى" : حيث يمكن أن يبنى على ذلك إن الله وصف النبي بأنه ضال ؛ بان يغيروا لفظ ضال بلفظ ؛ ضالاً بالنصب إلى ضال بالرفع ؛ وفعل المعلوم ؛ فهدى إلى فعل المجهول ؛ فهُدِيَ ؛ وبهذا التغيير البسيط تأخذ الآية هذا المعنى : ووجدك ضالاً فصار بك مهدياً)).^(٢)

ويطرح "جولد زيهر" فريه قبيحة وبدون أن يشير إلى أي مصدر أو دليل كعادته، فيقول: ((ومن الطريف بعض أمثلة يغير الشيعة فيها لفظ "إلا" الاستثنائية إلى : ؛ ولا، ولم يكن ذلك هذه المرة لميل مذهبي أصلاً ؛ بل لاحتياطات عامة فمثلاً في الآية ١٥٠ من سورة البقرة : { لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (١٥٠ : سورة البقرة) يقرؤون ولا الذين ظلموا منهم. وفي الآية ٩٢ من سورة النساء { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً } (٩٢ : سورة النساء) يقرؤون ولا خطأ

وأخيراً يتهم لشيعة بفريه أخرى فيقول: ((الشيعة تقول إن ربع القرآن جعل أمر العلويين موضوعاً له ؛ وربع ثاني يتعلق بأعدائهم وربع ثالث يشتمل على النظم التشريعية ؛ واخبراً يحتوي الربع الرابع على القصص والأمثال ويتعلق بعلي ٧٠ آية من القرآن))^(٣)

(١) جولد زيهر ٢٩٥

(٢) م - ن : ص ٣٠٩

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة

وللرد على شبهة التحريف ، يقول السيد الخوئي: ((المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن ، وان الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم (ﷺ) وقد صرح بذلك كثير من الإعلام. منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه ، وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الأمامية . ومنه شيخ الطائفة أبو جعفر بن محمد الطوسي ، وصرح بذلك في أول تفسيره "التبيان"، ونقل القول بذلك أيضا عن شيخه علم الهدى السيد المرتضى ، واستدلّاه على ذلك باتم دليل . ومنه المفسر الشهير الطبرسي في مقدمة تفسيره "مجمع البيان" ومنهم شيخ الفقهاء جعفر في بحث القرآن من كتابه "كشف الغطاء" وادعى الإجماع على ذلك ومنه العلامة الجليل الشهستاني في بحث القرآن من كتابه "العروة الوثقى" ونسب القول بعدم التحريف الى جمهور المجتهدين ومنه المحدث الشهير المولى محسن لقاساني في كتابه^(١). ومنهم بطل العلم المجاهد شيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره " آلاء الرحمن " ((^(٢).

ماذا يقول جولد زيهر^(٣) بعد هذا القول للعلماء الإعلام (رضوان الله عليهم) بعدم وقوع التحريف؟
ويختم السيد الخوئي مسألة تحريف القرآن بالقول: ((وجملة القول: إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققهم ، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف))^(٤).

قال الشيخ المفيد في المسائل السروية: ((ان الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله وتنزيله – إلى ان قال: قد صح عن أئمتنا (عليهم السلام) إنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وان لا يتعدى إلى زيادة فيه ولا نقصان منه))^(٥).

(١): الوافي ج ٥ ص ٢٧٤، وعلم اليقين ص ١٣٠ نقلا عن تفسير الميزان، السيد الخوئي ص ٢٠٠

(٢): السيد الخوئي البيان في تفسير الميزان ص ٢٠٠

(٣): انظر NOELDEKE, ZDM XXXVIII 10S وينظر جولد زيهر ص ٢٩٦

(٤): السيد الخوئي البيان في تفسير الميزان ص ٢٠١

(٥): الشيخ المفيد: المسائل السروية: ص ٧٨ و ٨١

مَنْ يَجْرُو أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ؟ الْمُسْلِمُونَ موجودون وفيهم القُرَّاءُ والحُقَّاطُ. ثم كيف يُمكن أن يسكت علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن مسألة تحريف القرآن؟ قد يسكت عن حقه في الخلافة، ويسكت عن أي شيء لمصلحة الإسلام والمسلمين، أما أن يسكت عن تحريف القرآن، فهذا تشويه لتاريخه ودس عليه (عليه السلام).. لا يمكن أن نتصور أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يسكت عن أي خلل في القرآن، وإلا خان رسالته، وعلي (عليه السلام) هو الأمين على الرسالة، ومبرر وجود الأئمة بعد النبي، هو حفظ الرسالة وحمايتها. ولذلك اجمع الشيعة على أن القرآن هو ما بين الدفتين، ليس هناك من قرآن ثانٍ.

فات جولد زيهري : إن الشيعة الذين كتبوا نسخ القرآن في الماضي أو طبعوه في المستقبل لم يختلفوا في كتاباتهم وفي طبعتهم عن المسلمين ، وان القرآن الذي بين أيدي الناس هو نفسه بين أيديهم وهو ما موجود بين الدفتين ، ولذلك فان أي إنسان يملك أي قوه أو سيطرة في الاطلاع على أسرار الواقع الداخلي للشيعة في عملية هجوم أو اقتحام لم يجد ولا يجد أية نسخ قرآنيه مختلفة عما هو لدى الناس وكل ما يقال مجرد أكاذيب وفرضيات وتصورات من خيال هذا المستشرق ليس لها أصل من الواقع .يقول السيد الخوئي: ((حديث تحريف القرآن حديث خرافه وخيال ، لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لا يتأمل في أطرافه حق التأويل ، أو من ألجأه إليه يجب القول به والحب يعمي ويصم وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته))^(١)

لا يشك احد في ان هذا القرآن الذي بين أيدي المسلمين على اختلاف طوائفهم وفي كل صقع ومكان لا يختلف ولا يتفاوت في أي كلمة منه ، بل في أي حرف . وهذه هي ملايين النسخ من القرآن الكريم التي تطبع في بلاد أهل السنة مثلا يتداولها المسلمون الشيعة في بلادهم، نظرا لجودة طبعتها وحسن إخراجها وخلوها من الأخطاء. ونرى ان الحاج الشيعي يرى ان خير هدية مباركة يهديها إلى أحب أصدقائه هو القرآن الكريم ويقبله هذا منه حامدا شاكرا دون ان يشكل عليه بأنه مطبوع بغير بلاد الشيعة ، ولا يخطر في باله وجود أي تفاوت بينه وبين غيرهم من المصاحف

(١) السيد الخوئي: البيان في تفسير الميزان ص ٢٩٥

الشريعة. ولم نجد احد يشك أو يقول بان المصحف السني غير المصحف الشيعي مثلاً – استناد إلى قول بعض القدماء ممن انقرض عصرهم ومرت عليهم القرون - لم نجد من يقو ذلك، حتى من أولئك الذين يقدمون كل قديم ، حتى ولو كذبه الواقع الملموس^(١) .

ولا إشكال أيضاً في ان ما بين الدفتين قران يجب العمل به ، ولا يوجد احد من علماء الإسلام يعترض على ذلك أو يرتاب فيه ، في مختلف الاعصار الأمصار.

أما مسألة الترتيب، فإنّ القرآن لم يُرتَّب على أساس تاريخ النزول، بل رُتِّب على أساس المناسبات ، ونحن نروي أنّ القرآن رُتِّب في حياة رسول الله (ﷺ)، وكان يأمرهم بأن يضعوا هذه الآية في هذه السورة مثلاً، أو التي يُذكر فيها كذا وكذا، ولذلك نعتبر أنّ القرآن هو هذا القرآن المحفوظ بين الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان، ولا خلل في الترتيب.

(١) ظ: السيد مير محمدي ص ٢٧٢ (نقل بتصرف)

المطلب الثالث :-: شبهات على التفسير الشيعي للقرآن الكريم .
أولاً- جهل جولد زيهر بالتفسير الشيعي:

يذهب المستشرق "جولد زيهر" الى القول: ((إلى إن أول كتاب وضع الأساس الشيعي في التفسير هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة : جابر الجعفي المتوفي ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م^(١) ولكن هذا الكتاب غير موجود إلا عن طريق نقول متفرقة وكتاب " بيان السعادة في مقام العبادة" للسلطان ابن حجر البجتي الذي أرّخ الانتهاء من عمله بسنة ٣١١ هـ = ٩٢٣ م وقد ظهر مطبوعاً في طهران سنة ١٣١٤ هـ = ١٨٦٦ م كذلك م القرن الرابع للهجري تفسير أبي الحسن علي ابن إبراهيم أَلَمِي "طبع بالحجر في طهران" ١٣١١/١٣ هـ = ١٨٩٣/٩٥ م الذي اعتمدنا عليه في تقريرنا التالي، ومنذ ذلك الوقت بقي نتائج كتب التفسير حقلاً خصيباً بمزاولة علوم الدين على مذهب الشيعة^(٢))).

والجواب على مثل هذا الافتراض نقول لقد فات هذا المستشرق من أن هناك عدد كبير من المفسرين الأوائل مؤسسي علم التفسير ؟ وأولهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي يقول: ((والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً))^(٣). وهو القائل: ((سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، وفي سهل أم في جبل))^(٤). وقد نقل ابن الأثير عن سعيد بن المسيب قال: ((ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب))^(٥). ونقل السيوطي عن ابن أبي جمرة عن علي (عليه السلام) أنه قال: ((لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن لفعلت))^(٦). والحبر عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي بن كعب ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وأول مفسر جمع علوم القرآن وهو محمد بن عمر الواقدي الذي ذكره ابن النديم^(*) وغيره

(١): انظر تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٢-١٥٤. هو احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ، ت(٢٨٤هـ-٨٩٧م) ، بيروت - ١٩٦٠م

(٢) انظر: جولد زيهر ص ٣٠٤

(٣) أخرجه ابن سعد بسنده عنه الطبقات الكبرى ٣٣٨/٢.

(٤) المصدر السابق نفسه

(٥) أسد الغابة ٥٩٧/٣. الجزري ، عز الدين ابن الأثير ابي الحسين علي ابن محمد ، ت(٦٣٠هـ): ط ١٩٨٩ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

(٦) الإتقان في علوم القرآن ٢٣٨/٢.

(*) : محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ-٩٩٥م)، دار المعرفة (بيروت - ١٩٧٨)

ونصّ على تشييعه واسم تفسيره (الرغيب) ^(١) والمفسرين من مدرسة أئمة أهل البيت وأشهرهم: الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ت : ٩٥ هـ) والإمام محمد الباقر (ت : ١١٤ هـ) والإمام جعفر الصادق (ت : ١٤٨ هـ) عليهم السلام ، والصادق مؤسس المدرسة الجعفرية وهو علم من إعلام التفسير، كما اعتمدت هذه المدرسة طائفة كبيرة من تلاميذه المشهورين أمثال أبان التغلبي وغيره.

يذهب ثيودور "نولدكا" الى القول : ((إن العالم الشيعي الأقدم الذي ينسب إليه تفسير القرآن هو محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ؛ ويدعى الباقر (ت ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨) غير انه ليس من المؤكد إن كان هذا الكتاب قد وجد آنذاك مستقلا أو فقط في نسخة تلميذه أبي الجار ود زياد ابن المنذر والأحدث عهدا بعض الشيء هو أبو حمزة ثابت ابن دينار ابن صفية لم تلاحظ في هذه الأعمال الروح الشيعية لمؤلفيها أكثر مما هي عليه في مغازي الواقدي الذي رمي أيضا بالتشيع الذي يعتبر أهل البيت وحدهم المصدر الصحيح للروايات كلها ويربط نصف القرآن بالعائلة العلوية)). ^(٢)

ثانيا- جولد زيهر واتهام رجال التفسير الشيعي بتحريف القرآن: يقول جولد زيهر : ((يروى عن الأمام الكبير أبو عبد الله هو جعفر الصادق خامس الأئمة الاثنى عشر الذي تنسب إليه أيضا التسمية للجعفرية انه عقب على الآيتين ٢٨ ، ٢٩ من سورة الجاثية {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ { بما يلي : كتابنا ينطق عليكم بالحق" إن الكتاب لم ينطق ولن ينطق ولكن رسول الله هو الناطق بالكتاب، قال الله: هذا بكتابنا ينطق عليكم بالحق؛ قال أبو بصير- وهو الراوي المباشر لأبي عبد الله فقلت إنا لا نقرأها هكذا فقال الأمام: هكذا والله نزل جبرائيل على محمد ؛ ولكنه مما (حرف من كتاب الله)) ^(٣)

(١) ابن نديم : محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ- ٩٩٥ م)، الفهرست :ص ٤٨ ، دار المعرفة (بيروت- ١٩٧٨)

(٢):انظر ثيودور نولدكه: تاريخ القرآن: ج٢ ص ٣٩٨

(٣)جولد زيهر ص ٣٠٩ ، وينظر تفسير القمي ص ٦١٩ - ٦٢٠

كذلك يشير جولد زيهر الى (الاية ١١٠: من سورة آل عمران) {كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} ؛ يقول جولد زيهر : ((فحينما قرأت هذه الجملة أعلنت مبدأ أساسيا يعد عظيم الأهمية للحياة الإسلامية ؛ بحضرة ذلك الإمام ؛ عقب عليها بما يلي : خير امة : تقتلون أمير المؤمنين أي عليا والحسن والحسين! فقال القارئ: جعلت فداك ؛ كيف نزلت قال نزلت: كنتم خير أئمة اخرجت للناس ألا ترى مدح الله لهم تؤمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله : أي كنتم خير الأئمة ؛ لأن تلك المناقب إنما يمكن أن ترجع إليهم لا إلى الأمة التي قتلت القديسين))^(١)

ويضيف جولد زيهر فيقول: ((وهو تغيير ضئيل في الرسم ؛ تطلبوها أيضا في موضع آخر حيث سنحت الفرصة ؛ مثلا في الآية ١٤٣ من سورة البقرة : {وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} فقد جاء هنا لفظ امة ولا يريد الإمام أن يرى إن الأمة تمدح إلى هذا الحد فالنص المنزل هنا أيضا أئمة وإنما أنزلت كذلك))^(٢)

ويؤكد "جولد زيهر" على هذا التفسير المزعوم من قبل الإمام (عليه السلام) ، فيقول: ((والله لا يخاطب هنا الأمة بل الأئمة والدليل على ذلك الآية ٧٨ من سورة الحج وفي هذا { ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس } ولما كان لفظ : امة ؛ يتكرر في معرض المدح كثيرا في القرآن ؛ فقد وجد الإمام فرصة كبيرة لتصحيح ذلك بلفظ أئمة . وفي الآية ١٢٣ من سورة آل عمران بضرورة ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة " لم ينزل كلام الله على هذا النحو ؛ "ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله" (ﷺ) ؛ وإنما نزل : لقد نصركم الله ببدر وانتم ضعفاء ؛ وليس في هذا شيء من الذلة))^(٣)

(١): المصدر السابق : الصفحة السابقة ، و انظر تفسير ألمقي ص ٩١ :

وانظر 60 (1875) HOUTSMA DE STRIJT OVER HET DOGMA IN DEN ISLAM TOT OP AL – ASHARI (LEIDEN)

(٢): جولد زيهر ص ٣٠٧ ، و انظر : ألمقي ص ٥٤

(٣) م - ن ، وينظر تفسير ألمقي ص ١١١

يظهر للباحث ان المستشرق "جولد زيهر" حاول أن يفسر مثل هذا التبديل بالأمة بالأئمة بان الشيعة – من خلال أئمتهم – لا يوافقون على أن يكون للأمة دور في القرآن ؛فلذلك عمدوا إلى تبديل كل كلمة للأمة بالأئمة أو تغير بحروف القران من اضافته أو نقص أو تبديل إلا الاستثنائية بلا إلى غير ذلك^(١) من الترهات ،ونحن نرد على كلامه بان المسألة ليست كما يراها ؛لان الرواية الواردة بهذا المضمون قد تكون واحدة أو اثنتين ولكنها ليست بهذا الشمول ؛ مع ملاحظة مهمة ؛وهي ان الشيعة لم يعترفوا بهذه الروايات ولم يلتزموها في المصاحف التي كتبوها ؛لأنهم –باجمعهم – لا يرون صحة نسبة التحريف في القرآن بل يرون انه في القرآن الموجود بين الدفتين الذي يتداوله المسلمون من دون أي زيادة أو نقصان لأنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (فصلت : ٤٢ قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩: سورة الحجر)

وإذا كان بعض علمائهم وهو الشيخ حسين أنوري (رحمه الله)؛قد ألف كتاب في إثبات التحريف فان العلماء المتأخرين من بعده قد ردوا عليه ابلغ رد ؛ ومنهم السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره – في كتابه " البيان في تفسير القرآن" وقد تحدث فيه أن الروايات الواردة في هذا المجال بين ضعيفة السند أو ضعيفة الدلالة ؛ أو محمولة على التفسير لا على التنزيل^(٢) ؛ ولعل ابلغ دليل على رفض المسلمين الشيعة وأئمتهم للتحريف هو ما اشار اليه العلامة الحلي بقوله: ((أن الأحاديث تواترت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بإرجاع الناس إلى كتاب الله في توثيق الروايات من حيث المضمون ؛ فقالوا : ما خالف كتاب الله فهو زخرف وفيه توجيه إلى أن لا نقبل عليهم ما خالف كتاب الله؛وكانوا يشيرون إلى الكتاب الموجود بين أيدي المسلمون (مصحف عثمان)؛فانه ليس لدى الشيعة في كل عصورهم كتاب قرآني من نوع آخر))^(٣).

بعد هذا يذهب جولد زيهر الى ان الشيعة فسرو بعض نصوص القران ما يدل على تقديس علي ورجعته إذ يقول:

(١): ظ: جولد زيهر:ص ٣١٢ ،
(٢) ظ: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص ٢٣٠
(٣):.كشف اليقين للعلامة للحلي ص ٧٢

((إن الشيعة ذهبوا إلى ابعـد من ذلك بتغلغل الاتجاه أيضا ؛ مع تجاوز الموقف السياسي ؛ إلى استخراج ما يدل على الصواب تقديس عليّ من القرآن ؛ وان عليّ يقف ؛ في المرتبة واحد على وجه التقريب ؛ إلى جانب النبي ﷺ [وفوق مستوى من بقى من الناس وقد ربطت إشارة إلى ذلك منذ عهد مبكر بالآية ٣٨ من سورة النحل {وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللّٰهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} . يزعمون إن عليا مبعوث قبل يوم القيامة . وإن وفاة علي كانت وفاة ظاهرة فحسب ؛ وان ظهوره ثانية بين الأحياء يجب عده من قبيل الرجعة التي لا صلة لهل ببعث الموتى على وجه عام))^(١)

إن ما أثاره " جولد زيهر " عبارة عن فرضيات ، وما عليّ إلا بشر لا يعبد ولا يرجع ، إلا يوم يبعثون ولا احد يزعم ذلك ، والرجعة ليست فكره شيعيه إنما هي موجودة في القرآن الكريم .
والجواب على هذه الآراء المشتتة إنها قصور في الفهم لمسألة الرجعة ، فالشيخ المفيد يقول في الرجعة : ((إن الله – تعالى- يورد قوم من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز منهم فريقا ويذل فريقا ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد- عليهم السلام- وأقول :إن الراجعين إلى الدنيا فريقان : احدهما من علت درجته في الإيمان ، وكثرت أعماله الصالحات ، وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر الموبقات ، فيريه الله – عز وجل – دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه والآخر من بلغ الغاية في الفساد وانتهى في خلاف المحقين إلى أقصى الغايات وكثر ظلمه لأولياء الله واقتترانه السيئات ، فينتصر الله – تعالى- لمن تعدى عليه قبل الممات ، ويشفي غيظهم منه بما يحله من النقمات ، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ومن بعده الى النشور وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب ، وقد جاء القرآن بصحة ذلك وتظاهرت به الأخبار والأمامية بأجمعها عليه إلا شذاذا منهم تأولوا ما ورد فيه مما ذكرناه على وجه يخالف))^(٢) وقد أشار القرآن الكريم إلى الرجعة في أكثر من آية، فالله

(٢) جولد زيهر ص ٢٩٢
(٢) الشيخ المفيد: أوائل المقالات ص ٧٧

تعالى يقول : {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكَدِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} (٨٣: سورة النمل) . هذه الآية الكريمة اظهر آية دلتنا على ثبوت الرجعة ، و هي الحشرة الصغرى قبل الحشرة الكبرى يوم القيامة حيث التعبير وقع في هذه الآية بحشر فوج من كل امة ، أي جماعة منهم و ليس كلهم ،إما الحشر الأكبر فهو الذي قال فيه تعالى : {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} (٤٧: سورة الكهف) و قد تكرر قوله تعالى : {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} (٢٢: سورة الأنعام)

يرى الباحث ان مسألة الرجعة ، حسبما تعتقده الشيعة الإمامية ، و هي رجعة أموات إلى الحياة قبل قيام الساعة ، ثم يموتون موتهم الثاني ، ليست بدعا من القول عند الشيعة إلى جنب قدرة الله تعالى في الخلق والى سابق وجودها ، كما تعالى قص في كتابه من قصة عزيز ، و أصحاب الكهف ، و الذين خرجوا من ديارهم و هم أوف ، و السبعين رجلا من قوم موسى ، و غير ذلك مما وقع في أمم خلت ، فلا بد أن يقع في هذه الأمة مثلها.

الفصل الثالث

ترجمة معاني القرآن الكريم

— المبحث الأول: الترجمة دلالة وتأريخاً

— المبحث الثاني : الترجمات الإنكليزية و عيوبها

— المبحث الثالث: الترجمات الفرنسية و عيوبها - جاك بيرك - ان نموذجاً

ترجمة معاني القرآن الكريم (*)

توطئة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه المنتجبين ومن اهتدى بهديه، واقتدى بسنته إلى يوم الدين. لا يشكك أحدا في الدور البارز الذي تؤديه الترجمة في حياة الشعوب، وهذا الدور يتجلى في شتى مجالات الحياة من فكر وعقيدة وسياسة واقتصاد واجتماع وتقنية وأدب وغيرها، مما يشكل رابطا بين الحضارات وفي مقدمة ذلك كله يبرز دورها في الجانب الديني حيث يتنافس أصحاب الملل والنحل السماوية منها والوضعية في ترجمة عقائدهم إلى اللغات الأخرى، ويتبارون في استخدام أحدث ما وصل إليه التقدم التقني من مخترعات في هذا المجال ، وقد عبر الدكتور محمد حسين الصغير عن طبيعة المعايير و المحددات التي ينبغي ان يتمتع بها المترجم لاسيما ان كان يتعامل مع النص القرآني بقوله: ((والترجمة تحتاج الى ذائقة فنية بارعة ، واصاله في الفكر ، واحاط في صنوف البيان العربي ، اذ ليس من اليسير ان ينبري افراد او جماعات لغتهم الاصلية هي غير اللغة العربية ، لترجمة اعظم نص عربي ، اتسم ببلاغته ، الفائقة ، واقدس كتاب عند المسلمين رأوا اعجاز في نظمه وتأليفه ، وسحره في اسلوبه وجودة تعبيره ، لذا فالترجمة تعني تمرس المترجم بكثير من فنون البيان ، وجملته من اساليب القول ، واضطلاع في اللغة والبلاغة ، وكفاية في المفردات المترادفة والمشتركة والمتضادة . وفي هذا الضوء تعتبر ترجمة القرآن من اعقد الدراسات القرآنية التي تحتاج الى العلم والدقة والاحاطة))^(١)

ولكن لماذا ترجموا القرآن ؟ انما ترجموه ليحاربوه وانطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحة لدحض المبادئ الاسلامية ، وقد فعلوا ذلك بروح رجعية متزمتة سدها معادات الاسلام

(*) تسمى ترجمة المعاني عند الذهبي بالترجمة التفسيرية للقرآن، لأنها عبارة عن شرح الكلام ، وبيان معناه بلغة أخرى بدون محافظه على نظم الأصل وتربيته ، الذهبي التفسير والمفسرون: ٢٧/١ ، ويميل بعض الباحثين إلى تسميه هذه الترجمة باسم ، ترجمة تفسير القرآن ، ولا يجوز أن تسم ترجمة معاني القرآن ، لأن الترجمة لا تضاف إلى الألفاظ ولأن هذه التسمية توهم إنها ترجمة للقرآن نفسه وهو وجه لا يخلو من دقة وضبط حدود، انظر : الزرقاني مناهل العرفان ٣/٢ وينظر المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١١٦ .
(١): المستشرقون والدراسات القرآنية: ص ٦٣ (مصدر سابق)

بدا الغربيون دراسة اللغة العربية في اديرة الرهبان، وكان اول واهم عمل هائل في مجال الترجمة من اللغة العربية خصصوا له الوقت والجهد هو القران الكريم، فشرعوا في ترجمته لا للاطلاع عليه والاستفادة منه فحسب كما يمكن ان يتصور الانسان بحسب النية، بل لمحاربته بعد الوقوف على مضمونه . وقد عبر الدكتور محمد البهي عن هذا الواقع بقوله: ((ان الاستشراق كمنهج وكماحولة فكرية لفهم الاسلام حضارة وعقيدة وتراثا كان دافعه الاصيل العمل من اجل انكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الامة والتنديد والاستخفاف بها))^(١)

إن ترجمات القران التي يعتمد عليها علماء الغرب في فهم القران كلها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العالية وأسلوبه المعجز للبشر ، وهي إنما تؤدي بعض ما يفهمه المترجم له منهم إن كان يريد بيان ما يفهمه ، ((.. وانه من الثابت عندنا إن بعضهم تعمدوا تحريف كلمه عن مواضعه على انه قل ما يكون فهمهم تاما صحيحا ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمن بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما : قصور فهمه ، وقصور لغته))^(٢) ويعزوا الشيخ محمد رشيد رضا الأسباب العالقة عن فهم الأجانب للقران إلى جهل بلاغة كتاب الله والى قصور ترجمات القران وضعفها فيقول: ((إن أول الأسباب العالقة عن فهم الأجانب للقران جهل بلاغة اللغة العربية التي بلغ القران فيها ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه وتأثيره في أنفس المؤمنين والكافرين جميعا)).^(٣) ، ويقول الدكتور محمد حسين الصغير: (الترجمة مهما كانت حرفية فقد تشذ عن الأصول البلاغية و الأساليب الجمالية التي جاء بها القران الكريم)).^(٤)

من اجل هذا يميل الباحث للرأي القائل باستحالة ترجمة القران ترجمة حرفية لأسباب بلاغية واعجازية في اللغة العربية ، أما الترجمة التفسيرية ، فلا نرى فيها حرج .

(١): المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ص١، ط١١، ١٩٨٥، دار غريب للطباعة- القاهرة

(٢): رشيد رضا محمد(ت١٣٧٤-١٩٣٥) : الوعي المحمدي ، الطبعة الثانية المكتب الإسلامي ص٢٤/٢٥

(٣): نقلا عن. محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القران الكريم:ص١٠٠، منشورات دار الافاق الجديدة -بيروت

(٤): الصغير :المستشرقون والدراسات القرآنية ص١٨

سينقسم البحث في هذا الفصل إلى ثلاث مباحث رئيسية الأول منها سيدور حول تاريخ الترجمات ودلالاتها وتعريفها لغة واصطلاحاً والموقف منها وصلاتها بـتفسير وضوابطها وأنوعها.

والمبحث الثاني يشمل أهم الترجمات الإنجليزية وسوف أتناول بعض الترجمات المشهورة كترجمة (جورج سيل)

أما المبحث الثالث يشمل الترجمات الفرنسية وفيها أركز على أحدث ترجمة وهي ترجمة (جاك بيرك) لأهميتها.

المبحث الأول

الترجمة دلالة وتاريخاً

المطلب الأول: الترجمة في اللغة والاصطلاح

الترجمة لغة:- ((الترجمة بزنة فعله، بيان لغة بلغة أخرى ، واللغة التي تبين لغة أخرى ، وقد ترجم كلامه إذا فسر له بلسان آخر ، والترجمان هو المفسر للسان ، وقد ترجمه وعنه إذا فسر له بلسان آخر وتفسير الكلام بلسان آخر أو بلغة أخرى ، يخرج (علم التفسير) لغة واصطلاح عن مدلول الترجمة ، إذ للتفسير بيان بلغة الأصل ، وهو يعني بالكشف والبيان والإيضاح لغة ، ويبحث فيه عن القران الكريم في دلالاته على مراد الله تعالى اصطلاحاً وأما الترجمة فهي بيان بلغة غير الأصل، وبذلك يزال اللبس بين المصطلحين، وتبدو استقلالية كل منهما عند الإطلاق))^(١)

جاء في لسان العرب :الترجمان، والترجمان :المفسر للسان، والترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى وجمع التراجم والتاء والنون زائدتان وقد ترجمه، وترجم عنه وترجمان ومن المثل التي لم يذكرها سيبويه.^(٢)

جاء في المصباح المنير : ترجم فلان كلامه إذا بيّنه وأوضحه . وترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم^(٣)

قال الزبيدي في تاج العروس : الترجمان المفسر للسان ، وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر قاله الجوهري^(٤) ومن معاني الترجمة تبليغ الكلام لمن لم يبلغه ، ومنه قول الشاعر

إن الثمانين – وبلغتها – قد أحوجت سمعي إلى ترجمان^(٥)

(١): نقلا عن المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١١٢، وينظر الفيروز آبادي ، القاموس المحيط :ج ٤ ص ٨٣، ابن منظور ، لسان العرب: ٢٢٩/١٢، ألتهاوني كشف اصطلاحات الفنون : ٧٧/٣ ،

(٢) انظر: لسان العرب : ابن منظور ، ج ٦٦/١٢ مادة ترجمان ؛ ترجمة القران ، عبد الله شحاتة ، ص ٥ . دار الاعتصام

(٣) انظر: احمد بن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير ج ١ / ٧٤ ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان.

(٤) انظر: محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس في شرح القاموس ج ٨ / ١١٣ ، مطابع دار صادر ، بيروت

(٥) انظر: : الزرقاني ، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان ج ٢ / ١٠٩ تحقيق : فواز احمد زمرلي ، ط ١ " ١٩٩٥ ، دار الكتاب العربي – بيروت .

الترجمة اصطلاحاً :- فهي عبارة عن ((النقل من لغة إلى لغة أخرى نقلاً حرفياً مع التزام الصورة اللفظية للكلمة أو ترتيب العبارة))^(١).

ويقول الدكتور محمد حسين الصغير: ((ويبدو أن المعنى الاصطلاحي للترجمة منحدر من الأصل اللغوي في حدود النقل من لغة إلى أخرى ، إلا أن المدلول اللغوي أوسع منه إذ لا تقيد فيه بالنقل الحرفي أو الصورة اللفظية ، بل هو تيسير ما يفهم بمعنى العبارة وتفسير النص))^(٢) .

وعلى ضوء ما قيل سابقاً يميل الدكتور الصغير إلى أن الترجمة في الاصطلاح :

((هي نقل الكلام من لغته الأصلية إلى لغة أجنبية مع الحفاظ على المعاني والخصائص والإشارات للغة الأولى في اللغة الثانية، نصياً أو تعبيرياً ، بحيث يؤدي المعنى المراد بميزات في اللغة الأم وبناءً على هذا التأسيس فترجمة القرآن تعني : نقل القرآن الكريم من لغته العربية إلى لغة أجنبية مع الوفاء لجميع الدلالات والمعاني والخصائص الفنية للغة العربية حين النقل نصاً أو تعبيراً ، بحيث يؤدي المعنى المراد متكاملًا بميزات الأصلية في لغته الأولى))^(٣).

(١) :مرعشي ، الصحاح في اللغة والعلوم: ١٣٩/١ وينظر مجمع اللغة العربي و مجموعة المصطلحات العلمية والفنية: ١٣٢/١٠ .

(٢) المستشرقون والدراسات القرآنية: ص ١١٣ .

(٣) م - ن

المطلب الثاني : الموقف من الترجمة وصلتها بالتفسير وضوابطها وأنواعها وشروطها .

بعد أن توسعت دولت الإسلام وتفرق المسلمون في أنحاء المعمورة وتعددت دولهم ، وبعد أن انقسمت تلك الدول بتدبير وتخطيط من أعداء الإسلام ، وبعد أن ضعف اللسان العربي في تلك الدول، ظهرت الحاجة إلى ترجمات بعض الكتب الدينية ، وكذلك ظهور الشعور بالحاجة إلى ترجمة كتاب الله نفسه بلغات أخرى ، من أجل فهمه والاطلاع على ما فيه من كنوز تسعد الحياة والإحياء جميعاً، ويمكن إيجاز الأسباب التي دعت إلى ترجمة القرآن الكريم :
أولاً : إن القرآن الكريم هو أصل الرسالة الإسلامية التي بعث بها النبي (ﷺ) ، فهو معينها الذي لا ينضب ، ومن هنا طلب المولى سبحانه من المسلمين أن يتدارسوا آيات القرآن ، وأن يوصلوا معانيه إلى الشعوب الأخرى.^(١)

ثانياً : اختلاف السنة الناس ، أي اختلاف اللغات من عربية وتركية ورومية وعجمية مع اتحاد الأصل آية داله على عظمة الله سبحانه حيث قال تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} (٢٢: سورة الروم) ، وإذا كانت السنة الناس مختلفة فغير العربي يصعب عليه الاطلاع على كتاب الله الذي نزل بلسان عربي مبين ولا بد من طريق إلى توثيق الصلة بينه وبين أولئك الذين تحن إليه قلوبهم وتعشقه أرواحهم ممن امن به ، وحالت معرفتهم باللغة التي نزل بها بينهم وبين طريق الهداية التي رسمها والإحكام التي شرعها . ومن هنا دعت الضرورة إلى توضيح كتاب الله وبيان معانيه^(٢)

ثالثاً : عالمية الرسالة الإسلامية ، فالله بعث النبي (ﷺ) رحمة للعالمين ، قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١٠٧: سورة الأنبياء) ، وقوله تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} (١٥٨: سورة الأعراف) ، فمن بلغه القرآن وفهمه وعقله كان كما عاين النبي (ﷺ) ^(٣) إذا فالعمل على تبليغ الدعوة إيصالها إلى الناس بلغة يفهمونها

(١) ط: د. محمد أمين حسن محمد، المستشرقون والقرآن الكريم ص ٣٦٠ دار الامل للنشر والتوزيع ط١، ٢٠٠٤، الاردن - اربد

(٢) ط: عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم ص ٥٣١ وما بعدها، مكتبة الرسالة، عمان

(٣) ط: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ج ١/٧ ط ٣٤١، ٣، ١٣٧٤ هـ دار المنار مصر

، وهذا يستلزم أن نترجم لهم ما به يسقط الواجب الملقى على عاتقنا من التبليغ ، وتقع الحجة على كل من لم تبلغه الدعوى من المسلمين . قال ابن الخطيب: ((إن الواجب على العلماء وعلى سائر الناطقين بالضاد أن يبادروا إلى تبليغ القرآن للأمم التي لم يصلها (نوره) ، ولم ترقى بتعاليمه لتتم بذلك رسالة رسول الله (ﷺ) إذ أنه أرسل إلى الخلق كافة ولم يرسل إلى العرب خاصة ، ولما كان هذا التبليغ لا يتم إلا بترجمة هذا النور إلى الأقوام المراد هاديتهم وجب على الأمة الإسلامية عامة وعلمائها خاصة القيام بمهمة ترجمة القرآن إلى سائر اللغات الذائعة الشائعة))^(١)

ومن هنا تبدو أهمية الترجمة القرآنية لأنها مستمدة من أهمية القرآن نفسه ، فالقرآن كتاب هداية وتشريع يتسم بصيغته الشمولية فهو يتخطى المناخ الجغرافي والتاريخي والإقليمي بحياة الإنسانية ، ليلقي بتعاليمه إلى الناس كافة ، وينفذ برنامجه في هداية البشر وتشريع الأحكام وكلما ضيقنا بحدود ترجمة مفاهيمه ذرعا ، وحاولنا الوقوف بمسيرتها ، كما قمنا بتحديد مهمة القرآن في رسالته ، وقيدنا وظيفته دون مسوغ^(٢)

قال السيد الخوئي: ((لقد بعث الله نبيه لهداية الناس معززه بالقرآن ، وفيه كل ما يسعدهم ويرقى بهم إلى مراتب الكمال ، وهذا لطف من الله لا يختص بقوم بدون قوم بل يعم البشر عامة بل يعم البشر عامة وقد شاءت حكمته البالغة أن ينزل قرآنه العظيم على نبيه باللسان قومه ، مع إن تعاليمه عامه وهاديته شاملة ولذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كل أحد ليهتدي به . ولا شك إن ترجمته مما يعين على ذلك، ولكنه لا بد وأن تتوفر في الترجمة براعة وإحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها لأن الترجمة مهما كانت لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن بل ويجري ذلك في كل كلام ، إذ لا يؤمن أن تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل))^(٣)

(١) محمد محمد عبد الطيف : ابن الخطيب الفرقان : ص ١٧٠ ، مطبعة دار الكتب المصرية بيروت ١٩٥٧ .

(٢) ظ: المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١٢٠

(٣) السيد الخوئي، البيان، ٥٠٥ وما بعدها (نقلا عن المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١٢٠ وما بعدها)

بعد ذلك يضع السيد الخوئي شروط لترجمة القرآن الكريم فيقول: ((ولا بد – إذن – في ترجمة القرآن من فهمه ، وينحسر فهمه في أمور ثلاثة :

١- الظهور اللفظي التي تفهمه العرب الفصحاء .

٢- حكم العقل الفطري السليم .

٣- ما جاء من المعصوم في تفسيره .

وعلى هذا تتطلب إحاطة المترجم بكل ذلك لينقل منها معنى القرآن إلى لغة أخرى ، وإذا، روي في الترجمة كل ذلك فمن الواجب أن تنقل حقائق القرآن ومفاهيمه إلى كل قوم بلغتهم ، لأنها نزلت للناس كافة ولا ينبغي أن تحجب ذلك عنهم لغة القرآن ما دامت تعاليمه وحقائقه لهم جميعاً))^(١) وبهذا يكون السيد الخوئي قد أكد بدقه متناهية على نقل مفاهيم القرآن وحقائقه دون الألفاظ والتركيب ، لان الترجمة ستواجه المشكلات البلاغية^(٢) .

ولا بد لنا من الإشارة الى أن هناك اختلاف كبير بين العلماء في جواز الترجمة أو عدمه ، فقد اختلف العلماء في حكم ترجمة القرآن على فريقين : الأول المجيزون: استدل المجيزون لترجمة القرآن بالكتاب والسنة والعقل إما في الكتاب تتلخص أدلته بما يلي

١- القرآن نزل بلغة العرب وقد أمر الله نبيه (ﷺ) أن يعمل على تبليغه للناس كما في قوله تعالى { ... فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } (٤٠: سورة الرعد) وقوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا } (١٧٤: سورة النساء) { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } (١٣٨: سورة آل عمران) فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى أراد إبلاغ القرآن جميعاً ولا يمكن تبليغ هؤلاء إلا بترجمة القرآن إلى لغات الناس المتعددة.^(٢)

(١) م - ن

(٢) ظ : المستشرقون والدراسات القرآنية ص ١٢١

(٢) ظ : المستشرقون والقرآن الكريم ص ٣٧٠

أما الأدلة من ألسنه النبوية فينقل عن النبي (ﷺ) قوله ((إني قد بعث رحمة وكافة فادوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليه كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم...))^(١)

وأما أدلة العقل يقولون : ((أن العقل السليم، والبصيرة المدركة تقرّ كون التبليغ لا يتم إلا بفهم القرآن ولا يمكن أن يفهم الأعاجم كتاب الله بغير لغتهم ، وإما كان البلاغ القرآني للناس جميعا وقد تعددت ألسنتهم، فافتضى ذلك ترجمة القرآن، وليس هناك أي مانع من ترجمته))^(٢)

أدلة المانعين:

١- إن ترجمة القرآن تستلزم المحال إذ أن الوفاء بجميع المعاني وتضمين كل المقاصد في الآيات أمر لا يمكن الوصول إليه ومن مقاصد القرآن بداية الناس إلى إحكام الله الاعتيادية وايفادة القرآن عن لهذه الأحكام عن طريقين :

أ- دلالاته على المعاني الأصلية

ب- دلالاته على المعاني الثانوية ، التابعة للمعاني الأصلية – أي البلاغية وهو إشارات الكلام ومجازاته وما يشير من صور بيانيه.

٢- إن ترجمة القرآن الحرفية والتي تسمى به بعد وجودها (Holy Quren) تفضي إلى ادعاء مثل للقرآن وكل مثل مستحيل ، لأن الله تحدى العرب أن يأتي بصورة مثله فعجزوا، قال تعالى : {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٢٣: سورة البقرة) فإذا ثبت عجز العرب عن الإتيان بسورة من مثله، فعجز غيرهم أن يأتي بمثله بغير العربية أولى.

٣- إن خروج القرآن عن اللغة العربية يعمل على وقوع التحريف فيه وهذا مطلب المستشرقين وأعوانهم

٤- إن إباحة الترجمة تؤدي إلى انصراف الناس عن كتاب الله كما إنها تساعد على صرف الناس عن لغتهم العربية التي هي القاعدة الأساسية عندهم لفهم الدين^(٣)

(١) محمد يوسف الكاند هلوي، حياة الصحابة ج ١/ ١١١، دار النصر ط ١

(٢) ط: مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد عدد ٥ سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣، شبهات وردود، داود العاني، بحث عن ترجمة القرآن.

(٣) ط: المستشرقون والقرآن الكريم ص ٣٦٤

أنواع الترجمة : يمكن تقسيم الترجمة إلى نوعين :

الأول : الترجمة الحرفية.

الثاني: الترجمة التفسيرية.

١- الترجمة الحرفية : فهي ترجمة نص من النصوص إلى لغة أخرى مع المحافظة على معانيها ومقاصدها التي هي في النص الأصلي ، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه ^(١).

فالمترجم ترجمة حرفية يأخذ كل كلمة في الأصل ، ثم يستبدلها بكلمة تساويها باللغة أخرى مع وضعها موضعها وإحلالها ، وان أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل بسبب اختلاف اللغتين في مواقع استعمال الكلام في المعاني المرادة إلفا واستحسانا ^(٢).

يرى الباحث إن هذا النوع من الترجمة صعبٌ وربما يكون مستحيل لأنه مهما كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها ، تخرج القرآن عن أن يكون قران وهذا هو القول المعتمد عند علماء الإسلام لان الترجمة الحرفية تحتاج إلى مفردات وضمائر روابط متشابه بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها .

٢- الترجمة التفسيرية: والمراد بها الترجمة التي تشتمل على المعاني والأحكام التي يدل عليها القرآن ، فهي ليست إلا ترجمة لتفسير للقران، أو بيان معناه بلغة أخرى مع عدم المحافظة على تركيب الأصل فإذا كانت الترجمة تحقق فائدة علمية فهي مرغوب فيها ، وأما إذا كان المقصود منها التضليل والتغريب ، وزرع الشكوك في قلوب الناس فعند ذلك يصبح الأمر محرما ^(٣)

(١) ظ: الزرقاني، مناهل العرفان ، ج ٢/ ١١١

(٢) ظ: نم - ن

(٣) ظ: عبد الله شحاته ، ترجمة القرآن ، ص ٥ ، ط (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، دار الاعتصام - القاهرة

والتفسير القرآني: وهو بيان لمراد الله بقدر الطاقة البشرية وهذا البيان يستوي فيه ما كان بلغة العرب ،وما ليس بلغة العرب ولا بد لهذه الترجمة أن تستوفي شروط الترجمة باعتبار انه نقل لما يمكن من معاني اللفظ بلغة غير عربية ، وشروط التفسير ^(١)

شروط الترجمة التفسيرية:

- لخص لنا الذهبي شروط الترجمة التفسيرية وهي ما يلي :
- ١- أن تستند هذا الترجمة من الأحاديث النبوية وعلوم اللغة العربية، والأصول المقررة في الشريعة الإسلامية ،ولا بد من المترجم من اعتماده في استحضار معنا الأصل على تفسير عربي مستمد من ذلك ، وإما إذا اعتمد المترجم على رأيه ، واعتمد على تفسير غير مستمد من الأصول . فلا تجوز ترجمته ولا يعتد به
 - ٢- استقامة المترجم وبعده عن الميل إلى عقيدة مخالفه لعقيدة القرآن
 - ٣- إتقانه اللغتين المترجم منها والمترجم إليها ، ومعرفة أسرارها
 - ٤- أن يكتب القرآن أولا ، ثم يؤتى بعده بتفسيره ،ثم يتبع هذا بترجمته التفسيرية حتى لا يتوهم ان هذا الترجمة ترجمة حرفية للقرآن ^(٢).

(١) ظ: مناهل العرفان ، الزرقاني ، ج ٢/ ١٣٣

(٢) ظ: الذهبي، محمد حسين التفسير والمفسرون ج ١/ ٣٠

المطلب الثالث : تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم .

ورد في مقدمة "سير د. روس S.E.D.Ross" (*) لترجمة (جورج سيل)^(١) أن أوروبا كانت تتخبط في ظلمات الجهل والأمية عند ظهور الإسلام في القرن السادس الميلادي، وأنها ظلت منعزلة عن التطورات الدينية في الشرق العربي عبر القرون التي سبقت الحروب الصليبية. وفي أرض فلسطين واجه الغرب المسلمين العرب لأول مرة في التاريخ وعرفوا أن لمنافسيهم المسلمين العرب ديناً يؤمنون به وهو الإسلام وكتاباً يهتدون بهديه في جميع نواحي حياتهم وفي سلمهم وحربهم، ويؤمنون بأنه نزل من عند الله وحياً أوحى به إلى نبيهم محمد بن عبد الله (ﷺ) وهو دستورهم في حياتهم الفردية والاجتماعية يراجعونه عندما ينشب الخلاف بينهم، وهو سرُّ قوتهم وجامع شملهم، فتطلع علماء المسيحية إلى معرفة هذا الكتاب واستعانوا باليهود والنصارى من أهل الشام وفلسطين، فأوفد بطرس الملقب بالمحترم Peter the Venerable رئيس صومعة الرهبان في (كلوني Cluny)^(٢) عدداً من الرهبان إلى الشام ليتلقوا العبرية واللغة العربية ففحصى الراهب (هرمان Hermann) من كبار المسؤولين في (دالماتيا Dalmatia)^(٣) ثلاثة عشر عاماً عاكفاً على تلقي النحو والصرف وعشر سنوات أخرى في درس اللغة العربية، ورجع إلى الأندلس مدرسا للغة العربية في مدرسة الآباء المسيحيين في (ريتينا Retina). ويذكر أن (بطرس ١٠٩٤ - ١١٥٦ م) وهو فرنسي من رهبان البندقية بإيطاليا (**)، عين لسعة اطلاعه رئيساً لدير كلوني Cluny الذي شيد في فرنسا (١١١٠ م) وانطلقت منه حركة إصلاح عمت

(*) السير ديروس (١٨٧١-١٩٤٠) تخرج على نولده من جامعة سترا سبورج ، وعين استاذ للفرسية في جامعة لندن (١٨٩٦-١٩٠١) ومدير في جامعة كلكتا في الهند (١٩٠١-١٩١١) ، أثاره مقدمة فهرس المخطوطات الفارسية والعربية في جامعة كلكتا والترجم كتاب الاسلام، عقائد ونظم للاب لامنس اليسوعي ، صنف كتاب في تاريخ فارس وله خريطة عربية في الجزر البريطانية ، معجم أسماء المستشرقين ص ٤٠٠

(١) Ross, introduction Book The Koran, p.v111.

(٢) انظر: رودى بارت : الدراسات العربية الاسلاميه في الجامعات الالمانية :ص ٩ ، ترجمة مصطفى ماهر، (القاهرة-١٩٦٧)

(٣) :انظر نجيب العقيلي: المستشرقون: ج ١ ص ١٢٤، ط ٣، دار المعرف- القاهرة.

(**) بطرس المحترم (١١٥٦-١٠٩٢) راهب ولاهوتي فرنسي رئيساً لدير كلوني ، ظن انه يستطيع ان يخدم المسيحية بواسطة ترجمة القران الى اللاتينية ، ومن أثاره إلف كتاب على الاسلام يتناول فيه خلو حيات النبي (ص) من المعجزات ، موسوعة المستشرقين ص ٦٨

لنصرانية الأوروبية، وجعل منه رهبان الأسبان بعد أن أووا إليه في القرن الثاني عشر مركزا لنشر الثقافة العربية، وقصد الأندلس فيمن قصدها مستزيذا من علومها ولما رجع إلى ديرِه نظمه وطفق يصنف الكتب في الرد على علماء الجدل والفلسفة من المسلمين وقد طبع من مصنفاته ثلاثة كتب.

وكانت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية في عام ١١٤٣م / ٥٢٨هـ) وقام بها رهبان (ريتينا) وعلى رأسهم (روبرت أوف تشيستر Robert of Chester) - الإنجليزي الأصل - (وهрман Hermann) من أصحاب صومعة دالماتيا، وبقيت هذه الترجمة الخطية محفوظة في صومعة الراهب بطرس - المذكور آنفا - طوال أربعة قرون حتى ظهرت المطابع فتولى (ت. بيلياندر T. Bibliander) طبعها في مدينة بازل Basel عام ١٥٥٣م^(١).

وتلت هذه الترجمة ترجمة لاتينية أخرى قام بها ليوجي ماراتشي^(*) Luigi Merracci الإيطالي وطبعت عام ١٦٦٨م في بادوا Padua. ويرى الدكتور عبد الله عباس الندوي^(٢) : أن ماراتشي هذا كان عالما يُتقن العبرية والعربية بجانب لغات سامية أخرى، وكانت مكتبته الشخصية غنية بالكتب الدينية، كما كانت مخطوطات مكتبة إيطاليا الكبرى تحت تصرفه، ولكن لا يعرف أحد من معاصريه ومن بعده المراجع التي استفاد منها في أثناء عمله في ترجمة معاني القرآن الكريم فلم يكن في مكتبته التي بيعت بعد موته قاموس أو كتاب عربي أو كتاب في التفسير، وليس هناك ما يدل على أنه زار بلدا عربيا، وجلّ ما عرف عنه أنه كان مستشارا

(١): انظر الموسوعة العربية الميسرة: مادة: قرآن ١٣٧٤ ، إشراف : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة: ١٩٦٥م.

(*) :ترجمه لاتينيه قام بها لودو فوكو مراتشي(Ludovico Marracci) وهو راهب ألماني. وتعد هذه الترجمة من أجود الترجمات اللاتينية لأنها ترجمت عن النص العربي مباشرة، كما وأنها حفلت بال تعليقات الماخوذه من المصادر العربية. فضلا عن تزويدها بمجلد احتوى معلومات عن النبي محمد(ص) والدين الإسلامي. وقد طبعت هذه الترجمة لأول مره سنة (١٦٩٨) . ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين.ص٤٣٨

(٢):نظر: ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ص٧ ، دعوة الحق مكة المكرمة، العدد ١٧٤

للبابا (إنوسنت العاشر Innocent X Pope) وكان قد أهدى ترجمته إلى إمبراطور الروم (ليبولد الأول) ، وله رسالة أخرى في التعريف بالإسلام والرسول (ﷺ) باسم (Prodrumus) وقد كتبها لتكون مقدمة الترجمة ثم أفردها وطبعها منفصلة^(١).

ويرى (سير إدوارد دنسون روس S.E.D.Ross) في مقدمته لترجمة معاني القرآن الكريم لجورج سيل أنه لا توجد ترجمة لمعاني القرآن الكريم في اللغات الأوروبية إلا وهي مدينة بالفضل لماراتشي وأن مقدمة ماراتشي لترجمة معاني القرآن الكريم تجمع كل ما عرفه أهل أوروبا عن الإسلام ومحمد (ﷺ) والقرآن الكريم آنذاك^(٢).

أما أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية فهي ترجمة (إلزاندر روس Alexander Ross) والتي سمّاها -جريا على عادة المستشرقين- (قرآن محمد The Koran of Mahmet) ليوهم القارئ بأن القرآن الكريم ليس بوحى بل هو من تأليف محمد (ﷺ)^(٣).

وبدأت هذه الترجمة تصدر مجزأة منذ عام ١٦٦٤م - ١٠٥٨هـ من مطبعة (يُونيفرسل) بإنجلترا وطبعت بكاملها عام ١٧١٨ - ١١٣١هـ في لندن، وتوجد نسخة من هذه الطبعة في المتحف البريطاني. وزعم روس أن محمداً (ﷺ) هو نبي الإسلام ومؤلف القرآن الكريم. وهذه الترجمة رائدة لجميع الترجمات الاستشرافية باستثناء ترجمة أربري إلى حد ما، لذا فإن قيمتها العلمية لدى المستشرقين عظيمة^(٤). كمرجع مهم في فهمهم للقرآن الكريم وللإسلام.

(١):نظر: ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ص٧.

(2) Ross Introduction Book The Koran p.v11

ينظر: للدكتور محمد حميد الله : فهرس الترجمات في اللغات الأوروبية ولهجاتها، الدراسات الإسلامية في جامعة إستانبول. في مقدمته

لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية - طبع باريس عام ١٩٥٢

(٣):الموسوعة العربي الميسرة : مادة:قرآن

(٤): م - ن

ثم توالى الترجمات القرآنية إلى اللغات الأوروبية بعد ذلك في الظهور حيث ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية سنة ١٦٤٧م، على يد (أندري دي ريبور ١٥٨٠-١٦٦٠)^(١) وقد كان لها صدى كبيراً لفترة طويلة من الزمن، حيث أعيد طبعها مرات عدة وترجمت إلى مختلف اللغات الأوروبية، يقول: ((J.D Pearson: إن الترجمة الفرنسية القديمة جداً، هي ترجمة " أندري دي ريبور"، طبعت كثيراً بين الأعوام ١٦٤٧م، و ١٧٧٥م، وكانت كلها تحتوي على مختصر لديانة الأتراك وبعض المستندات، وقد نتج من هذا العمل أول ترجمة للقرآن إلى الهولندية بوساطة "جلازماخر" وإلى الألمانية بوساطة " لانج"، وإلى الروسية بوساطة "بستنكوف وفريفكين" ((^(٢).

وفي القرن السابع عشر، نشر (لودفيك مركي). بعد أكثر من أربعين سنة من دراسته للقرآن، ولمختلف المفسرين المسلمين - النص العربي للقرآن مصحوباً بترجمة لاتينية وجيزة جداً وبنقط وردود، وقد كان هذا المؤلف مصدراً لكثير من المترجمين الحاليين الذين أخذوا منه أهم المواد^(٣).

واعتبر هنري لامنز هذه الترجمة أكثر الترجمات إنصافاً للقرآن الكريم، ومرجع كثير من المترجمين الأوروبيين، غير أنهم لا يشيرون إليها في معظم الأحيان، والنتيجة كما يقول: (لامنز) ((إننا لا نملك ترجمة وحيدة للقرآن لا عيب فيها وأكثرها إنصافاً هي الترجمة اللاتينية القديمة (لمركي)(١٦٩١-١٦٩٨م) والتي تستند إليها جميع التراجم اللاحقة، من غير اعتراف في أكثر الأحيان))^(٤).

ونشر الفرنسي (سافاري) ترجمة مباشرة إلى الفرنسية سنة ١٧٥١م، وإن كان (إدوارد مونتييه E.montet) يقول: ((إنه رغم أن ترجمة سافاري طبعت مرات عدة، وأنيقة جداً، لكن دقتها نسبية))^(٥).

(١) : انظر : موسوعة المستشرقين:ص٢٢٢

(٢) م - ن : ص٣٠٨:

(٣):انظر :الموسوعة الميسرة ،مادة: قرآن.

(٤) : حمدان ،-طبقات المستشرقين ص١٨٤

(٥) :: موسوعة المستشرقين:ص٣٠٩

وفي سنة ١٨٤٠م ظهرت إلى الوجود ترجمة (كزيمرسكي)، التي تعتبر - مقارنة مع ترجمة (سافاري) أكثر عراقة واستعمالاً. رغم عوزها بعض الأمانة العلمية وفهم البلاغة العربية يقول مونتيه عن هذه الترجمة: ((لا يسعنا إلا الثناء عليها، فهي منتشرة كثيراً في الدول الناطقة بالفرنسية)).^(١)

وفي سنة ١٩٢٥م ظهرت ترجمة (دوارد مونتيه) التي امتازت بالضبط والدقة، والتي تحدث عنها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بما نصه ((كنت طالعت في مجلة المنار مقالاً للأمير "شكيب أرسلان" عن ترجمة فرنسية حديثة للقرآن الكريم وضعها الأستاذ: "إدوارد مونتيه" - وقد قال عنها: إنها أدق الترجمات التي ظهرت حتى الآن وقد نقل عنها إلى العربية مقدمة هذه الترجمة، وهي في تاريخ القرآن وتاريخ سيدنا رسول الله، وقد نشرت في المنار، فاقنتيت هذه الترجمة فوجدتها قد أوفت على الغاية في الدقة والعناية وقد ذيلها المترجم بفهرس لمواد القرآن المفصل أتم تفصيل)).^(٢)

وفي العام ١٩٤٩م، ظهرت ترجمة (بلاشير)، التي توجد السور فيها مرتبة حسب التسلسل التاريخي، يقول الدكتور صبحي الصالح: ((تظل ترجمة بلاشير للقرآن في نظرنا أدق لترجمات، للروح العلمية التي تسودها لا يغض من قيمتها إلا الترتيب الزمني للسور القرآنية)).^(٣)

وأخيراً، فإن ترجماتهم كانت حرة أكثر من اللازم، مما أدى الى كثير من انغلاق المعنى على القارئ بالإضافة إلى فقدانها لعنصر التأثير والجذب. إن الترجمات الاوربية كغيرها من الترجمات الأخرى للقرآن، مهما كانت نوعيتها وضبطها وقيمة أسلوبها، فإنها لا تؤثر في قلب غير المسلم، كما يؤثر القرآن وحده في قلب المتقين من المؤمنين

(١): انظر: العقيقي: ص ٢٦٣، وينظر طبقات المستشرقين ص ٦٨

(٢): د. محمد فؤاد عبد الباقي: تفصيل آيات القرآن الكريم مقدمة الطبعة الثانية: ٨، دار الكتب العربي، بيروت ١٩٩٦م، وينظر: المستشرقون والدراسات الاستشراقية ص ٢٧ وما بعدها

(٣): انظر: موسوعة المستشرقين ص ٨٣، وينظر برو كلمان: تاريخ الأدب العربي ص ١٣٩/١، وينظر: المستشرقون والدراسات القرآنية ص ٢٧ وما بعدها، فقد أشار إليها الدكتور محمد حسين الصغير بتفصيل رائع.

المبحث الثاني الترجمات الإنجليزية وعيوبها

المطلب الأول : أهم الترجمات الإنجليزية .

إن المتتبع للترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم يلاحظ أن معظمها يقدم صورة مشوهة للدين الحنيف الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للعالمين. وقد نجحت هذه الترجمات إلى حد بعيد في صد غير المسلمين- الذين لم يقدر لهم الاطلاع على الإسلام من منابعه الصافية، لكن إلى حين-. فكيف يُقبل الناس على الإسلام وقد بُدِّل اسمه بالمحمدية^(١)؟ كيف يقبلون عليه والترجمات تزعم زورا وبهتاناً أن محمد (ﷺ) هو مؤلف القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم ليس بوحى من الله^(٢)؟ كيف يقبل غير العرب على الإسلام وقد زعمت معظم الترجمات أن الرسالة المحمدية موجهة إلى العرب دون سواهم^(٣)؟ كيف يُسلمون وعشرات التهم تُكال إلى الإسلام ونبي الإسلام؟ كيف يُسلمون ومكتبات العالم وفضائياته والشبكة العالمية (الإنترنت) لا تحوي في غالبها ترجمة إسلامية تعطي صورة صحيحة عن عقيدة المسلمين؟ كيف نُعرِّف العالم بالصورة الناصعة للرسالة الخالدة ونبيها (ﷺ) المرسل رحمة للعالمين ونحن نُطري ترجمات لا تنتسب إلى عقيدتنا السمحة آخذين في الاعتبار الكمّ دون الكيف والشكل دون المضمون؟

نحاول فيما يلي أن نعرض أهم أنواع الترجمات الانجليزية ، ومن ثم إيراد أهم الأخطاء العقدية التي تتضمنها تلك الترجمات لمعاني وتفسير كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه.

(1) The Koran of Mahomet Alexander Ross,pv11

(٢) انظر: م - ن

(٣) The Koran commonly called Alkoran of Mohammed, Sale The Korna p.149.

أ- (ترجمة جورج سيل George Sale) وقد ظهرت هذه الترجمة الشهيرة لأول مرة في لندن عام (١٧٣٤م)، ولا يزال يعاد طبعها رغم ظهور عدد من الترجمات الإنجليزية ولا سيما في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية. وقد بلغ عدد الترجمات الإنجليزية حتى نهاية عام ١٩٦٢م (٥٧ ترجمة ، ومن عام ١٩٦٣م إلى يومنا هذا ظهرت خمس ترجمات أخرى^(١))

ب - (ترجمة رودول Rodwell)، وصدرت الطبعة الأولى لها في عام ١٨٨٦م، وقدم لها المستشرق الشهير (جورج مرجليوث G.Margoliouth)، ولدى إعداد "رودول" لهذه الترجمة كان أستاذاً للدراسات الشرقية في جامعة كيمبرج، وكان اعتماده على ترجمات الإنجليزية والألمانية واللاتينية لكل من "سيل وهلمان وماراتشي". ولعل السر في إقبال المستشرقين على ترجمة "رودويل" وتنويههم بها يرجع إلى بدعة أحدثها في المنهج القرآني المؤلف إلى أنها ترجمة من اللغة العربية (The Koran Translation from the Arabic)، حيث رتب السور ترتيباً زمنياً حسب نزولها، فبدأ بسورة العلق واختتم بسورة المائدة، وزعم أن هذا الترتيب التاريخي يرسم صورة صحيحة واضحة لسيرة الرسول (ﷺ) العقلية، والتطورات في النظريات القرآنية^(٢)

ج - ترجمة (بالمر Palmer)، صدرت في عام ١٨٨٠م من مطبعة أكسفورد في بريطانيا، حيث أعدها بالمر أستاذ اللغة العربية بجامعة كيمبرج، وذلك بطلب من المستشرق الألماني ميكسو الذي كان رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة أكسفورد، وقد كان عهد إلى زملائه المستشرقين نقل الكتب المقدسة إلى اللغة الإنجليزية بما فيها معاني القرآن الكريم^(٣).

(١): انظر: العقيقي: ص ٣٦٢

(٢): انظر الموسوعة العربية الميسرة: مادة: قرآن

(٣): ينظر؛ البدوي : موسوعة ص ٤٢

ويلمس المطلع على هذه الترجمة أن (بالمر) لم يستطع التحرر من منهج (جورج سيل) الذي أراد تضيق الآفاق الواسعة التي يقصدها القرآن الكريم والدعوة العامة للإنسانية جمعاء وحصرها في عرب الجزيرة ^(١) .

د - ترجمة (رتشارد Richard Bell)، التي وضعها عندما كان مدرساً للغة العربية في جامعة أدنبرة بأسكتلندا، وطبعت لأول مرة عام ١٩٣٧م في نيويورك وأعيد طبعها عام ١٩٦٠م، وهي في جزأين كبيرين. والمترجم من أتباع رودولف ، ومن ثم قلب ترتيب السور والآيات على أعقابها وصدر كل سورة بنقدٍ مطول عن تاريخ النزول وأسبابه وأدخل ملاحظاته وانتقاداته في ثانيا ترجمة النص، وأحاط أقواله بالعلامات الفارقة للآيات التي يرى - وفق فهمه السقيم وزعمه الباطل - أنها من سورة أخرى ^(٢) . ومثال ذلك أنه زعم من دون أي دليل علمي أن الآية {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران: ٢٦) كانت سورة مكية مستقلة. وقد أتى بل (Bell) من جهة الترجمة والتفسير بشيء جديد يستدعي الانتباه فأدخل باسم الترجمة كلمات لا صلة لها بالقرآن الكريم، وقال: (إن المراد بهذه الآية كذا)

وفي موضع آخر يقول: (إن محمداً ﷺ أراد أن يقول كذا فعجز ولم يسعفه التعبير فترك الجملة ناقصة!) ^(٣)

(١): المصدر السابق نفسه

(٢): انظر معجم أسماء المستشرقين ص ١٧٠

(٣): انظر: العقيلي: المستشرقون: ج ٢ ص ٦٩٣

هـ -ترجمة(آرثر آربري - Arberry) ،أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة كيمبرج سابقاً – وسَمّاها (القرآن مترجماً The Koran Interpreted)، وهي ترجمة جيّدة إذا ما قورنت بالترجمات التي وضعها المستشرقون الآخرون وذلك بأسلوبها المعاصر الواضح وعذوبة بيانها وسهولة لفظها وحرصه الشديد على الالتزام بترجمة كل لفظ ورد في القرآن الكريم من دون نقص أو زيادة فضلاً عن أي نوع من أنواع التهجم أو محاولة للتشويه بجمال القرآن الكريم، أو طعنه في الدين أو تقليل من شأن النبي الكريم (ﷺ) ، كما هو المعتاد والمألوف في كتابة أكثر المستشرقين. أما وقوع الأخطاء فلا يكاد يخلو منه أحد (١).

و- ترجمة : (ن.ج. داود *) في كتابه الذي سمّاه (ملاحظات على ترجمة القرآن The Koran-Translation with notes) وأصدره عام ١٩٥٦م، فإنه لم يتبع ترتيب سور القرآن الكريم المأثور ، بل اخترع من عنده ترتيباً حسب زعمه بأن للقرآن نغمة شعرية، ولكن هذه النغمة الشعرية توجد في بعض السور والآيات أكثر من السور الأخرى، فقدّم السور التي زعمها جهلاً منه وعناداً أنها أكثر شعرية وصنف لها درجات من الغناء، فوضع بعضها في الدرجة الأولى وبعضها في الدرجة الثانية وهكذا صنف للسور درجات من الغناء والشعر، فبدأ بسورة الزلزلة تليها سورة الانفطار وتعقبها سورة التكويد ثم سورة الإنسان. و عمد إلى إسقاط أرقام الآيات فضلاً عن النص العربي للقرآن الكريم ليكون قارئه بعيداً عن الأصل وليكون عمله هذا المرجع الوحيد لمن يريد معرفة القرآن ومعنى الآيات. (٢)

(١) : انظر البدوي: موسوعة المستشرقين :ص ٥.
(*)اليهودي ن.ج. داود ولد في بغداد وأرسل في العهد الملكي سنة ١٩٥٤ الى جامعة لندن ، بعد تخرجه بقي هناك يشتغل في أعمال تتعلق بالترجمة وترجم فيها كتابه الذي سمّاه "القرآن The Koran "، وأصدره عام 1956 م، فإنه لم يتبع ترتيب سور القرآن الكريم المأثور ، بل اخترع من عنده ترتيباً حسب زعمه الباطل بأن للقرآن نغمة شعرية، ولكن هذه النغمة الشعرية توجد في بعض السور والآيات أكثر من بعض السور الأخرى، فقدّم السور التي زعمها جهلاً منه وعناداً أنها أكثر شعرية وصنف لها درجات من الغناء، فوضع بعضها في الدرجة الأولى وبعضها في الدرجة الثانية وهكذا صنف للسور:) انظر: يحيى مراد: معجم أسماء

المستشرقين:ص ٢٧٢ (مصدر سابق)

(٢) انظر الأستاذ عزيز عارف: نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم ص ١١ الموسوعة الثقافية ١٩

المطلب الثاني: التغيير والإبدال في ألفاظ النص .

معظم الترجمات الاستشراقية تنكر أن الإسلام دين سماوي، ويتجلى ذلك في جملة من المغالطات والتحريفات التي تنم عن جهل مطبق بأبسط مبادئ الإسلام وعدم اكتراث بالمنهج العلمي في الترجمة التي تقتضي اطلاع المترجم على أمهات الكتب الإسلامية في هذا المجال وكذلك كتب اللغة المتعلقة بعلوم القرآن الكريم. ومن هذه المغالطات ما يلي:

١- أن المستشرقين عمدوا إلى تحريف مسمى ديننا الحنيف وجعلوه "المحمدية" "Muhammadanism" لإيهام الناس بأن الإسلام من وضع محمد (ﷺ) رأينا بعض الترجمات الاستشراقية الكافرة برسالة الإسلام قد عُنونت بـ "قرآن محمد" "The Koran of Mahmet" وزعم إلكراندر روس Alexander Ross – صاحب هذه الترجمة – أن محمد (ﷺ) هو نبي الأتراك ومؤلف القرآن^(١).

٢- تمشياً مع المزاعم الاستشراقية التي لا تستند إلى أي دليل علمي وتزعم بأن القرآن الكريم من صنع محمد (ﷺ)، غيّر المستشرقون المصطلحات الدالة على الوحي بأخرى تدل على أن الإسلام دعوة أو رسالة وضعية. ومن المحزن أن بعض الأعلام الإسلامية وأجهزة الإعلام بأنواعها كافة اعتمدت مثل هذه المصطلحات المغرضة دون تمحيص^(٢). من هذه المصطلحات التي تعدّ من الأخطاء العقدية الجسيمة. كيف لا وهي تنفي عن الإسلام صفة الوحي؟: أولاً : استخدام مصطلح inspiration ، بمعنى: (تفتق ذهني أو الهام) بدلاً من revelation للتعبير عن الوحي الرباني. وتُعرف المعاجم الإنجليزية هذين المصطلحين على النحو التالي:

أنظر 11pv The Koran of Mahomet Alexander Ross (١)

(٢): أنظر ترجمة يوسف علي: نماذج من الخل في ترجمة القرآن: ص ٢٥ حيث استعمل مصطلح Apostle بدلاً the prophet

Inspiration : stimulation or a rousal of the mind, feelings etc, to special or unusual activity or creativity from such a state.
Revelation : God's disclosure of his own nature and his purpose for mankind, esp. through the words of human intermediaries.

ويتضح البون الشاسع في معنى المصطلحين، ففي حين ((أن المصطلح الأول يعبر عن إنتاج بشري وهو ما يعادله لفظ "تفتق ذهني" في اللغة العربية نجد أن المصطلح الآخر يعبر عن وحي رباني على لسان بشر)). وهكذا نجد أن استخدام المصطلح inspiration يوهم القارئ بأن القرآن الكريم ما هو إلا من تأليف محمد (ﷺ) ^(١).

ثانياً: استخدام كلمة apostle بدلا من كلمة prophet مقابلا لكلمة النبي أو الرسول محمد مع ما في ذلك من انتقاص شديد من قدر سيد الأنام إمام المرسلين وخاتمهم (ﷺ). وفيما يلي نورد تعريف الكلمة في معجم Collins :
Apostle : 1. One of the 12 disciples chosen by Christ to preach his gospel. 2 . any prominent Christian missionary, esp. one who first converts a nation or people.

فالتعريف الأول ينص ((على أن apostle تعني أحد حواربي عيسى (عليه السلام) لنشر الإنجيل. أما الثاني فيعني أي مبشر نصراني مرموق ولا سيما أول من يُنصر أمة أو شعب)) ^(٢).

والمستشرقون إذ يستخدمون هذه الكلمة لوصف الرسول (ﷺ)، فإنما يعززون مزاعمهم بأنه قد استقى الإسلام من النصرانية واليهودية، ولا سيما أنهم ينفون عنه صفة الأمية للتدليل على ذلك.

ومن المغالطات السائدة في كتابات المستشرقين وترجماتهم: أن القرآن الكريم ما هو إلا مجموعة أقاويل متفرقة وقصص سمعها الرسول (ﷺ) عن أحبار اليهود والنصارى. أما الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي الأخرى تحكي الإحياء الفكري السائد عند شيوخ مكة المكرمة آنذاك حيث كانت صفة المروءة - ومعناها الفتوة والشجاعة والحمية وحب

(١) انظر د. وجيه حمد عبد الرحمن ، ترجمات إنجليزية لمعاني القرآن الكريم في ميزان الاسلام ص٨ ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم و علومه . المدينة المنورة

(٢) انظر : م - ن

الخير للناس ونصرة الضعيف – محمودةً عند العرب. وكانت هذه الأوصاف الفاضلة ديناً وعقيدةً للعرب الأولين. وقد أسهب "مونتجمري وات William Montgomery Watt" في بيان هذه الأوصاف في كتابه "محمد بمكة" تحت عنوان (المعيار الخلقي الخلفي) (The Moral Ideal) ^(١). ونرى أن الكلمة المناسبة لمعنى النبي (ﷺ) هي the prophet التي تعرف في معجم Collins بأنها :

1. the principal designation of Mohammed as the founder of Islam.

2. A person who speaks by divine inspiration.

((وهذا المعنى يفيد أن الرسول (ﷺ) كان يتلقى الوحي من الله سبحانه وتعالى)) ^(٢).

ثالثاً : من الأخطاء العقدية الجسيمة التي ارتكبتها المستشرقون في ترجماتهم وتسربت إلى الترجمات الأخرى بما فيها الإسلامية: استخدام كلمة "Verse" مقابلاً لكلمة "آية" قرآنية. وهو مصطلح استشراقي مغرض يهدف إلى وصف القرآن الكريم بالشعر وأن محمداً (ﷺ) كان شاعراً وهو ما يتعارض مع كتاب الله العزيز.

ولنقرأ معاً تعريف المعجم الإنجليزي لكلمة Verse

Verse : 1. a specified type of metre or metrical structure : iambic
verse : 2. One of the series of short subsections into which most of the writings on the Bible are divided.

التعريف الأول للكلمة ((أنها تعني مقطعاً من قصيدة أو الشعر أو أحد الأوزان الشعرية الخ ولا يخفى فداحة الخطأ العقدي هنا. أما التعريف الثاني للكلمة فيشبه القرآن الكريم بالإنجيل)) ^(٣) ولا يحتاج المسلم لكبير جهدٍ للرد على هذه الافتراءات؛ إذ كيف يشبه كلام الله سبحانه وتعالى بما كتبه مرقس ويوحنا ومتى ولوقا من أناجيل لا تقرّ الكنيسة غيرها؟ ومتى تكف الأقدام

انظر. Montgomery Watt (1968) Muhammad at Mecca 20 – 23, Oxford University Press PP.

(٢) د. وجيه حمد عبد الرحمن: ترجمات انجليزيه لمعاني القرآن في ميزان الاسلام ص ١٠

(٣) الترجمات القرآنية الاستشراقية والقاديانية والإسلامية ص ٤١.

الإسلامية عن التقليد الأعمى لما يكتبه الصليبيون واليهود وتلاميذهم في بلدان العالم الإسلامي؟ وهل نسمح لأقلامنا أن تصبح معول هدم لدين الله الذي يعترف أعداؤه بأنه أسرع الديانات انتشاراً؟ وقد صدرت كتب تحذر من هذا الانتشار السريع للإسلام رغم الحملات الحاقدة التي لا تكل ولا تملّ رابعا : ومن الأخطاء العقديّة أيضا ترجمة كلمة سورة بـChapter والتي تعرف كما يلي:

Chapter : a division of a written work, esp. a narrative, usually titled or numbered.

والتعريف واضح أنه يشير إلى جزءٍ من مؤلف ولا سيما قصة أو حكاية أو سرد أخبار مُعَنّون أو مُرَقَّم من صنع الإنسان. ولا أظن أحدا يوافق على إطلاقه على كتاب الله إذا كان ينتقص منه بصفته وحيا. ومعلوم أن كل فصل في الكتاب عادةً ما يعالج وحدة موضوعية من موضوعات الكتاب.

ولعل هذا ما حدا ببعض المستشرقين للقول بأن السور القرآنية تفتقر إلى الوحدة الموضوعية إذ إنّ السورة الواحدة تعالج أكثر من موضوع. وبمراجعة المعاجم الإنجليزية مثل Collins والمورد وغيرها تبين لنا أن كلمة سورة Sura قد أصبحت جزءا من المعجم الإنجليزي منذ القرن السابع عشر. وقد عرفها المورد بأنها "السورة: إحدى سور القرآن الكريم" وهو التعريف نفسه وفقا لمعجم Collins بعد أن أضيف عدد سور القرآن الكريم^(١):

ولم تكتف الترجمات الاستشراقية بإقامة هذا الحاجز اللغوي المضلل بل ذهبت إلى أبعد من ذلك لدعم وتقوية هذا الحاجز بتعليقات وتفسيرات وشروح لا تستند إلى مرجع إسلامي واحد. ونسوق هنا بعضا من الترهات الاستشراقية التي تتم عن جهل أو تجاهل لحقائق الإسلام وعدم اكتراثٍ بمبادئ البحث العلمي الذي يبدو أنه يُغَيَّب عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين.

(١) انظر: (any of the 114 chapters of the Koran (C17 : from Arabic surah, section))

المطلب الثالث: تحريف النص .

١- من هذه الترجمات التي حرفت تفسير النص سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد، ترجمة جورج سيل لمعاني للقرآن وهي بعنوان: (القران المعروف يدعى قران محمد)

The Koran commonly called Alkoran of Mohammed

فقد اعتبرت ترجمة " جورج سيل George Sale (١٦٩٧-١٧٣٦) من أوائل الترجمات الانكليزية للقران الكريم وأهمها وقد نجح في ترجمته ، فذكرها (فولتير) بالقاموس الفلسفي، وقد ظهرت هذه الترجمة في لندن سنة (١٧٣٤م) وحظيت بانتشار واسع من ذلك الوقت وحتى الآن و أعيد طبعها مرارا وقد اشتملت على شروع وحواشي ومقدمه مسهبة هي بمثابة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي عامه ،حشاها بالآفك وللغوا والتجريح ،زعم في مقدمتها أن القرآن إنما هو من اختراع محمد ﷺ ومن تأليفه وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل ^(١). وعلى غرارها قامت الترجمات الاوربيه للقران الكريم ويعود سبب شهرة هذه الترجمة إلى الأسلوب الواضح في ترجمة الآيات الكريمة ، فضلا عن تزويدها بالتفسيرات والملاحظات التوضيحية مما جعل منها مادة أساسيه عند الشعب البريطاني في دراسته التمهيدية للإسلام ^(٢) .

ورد في مقدمة السير ادوارد دنيسون روس (S.E.D.Ross) لترجمة جورج سيل: ((إن سيل قد اقتنى مجموعه من المخطوطات العربية والتركية والفارسية وصل عددها إلى (٨٦) مخطوطه، حازتها بعد وفاته مكتبة بودلي بلكسفورد لم يعتمد عليها في عمله – ترجمة القران الكريم- وان التعليقات التي حفلت بها كل صفحة من صفحات ترجمته ، إنما هي اقتباسات أخذها من مصادر غير مباشره باستثناء تفسير البيضاوي من تعليقات المستشرق الايطالي ماراتشي P. L. Marracci صاحب الترجمة اللاتينية للقران الكريم)) ^(٣)

(١) انظر المستشرقون والدراسات القرانيه ص ٦٥

1Bid .p.v111. (٢)

S.E.D.Ross Introduction Book The Koran.p.v111 (٣)

وينظر د. مشتاق بشير : تطور الاستشراق البريطاني . الفصل اثنائي ، رسالة ماجستير ص ٦٦

يرى "سير إدوارد دنسون روس S.E.D.Ross " في مقدمته لترجمة معاني القرآن الكريم لجورج سيل أنه ((لا توجد ترجمة لمعاني القرآن الكريم في اللغات الأوروبية إلا وهي مدينة بالفضل لماراتشي وأن مقدمة ماراتشي لترجمة معاني القرآن الكريم تجمع كل ما عرفه أهل أوروبا عن الإسلام ومحمد (ﷺ) (والقرآن الكريم آنذاك))^(١).

و"جورج سيل George Sale " في ترجمته زعم بأن رسالة الإسلام دعوة محلية تخاطب العرب دون سواهم. فقد ترجم "جورج سيل George Sale " خطاب القرآن الكريم إلى بني آدم {يأيها الناس} كالتالي: ((" O men of Mecca " أي يا أهل مكة))^(٢)، وعلق في تفسيره بأن الترجمة الحرفية هي " O men " يا ناس" إلا أن الأمر –على حد زعمه- الذي ليس بخافٍ على أي مطلع هو أن محمداً (ﷺ) لم يقصد إلا إصلاح بني قومه، ولم يكن في مستوى يطمح فيه إلى مخاطبة بني آدم كلهم، فكل ما جاء في القرآن الكريم خطاباً عاماً موجهاً إلى الناس بصيغة العموم معناه أهل مكة. كما جانب سيل الحقيقة عندما ترجم معنى الآية الكريمة كما يلي: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٢٨) سورة سبأ

^(٣)O Prophet, We have not sent thee otherwise than unto all common men

أي: (أيها الرسول ما أرسلناك إلا إلى العامة من الناس)

أما ترجمته لمعنى الآية {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... } (١٤٣) سورة البقرة فتؤيد الزعم بأن القرآن الكريم يخاطب العرب دون غيرهم حيث كتب سيل :

^(٤)Thus have We placed you O Arabian intermediate nation.

(وجعلناكم أمة متوسطة يا عرب)

ولا ندري كيف سوَّغ سيل لنفسه التلاعب بترجمات النص القرآني بإقحام كلمة "عربية"؟

(١) Ross Introduction Book The Koran p.v11.

(٢)Sale The Korna p.149.

(٣) Sale The Korna p.413.

(٤)Sale The Korna p.141.

ومن ترجمات سيل البائسة سورة الفاتحة قال تعالى:
{ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين }
IN THE NAME OF THE MOST MERCIFUL GO

‘PRAISE be to GOD, the LORD of all creatures

‘the most merciful

the king of the day of judgment

.Thee do we worship, and of thee do we beg assistance

Direct us in the right way

in the way of those to whom thou hast been gracious; not of those against

(^١)whom thou art incensed, no

بإسم الله الأكثر رحمة، الحمد لله رب كلّ المخلوقات؛ الأكثر رحمة، ملك يوم الحساب، أنت نَعْبُدُ، ومنك نَسْتَجِدُ مساعدةً، وجَّهنا في الطريق الصحيح، في طريق أولئك الذي إليه أنت مترفهم سريعاً؛ ليس أولئك الضدّ).
لقد ترجم (الحمد لله رب العالمين) كالآتي: (رب كل المخلوقات)، وهذا خطأ، لأن (رب المخلوقات) يحدد المعنى، وهذا المعنى ما ذهب إليه الدكتور محمد حسين الصغير بقوله:

(وليس الأمر كذلك فالقرآن يؤكد على العوالم المرئية والغير المرئية المستحضرة في الذهن والغائبة عنه مما نعلمه ومما لا نعلمه ورب المخلوقات يحدد المعنى ولا يشمل إطلاقه في دلالاته الواسعة^(٢)) ، أما بقية الترجمة فلا تستحق الرد عليها .

(1) Sale The Korna p.141.

(٢) : المستشرقون والدراسات القرآنية:ص١٤٢

٢- ترجم محمد مار مادوك بكثال : Mohammed Marmaduke Pickthell

وهي بعنوان : (معاني القرآن العظيم)
The Meaning of The Glorious Koren

وقد نشرت في لندن سنة ١٩٣٠ في دار النشر الامريكه The New American Library
(A.Mentor Religious classic)

ولا شك أن مثل هذه الترجمة قد استوفت الركن الشكلي لدى المسلمين إذ أنها أشارت بوضوح إلى أنها ترجمة للمعاني وليست للحرف. وقد لاقت هذه الترجمة قبولا لدى الكثير من المعنيين بالأمر وخاصة بين المسلمين إذ أنها تمت عن طريق مسلم وهو شرط هام من ضمن الشروط التي تضعها بعض المرجعيات الإسلامية لمن يتصدى لترجمة معاني القرآن. وقد ظهرت أول طبعات هذه الترجمة في سنة ١٩٣٠ ووصل عدد طبعاتها لاحقا إلى العشرات وطبعت في كثير من البلاد الناطقة بالإنجليزية من الهند شرقا إلى الولايات المتحدة غربا. كما طبعت أيضا في بعض البلاد العربية كلبنان على سبيل المثال. وقد لاقت هذه الترجمة رواجا كبيرا حتى في العالم العربي نفسه واعتمدتها بعض الدول العربية في إصدار طبعات باللغة الانجليزية.^(١)

وقد أشار المترجم في المقدمة التي صدر بها هذه الترجمة، إلى أنها أول ترجمة لمعاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية يقوم بها إنجليزي مسلم مع الإشارة إلى أن القرآن لا يترجم وأن عمله هو عبارة عن محاولة لتقديم معاني القرآن ولا يمكن الاستغناء عن نصه الأصلي باللغة العربية. وبالرغم من ذلك فقد تعرضت هذه الترجمة أيضا إلى الانتقاد من الجانب المسلم لوقوع بعض الأخطاء البسيطة من قبل المترجم.^(٢)

(١): انظر: وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم (مصدر سابق).

ونلاحظ على ترجمة بكتال هذه أنها تتعقب الآيات القرآنية أية فآية بأسلوب أدبي شاق ، غير إنها خالية من الشروح والإيضاحات ، عدا هوامش معدودات هي كل ملاحظات هذه الترجمة .

وترجمة يكتال لمعاني القرآن الكريم لا تخلوا من الأخطاء وهي بحاجة إلى دراسة عميقة شاملة ولنضرب مثلاً على هذه الترجمة ، قوله تعالى: {..... وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (٥٧) سورة البقرة كالآتي :

(^١) “We wronged them not, but they did wrong themselves”

فترجم "ما ظلمونا" بمعنى "ما ظلمناهم". انظر كيف تغير المعنى !!

، وترجمة بكتال قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...} (١٥٨) سورة الأعراف كالآتي:

(Say(O Muhammad): O Mankind !Lo Iam The Messenger of Allah to you
(^٢)all

وكما هو واضح من الترجمة انه استخدم ((قل يا محمد)) بين قوسين أضافها إلى النص الأصلي مما يربك الترجمة .

(^١)The meaning of The Glorious Koran p.133

(^٢) The meaning of The Glorious Koran p267.

٣- ترجمة ن.جي.داود بعنوان

The Koran-Translation with notes by:N.g.Dawood

((ملاحظات على ترجمة القرآن تأليف ن.جي.داود))

نشر هذا الكتاب لأول مره في لندن عام ١٩٥٦ ، وأعيد طبعه مرات من دار النشر الانجليزية المعروفة . (penguin classice) (The penguin Books Ltd) ((ونحن ننظر في هذا الكتاب ولا ترى ترجمة لهذا القرآن ولا ترجمة لمعانيه ، ولا ترجمة لتفسيره، ثم أنت تذهل حين تقف على ما فيه من تحريف وتحوير وحذف وإضافة وتقديم وتأخير وتصرف في معاني الجمل الألفاظ وتصرف في بناء الجمل ، وأنت بعد تحار ؛ أترد كل هذا إلى الجهل ، أم ترتاب فترده إلى قصد مقصود))^(١)

وكيف لا ترتاب في ترجمت داود وهو نفسه يكشف لنا في مقدمة كتابه عن قصده المريب إذ يفترى على الرسول محمد (ﷺ) فيقول عنه: ((انه كان متأثراً بالتعاليم اليهودية والمسيحية)).

هكذا يطلق القول افتراء دون أن يأتي بدليل أو حجه على ما يقول وهو يخفي أحيانا قصده المريب في هوامش كتابه فعند ترجمته لمعنى سورة الرحمن يقول قي الهامش ما ترجمته: ((قارن هذه السورة بالمزمور (١٣٦) من العهد القديم))^(٢). ونرجع إلى العهد القديم ونقف عند هذا المزمور فلا نجد له علاقة بينه وبين صلة الرحمن كأن المترجم أراد أن يقول بشيء من المكر: ((إن تكرار هذه الآية ألقانيه أسلوب مأخوذ من تكرار عبارة العهد القديم)) ويتجاهل المترجم إن تكرار كثير في كلام العرب وهو من وجوه البلاغة عندهم^(٣) وفي القرآن الكريم كثير من التكرار كقوله تعالى : {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (١٣) سورة الرحمن ، يقول الطبرسي في كتابه في (مجمع البيان في تفسير القرآن): ((فأما وجه تكرار هذه الآية في هذه السورة فإنما التقرير المعدودة والتأكيد في التذكير بها كلها فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخه على التكذيب

(١): نماذج من الخلل في ترجمة القرآن ص ١٢ وما بعدها ،

(٢): المزمور: الهامش: رقم ١ ، ص ١٩

(٣): ينظر: نماذج من الخلل في ترجمة القرآن ص ١٣ (مصدر سابق)

بها ، كما يقول الرجل لغيره: إما أحسنت إليك حين ملكتك عقار ؟ إما أحسنت إليك حين بنيت لك دار ؟ فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به، ومثله كثير في كلام العرب وإشعارهم^(١)

سأعرض هنا بعض النصوص القرآنية التي أخلت ترجمة داود بمعانيها قوله تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...} (١٥٨: سورة الأعراف) وترجمة داود لهذه الآية الكريمة

(٢) (Say to your people :I am sent forth to you all by allah).

يقول المفسرون: ((إن ما ورد في الآية الكريمة إنما هو بيان لعموم رسالته (ﷺ) لجميع الخلق؛ أي قل يا محمد للناس إني رسول من عند الله إلى جميع أهل الأرض))^(٣) – وكذلك هي عقيدة كل مسلم وهذا المعنى واضح للنص القرآني ومفهوم .

إما ترجمة داود فإنها قلبت هذا المعنى حين تصرفت بالنص وإضافة إليها عبارة (your people – أي – قومك) كأنها سعت إلى إن تقصر رسالة محمد (ﷺ) على قومه فقط لا للعاملين جميعا ،كما يلاحظ على هذه الترجمة أنها تجاهلت حرف النداء ولمنادى (ياأيها الناس)

وترجمة قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ..} (٦: سورة الصف) ^(٤) And of Jesus who said to the Israelites(Iam sent forth to you by allah تغافل المترجم عن ترجمته عبارة لها دلالاتها البالغة في هذا النص القرآني وهي ابن مريم وكيف انه تجاهل حرف النداء والمنادى يا بني إسرائيل ^(٥) .

(١): مجمع البيان في تفسير القرآن ج٩ ص٢٩٦ دار الفكر بيروت ١٩٩٤

(٢) The Koran – Translation With notes .p259.

(٣): انظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير :ج٤ ص٤٧ ،بيروت ١٩٨١ وينظر: القرطبي : (الجامع لإحكام القرآن) ج٢ ص٣٠٢

(٤) The Koran – Translation With notes .p106

(٥) انظر :: نماذج من الخلل في ترجمة القرآن ص٢٣.

وترجمته لقوله تعالى (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) ^(١) ترجمها كالآتي
That is the meaning of your dreams) ^(٢) يقول الأستاذ عزيز عارف: ((لا
تقارب إطلاقاً بين معنى النص القران وبين هذه الترجمة . فالنص القراني يشير
إلى حكم القضاء وانه لا محال نافذ في أمر الفتيتين اللذين استفتيا يوسف))
﴿١٢٠﴾. إما ترجمة داود فتقول ^(٣): "ذلك هو معنى رأيكم" فشتان بين التفسيرين
قال المفسرون في معنى قوله تعالى: "قضي الأمر الذي فيه تستفتيان" أي انتهى
وتم قضاء الله صدقتهما أو كذبتما فهو واقع لا محالة)) ^(٤).

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات غريب القران: ((القضاء من
الله تعالى اخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير ، فالقدر هو التقدير والقضاء
هو الفصل والقطع ... وقضي الأمر : أي فصل تنبيها انه صار بحيث لا يمكن
تلافيه)) ^(٥) كذلك ترجم داود قوله تعالى: (قال: القها يا موسى) (طه: ١٩)
ترجمت كالآتي (He said :Moses Cast it down) ^(٦)

قدم النداء (يا موسى) على الأمر (القها) بلا أي سبب ، فاخلّ ببلاغة النص
القراني المطابق لمقتضى الحال يبدو لي إن المترجم لم يدرك الصورة البيانية
البارعة في هذا النص ألقاني البارع وكيف تقدم (الأمر) فيه على النداء فأساء
الترجمة. وترجمة قوله تعالى: {ومن كفر فان الله غني عن العالمين} (آل
عمران : الآية : ٩٧) ترجمة كالآتي

^(٧) (As for the unbelievers Allah can surely do without them)

: (إما الكافرون فان الله يستطيع إن يستغني عنهم) إن هذه الترجمة قد حرفت
قوله تعالى: (فان الله غني عن العالمين) وجعلته بمعنى (فان الله غني عن
الكافرين) فتأمل .

(١) سورة يوسف: الآية ٤١

(٢) The Koran – Translation With notes .p41.

(٣): انظر: عزيز عارف:ص:٢٩

(٤) انظر: صفوة التفسير ج ١٢ ص ١٨ وينظر: القرطبي ج ٩ ص ١٩٣

(٥) انظر: المفردات في غريب القران :مادة قضى

(٦) The Koran – Translation With notes .p.226

(٧) The Koran – Translation With notes .p.416

المبحث الثالث

الترجمات الفرنسية وعيوبها - جاك بيرك - أنموذجا

توطئة :

ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفرنسية سنة ١٦٤٧م، على يد (أندري دي ريور) وقد كان لها صدى كبيراً لفترة طويلة من الزمن، حيث أعيد طبعها مرات عدة وترجمت إلى مختلف اللغات الأوروبية، ونشر الفرنسي (سافاري) ترجمة مباشرة إلى الفرنسية سنة ١٧٥١م وفي العام ١٩٤٩م وظهرت ترجمة (بلاشير) ، التي توجد السور فيها مرتبة حسب التسلسل التاريخي. بعد ذلك صدرت ترجمة جاك بيرك(*) لمعاني القرآن الكريم سنة (١٩٩٠) وقد صدرت في هذه السنة ترجمتان فرنسيتان أخريان وهما لكل من أندريه شوراكي ورينيه خوام، وقد اشتهرت ترجمة بيرك^(١) أكثر من غيرها لأسباب وعوامل معينة هي التي دفعتنا إلى اختيارها. فالمتتبع لترجمة جاك بيرك مقارنة إياها بالنص القرآني الكريم سرعان ما يلاحظ إغفال المترجم لنقل أجزاء من الآيات القرآنية إلى اللغة الفرنسية، وهذا أمر خطير يترتب عليه تحري

(*) جاك بيرك Jacques Berque من أبرز المستشرقين المعاصرين، فرنسي كاثوليكي ولد بضواحي الجزائر العاصمة عام ١٩١٠م حيث قطن بها العشرين سنة الأولى من حياته، تعلم خلالها اللغة العربية وتعمق فيها من خلال انتقاله إلى المغرب لمزاولة بعض المناصب الإدارية والعلمية، وكان لتعيينه مراقبا مدنيا إبان عهد الحماية الفرنسية في المغرب من ١٩٣٤م إلى ١٩٣٩م أكبر الأثر في الاحتكاك بقبائل المغرب والاطلاع على مختلف اللهجات والعادات والتقاليد، وهو ما وظفه في أطروحته للدكتوراه (١٩٥٥م). شغل الوطن العربي هاجسه الأكبر طوال نصف قرن من الزمن حيث ضمّن مختلف نظرياته وأفكاره حول العرب في كتبه التي تجاوزت الأربعين أبرزها : المغرب بين حربيين (١٩٦٢م) والمغرب : تاريخ ومجتمع (١٩٧٤م) والعرب من أمس إلى الغد (١٩٦٠م) وكتاب "الشرق الثاني" ١٩٧٠، وكتب عن الإسلام كتابه (الإسلام في مواجهة التحدي ١٩٨٠م) وكتاب "الإسلام في زمن العالم (١٩٨٤م) بالإضافة إلى كتابه : "إعادة قراءة القرآن" (١٩٩٣م) وترجمته لمعاني القرآن الكريم " (١٩٩٠م).

يرفض جاك بيرك أن ينعت بالمستشرق لأن المصطلح قد أضحى ملوثاً، إلا أنه مهما حاول التخلص من اللقب فإنه رغما عنه محدود ضمن المستشرقين المعاصرين وإن كان توجهه الاستشراقي شمل تخصصات كثيرة. توفي يوم ٢٩ حزيران ١٩٩٥م ، ظ:د. عبد الحميد صالح حمدان :طبقات المستشرقين ص ١٠٧

(١) ترجمة جاك بيرك: وهي بعنوان- معاني القرآن ، ترجمها إلى العربية الدكتور حسن ابن إدريس عزوزي ، بعنوان ملاحظات على ترجمة معاني القرآن للمستشرق الفرنسي جاك بيرك.

المعاني والدلالات التي تدل عليها الآيات القرآنية في تناسقها وترابطها، وإذا كان لا يجوز في ترجمة النصوص -كيفما كانت أدبية أو علمية- إهمال أي جزء أو لفظة من النص الأصلي على تقدير أنه خيانة للنص وتحريف للمعنى، فكيف الأمر بكلام الله تعالى المقدس.؟

وهذا ما سيحاول البحث-بإذن الله- فحصه ودراسته وتصنيفه بعد الإفصاح عن دواعي اختيار ترجمة جاك بيرك، واختيار النصوص، التي ترجمها إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم إدريس عزوزي والتعليق عليها بقدر ما استطيع ، وما مكنني الله تعالى عليه ، وسوف استعرض بعض مواقف المترجم من القضايا القرآنية في مقدمته.

المطلب الأول: التصرف في ترتيب النص القرآني:

من أغرب ما وقع فيه جاك بيرك من تغيير للنص القرآني تصرفه في ترتيب مقاطع الآية القرآنية الواحدة، ولم يُبد لنا المترجم سببا لإقدامه على هذا التغيير المتعمد الذي لا يجوز في حق أي نص يراد ترجمته، فكيف إذا تعلق الأمر بالنص القرآني!!

ومن ذلك على سبيل المثال ترجمته لقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (٢٩: سورة لقمان) حيث عكس الآية كما يلي: "يولج النهار في الليل ويولج الليل في النهار". ومن ذلك أيضا ترجمته لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (٩٥: سورة الأنعام) حيث عكس الآية كما يلي: (يخرج الميت من الحي ويخرج الحي من الميت)^(١)

إن جاك بيرك يعلم جيدا أن من الأمانة العلمية في مجال ترجمة النصوص -كيفما كانت الاحتفاظ بترتيب الكلام حسب ما أراده صاحب النص الأصلي، ومن الخطأ الاعتقاد بأن أمر التغيير هين ولا يؤثر في معنى الآية القرآنية. فضلا عن توقيفية ترتيب النص القرآني إذا كان ترتيب الآيات توقيفيا فترتيب أجزاء الآية الواحدة توقيفي بصورة قطعية

وقد تحدث الإمام الخطابي (ت ٣٨٨) في كتابه "إعجاز القرآن" عن الإعجاز القرآني من جهة البلاغة فأكد أن مناط البلاغة في النظم القرآني هو (اللفظ في مكانه إذا أبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة)^(٢)

(١) J,B :Le Coran p1/129 , 52

(٢) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، طبعة دار المعارف بمصر ص ٢٢.

ولعل أبرز مثال على ذلك ما أقدم عليه المترجم من عكس لنص الآية {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرِزْقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (١٥١ سورة الأنعام) حيث قدّم الأولاد على الآباء^(١) كما هو في آية (الإسراء) ٧ ((والفرق بين ترتيب الضميرين في الآيتين يرجع إلى أن آية الأنعام تنهى عن قتل الأولاد بسبب الفقر الواقع فعلا فاقتضى المقام تذكير الآباء بأن رزقهم ورزق أبنائهم مكفول من الله أما في الإسراء فإن الآية تنهى عن قتل الأولاد خوف الفقر المتوقع لهم في مستقبلهم فاقتضى المقام التذكير بأن رزق الأبناء مكفول كرزق آبائهم، لذلك فإن الحفاظ على ترتيب أجزاء آية الأنعام- في ظل إعجاز نظمها- يبدو ضروريا ولا ينبغي التصرف فيه))(*).

وفي السياق نفسه يلاحظ أن المترجم يتصرف أحيانا في الترجمة بإدخال أقواس يفتحها ويغلقها كما يشاء ضاربا بمبدأ الالتزام بالتركيب الأصلي للآية عرض الحائط، ولا يخفى أن إدراج الأقواس في الترجمة يُخل بالمعاني والمقاصد القرآنية ويحرف طرق الخطاب القرآني. وهناك نماذج كثيرة في الترجمة أدرج فيها بيرك أقواسا ضمن السياق القرآني مما أخل بالمعاني الأصلية والمقاصد الهادفة^(٢)

وفي المقابل يلاحظ أنه عندما تدعو الضرورة إلى إدراج أقواس لتطويق كلمات أو جمل زائدة أضيفت لضرورة قصد توضيح المعنى، فإن المترجم لا يلتفت لذلك مما يعد أيضا إخلالا بقواعد الترجمة^(٣)

(١) :J,B :Le Coran p1/149

(*) لقد أكد بعض المفسرين الفرق بين آيتي الأنعام والإسراء وسر تقديم الآباء في الأولى وتقديم الأبناء في الثانية (انظر على سبيل المثال :كتاب:نظم الدرر في تناسب الآي والسور للباقعي، ١٩٧٣/١٠٦ (٣١٧/٧) وينظر كتاب "أسرار التكرار في القرآن الكريم للكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، طبع دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧ ص ٧٥.

(٢) انظر: من ذلك ما جاء في ترجمة الآيتين ١٠٥-١٠٦ من سورة يونس.

(٣) انظر على سبيل المثال إضافة لفظة (Miette) في الآية ٢٠ من سورة الشورى وإضافة بي (أكفرتم بي)!! في الآية ١٠٦ من سورة آل عمران

المطلب الثاني: قلب الحقائق القرآنية و سوء الفهم والتصحيح:

كثيرة هي السياقات القرآنية التي جاءت مترجمة عند بيرك على غير حقيقتها، قد يكون ذلك ناتجا أحيانا عن سوء فهم -وإن كنا نستبعد من عضو مجمع اللغة العربية أن لا يفهم التعبير القرآني كيفما كان نظمه وأسلوبه- وقد يكون ذلك ناتجا عن سوء نية، وبخاصة إذا علمنا المدة التي قضاها في الترجمة (أكثر من عشر سنوات) واعتماده على مختلف التفاسير القديمة منها والحديثة وإمامه الواسع بقواعد اللغة العربية ثم تأكيده لنا عبر مختلف الحوارات التي أجريت معه بعد صدور الترجمة بأنه أعاد مراجعتها ثلاث مرات قبل دفعها للنشر.

أمام هذه المعطيات والحيثيات التي لم تُتَّحَ لغيره من المستشرقين الذين أقدموا على ترجمة معاني القرآن الكريم لا يسعنا إلا القول بأن وقوع بيرك في أخطاء تتعلق بقلب المضامين والمعاني والحقائق القرآنية أمر خطير ينبغي التنبيه عليه والعمل على تسديده ومعالجته.

ونقف في هذا المقام عند نماذج معينة تبرهن على تأكيد هذا الأمر.

١- **قلب الحقائق القرآنية:** عند ترجمته لقوله تعالى: {.... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٢١٣) سورة البقرة

Mais Dieu avait guidé les croyants à

diverger avec son autorisation sur tels points de la vérité.^(١)

وهذا يعني: ((لكن الله هدى المؤمنين إلى الاختلاف بموافقته حول نقاط معينة من الحقيقة))^(٢). ولا شك أن القارئ الفطن يدرك بسرعة أن المترجم قد قلب معنى الآية رأسا على عقب، مما نجم عنه تحريف فظيع وتشويه مريب. فبعد أن كانت الآية القرآنية تدل في أصلها على أن الله تعالى قد وقَّق المؤمنين بفضلهم لتمييز الحق من الباطل ومعرفة ما اختلفوا فيه، أصبحت تعني حسب ترجمة بيرك أن الله قد أرشد المؤمنين بإذنه إلى الاختلاف، ولو أن المترجم تمعن جيدا في جميع مقاطع الآية المذكورة لتبين له جوهر المقصود وروح المضمون القرآني المنشود ،

(١) J,B :Le Coran: 1/123.

(٢) ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٢٧

١ فالآية المستشهد بها اختتمت بقوله تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٢١٣) سورة البقرة مما يعني أن الله لا يهدي إلى الاختلاف وإنما يهدي إلى الحق وإلى الصراط القويم، فقولته تعالى : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (١١٣: سورة البقرة) يسنده ويحققه ويؤكداه المقطع الذي يليه (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

٢- عند ترجمته لقوله تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} (٥٩: سورة الإسراء) قال :

(^١) N'avons nous pas donné à Thamûd la chamelle pour les éclairer ? ومعناه : ألم نُعْطِ لثمود الناقة لتبصرهم؟ يقول الدكتور عزوزي: ((بادئ ذي بدء نلاحظ أن جاك بيرك قد جعل الجزء من الآية جملة استفهامية، وهو ما لا يوجد في النص القرآني، أما المعنى فقد انقلب كلياً، ويبدو أن الرجل —الذي لا نعتقد أنه رجع إلى التفاسير في ترجمة هذه الآية— قد توهم فاعتقد أن لفظة (مبصرة) تعود على الناقة، وهذا ما يقع فيه كل من لا يترى ويرجع إلى ما قاله المفسرون في هذا الصدد، حيث الإجماع على أن المراد من قوله تعالى {وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} أي آية دالة مضيئة نيرة على صدق صالح عليه السلام وعلى قدرة الله تعالى)) (^٢).

(1) J,B : Le Coran: 1/193.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٩/ ٢٨١ و ينظر :التفسير الميسر ص ٢٨٨. اعداد نخبة من العلماء ، المدينة المنورة ، ١٤١٩ هـ.

وهو ما يتأكد من قوله تعالى : {وَالِى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ} (٧٣: سورة الأعراف) من جهة أخرى يترجح أيضا أن يكون جاك بيرك قد انساق وراء ترجمة المستشرق الفرنسية دنيس ماصون عندما ترجمت (مبصرة) بقولها: pour les rendre clair voyants أي: لتجعلهم (الناقة) مُبْصِرِينَ^(١)

٢- سوء الفهم: يتبين من خلال القراءة المتأنية لترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم أنه كثيرا ما يسيء فهم بعض السياقات القرآنية فيقع في أخطاء واضحة تشوه المعاني والحقائق القرآنية، وهذه الأخطاء تدل بوضوح على عدم استيعاب المترجم لكثير من السياقات الأسلوبية والبلاغية المختلفة، وقد أسهم في وقوعه في ذلك أحيانا التسرع في الترجمة وعدم التأنى والتأمل مليا في الأسلوب القرآني من حيث دقة التركيب ودقة الصياغة، وفيما يلي نماذج من تلك الأخطاء الناتجة عن سوء الفهم: قوله تعالى {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} (٦٩: سورة الأنبياء) ترجمه جاك بيرك بقوله: (٢) o feu, deviens du froid -Et salut sur Abraham . وكأن معناه: ((قلنا يا نار كوني بردا . وسلام على إبراهيم" حيث انشطرت الآية إلى جزأين تفصل بينهما نقطة، فالجزء الأول فيه أمر بأن تتحول النار إلى برد، وفي الجزء الثاني ينشأ معنى جديد ليس في الآية، كأن الله تعالى يوجه السلام إلى إبراهيم عليه السلام))^(٣) . وهكذا اختلط الأمر على المترجم لمّا فاتته الفهم الجيد للآية القرآنية التي تتضمن الأمر من الله تعالى للنار لكي تتحول إلى برد وسلام على إبراهيم حتى لا يناله الأذى ولا يصيبه المكروه.

(١) D, Masson: Essai d'interprétation du Coran Inimitable p 373.

(2) J, B : Le Coran: 1/112

(٣) ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٧٥

مما يلاحظ على جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن الكريم أنه يحاول أحيانا أن يُغرب في الترجمة إلى الحد الذي يجعله يأتي بما هو محلّ للسخرية والاستغراب من طرف القارئ الغربي الذي لا يستطيع استيعاب معنى الترجمة، بل أكثر من هذا، قد يذهب به الخيال بعيدا فيتصور معاني ومدلولات موهلة في الغرابة والإبهام فلا يكاد يستقر لديه المعنى المراد، والسبب في ذلك إمعان المترجم في ترجيح ترجمات غريبة على ما اتفق عليه معظم الذين قاموا بترجمة القرآن ولو من بني جلدته.

ومن أمثلة ذلك ترجمة عبارة (أولي الأبواب) بقوله Ceux dotés de moelles^(١) وهو ما يعني: (أصحاب النخاع)، وإذا كانت لفظة (النخاع) تدل في معناها المجازي في اللغة الفرنسية على لب الشيء وأهم ما فيه، فإن تقديمها مقابلا للفظ "الأبواب" القرآنية يعد إخلالا واضحا بالمقصود من الترجمة الذي هو محاولة إفادة القارئ الأعجمي بما هو قريب من المراد من الآية. ((لقد وردت لفظة "الأبواب" ست عشرة مرة في القرآن ترجمها بيرك جميعا بلفظة (النخاع) ولم يحاول ولو مرة واحدة أن يجاري زملاءه من مترجمي القرآن الكريم أمثال دنيس ماصون ومحمد حميد الله وحمزة بوبكر وغيرهم ممن ترجموا عبارة (أولو الأبواب) بـ(أولو العقول:.....))^(٢)

(١) :J,B :Le Coran p1/322

(٢) : ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٣٤

٣- **التصحيح:** يضيف المترجم لمعاني القرآن الكريم إلى الأخطاء المتنوعة والمتعددة التي وقع فيها -نتيجة عوامل وأسباب شتى- أخطاء أخرى لا تعدو أن تكون ناجمة عن الخطأ في قراءة اللفظة القرآنية، وهي الأخطاء التي تنجم عن التصحيح في القراءة. وهذا الأمر يقلل بدون شك من قيمة الترجمة وصاحبها، ((إذ يُفترض فيمن يُقدّم على ترجمة معاني القرآن الكريم أن يكون قد استأنس بمختلف المعاني القرآنية بعد قراءات متتالية ومتعددة للقرآن الكريم تحول دون غربة المترجم عن النص القرآني))^(١).

وقع جاك بيرك في بعض تلك الأخطاء الناجمة عن قراءته لألفاظ قرآنية على غير ما هي عليها مما ترتب عنه تحريف للمعاني وتشويه للحقائق القرآنية. وفيما يأتي بعض النماذج:

أ- في سورة المائدة: عند قوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٣: سورة المائدة) ترجم جاك بيرك (إلا ما ذكيتم) بقوله: Sauf après purification^(٢) (إلا ما زكيتم) وقد تملكنتني الحيرة أول الأمر حينما قرأت هذه الترجمة، إذ ما علاقة التطهير بالتذكية الذي هو مصطلح فقهي محدّد، فقوله تعالى : "إلا ما ذكيتم" هو استثناء مُتصل متعلق بالمحرمات الخمس السابقة وهي:

(١) انظر: ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٣٢

(٢) J,B :Le Coran p1/132

المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، فكيف غاب عن بيرك معنى التذكية؟ لو تأمل القارئ جيدا في الترجمة وتساءل عن وجه الارتباط بين اللغتين فإنه سيجد أن الأمر قد اختلط على المترجم اختلاطا شديدا لم نجده عند غيره، ذلك أنه قرأ (إلا ما ذكيتم) بإبدال الذال زاياء، وكأنني به قد تلاها في مصحف كُتِبَ رسم الذال فيه مائلا شيئا إلى أسفل ليكاد يصبح زاياء، فظنه عضو مجمع اللغة العربية زاياء فأضحت الآية (إلا ما زكيتم)، ومن المعلوم أن معنى التزكية والتطهير في اللغة الفرنسية متقارب وهو : purification^(١).

والذي يؤكد صحة وقوع جاك بيرك في هذا الالتباس أنه في مواضع كثيرة من القرآن أعطى للفظ الزكاة مقابلا بالفرنسية هو purification^(٢)، والمثير للعجب أن يصرح المترجم في حوار معه^(٣) ((بأنه أعاد النظر في ترجمته ثلاث مرات قبل أن يخرجها للناس))^(٤)، فلو كان الأمر كذلك كيف غاب عنه الوجه الصحيح لترجمة الآية في إحدى مراجعاته لاستدراك الخطأ؟ وهلا أسعفته كتب التفسير الكثيرة التي رجع إليها وقد عقدت عند تفسير الآية فصولا ومباحث مطولة للحديث عن الزكاة وشروطها والخلاف الوارد بين الفقهاء فيما يذكي ومحل التذكية، ألم يكن ذلك كافيا للتنبيه على المعنى الصحيح؟

يقول في حوار أجري معه وهو يقوم بترجمات غيره: ((إن الترجمات التي قُدمت إلى حد الآن إلى اللغة الفرنسية كانت من قبل مترجمين يحسنون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية أو العكس أي أشخاص يتقنون اللغة العربية أكثر من إتقانهم للغة الفرنسية ولذلك فإن الترجمات كانت مُعرّضة لبعض الخلل أو النواقص، أما من ناحيتي فأنا فرنسي فح، وقد تعلمت اللغة العربية وأزعم أنني أتقنها بشكل جيد))^(٥).

(١) ظ : ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٤٣

(٢) م - ن
(٣) انظر نص الحوار الذي أجراه معه مندوب مجلة " رسالة الجهاد " الليبية بباريس، عدد ٨٤ (١٩٩٠) ص ٨٣.

(٤) المقصود بذلك المستشرقون من جهة والمسلمون من جهة أخرى

ب- ترجم جاك بيرك قوله تعالى {الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٥) سورة المائدة بقوله: Et sois donc parmi les compagnons du Feu.^(١) وهو ما معناه ((فكن من أصحاب النار))^(٢) فتصحفت بذلك لفظة (فتكون) إلى صيغت الأمر (فكن) وهو ما يعكس المعنى المراد من الآية القرآنية.

(١) J,B :Le Coran p1/122 :

(٢) ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٤٦

المطلب الثالث: تغيير المعاني القرآنية والتلاعب بالنص :

١- من أغرب ما وقع فيه جاك بيرك في مجال الحذف من النص القرآني ما جاء في ترجمته في قوله تعالى إذ أهمل ترجمة خمس كلمات هي (فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني)^(١): من قوله تعالى {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدُوكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} (١١٠) سورة المائدة ولما كان الجزء غير المترجم مسبقا بلفظة (بإذني) فإن الذي يظهر أن جاك بيرك لما أراد أن يترجم من بعد (بإذني) الأولى وقع بصره على قوله (بإذني) الثانية فأهمل بذلك الكلمات الخمس الواقعة بينهما، وهذا دليل على قلة الاكتراث والمبالاة في إبداء الحرص واليقظة المطلوبين أثناء ترجمة معاني القرآن الكريم، ولو كان المترجم قد راجع ونقح ترجمته كما زعم لما وقع في مثل هذا الإهمال والحذف^(٢).

٢- إسقاط كلمات: وهي كثيرة جدا منها :

تم إسقاط لفظة "الساجدون" من قوله تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (١١٢: سورة التوبة)^(٣)
تم حذف كلمة "اجتباها" من قوله تعالى {شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١٢١) سورة النحل^(٤)

(١) J,B :Le Coran p1/112

(٢) انظر: د.حسن ابن إدريس عزوزي: ملاحظات على ترجمة معاني القرآن للمستشرق الفرنسي جاك بيرك ص ١٤

(٣) J,B :Le Coran p1/313

(٤) J,B :Le Coran p2/172

ثم إسقاط لفظة رسلي^(١) من قوله تعالى {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِغْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (٤٥) سورة سبأ ومثل هذا في سورة "ق"، حيث تم حذف لفظة الرسل^(٢) من قوله تعالى : {وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبُعْ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} (١٤ : سورة ق وإذا كان جاك بيرك قد قام بحذف كثير من الكلمات والجمل أثناء الترجمة فإنه قد عمد أيضا في بعض الأحيان إلى زيادة كلمات وعبارات ليست في النص القرآني.

من ذلك مثلا: إضافته لعبارة (في العالمين)^(٣) عند ترجمته لقوله تعالى {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (١٠٩ سورة الصافات) حيث قال: Salut sur Abraham au sein des univers بإضافة (في العالمين univers) وهذه الإضافة إنما توجد أصلا في الآية (٧٩) من السورة نفسها عند قوله تعالى {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} (٧٩ : سورة الصافات). وفي السورة نفسها أيضا أضاف عبارة (من الجاهلين)^(٤) في ترجمة قوله تعالى {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} (١٤٧ : سورة الصافات) كما أضاف لفظة (أول) عند ترجمة قوله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (٨١) سورة آل عمران) حيث جاءت الترجمة كما يلي: وأنا معكم أول الشاهدين. وفي سورة آل عمران ترجم قوله تعالى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (١٠٦ : سورة آل عمران) بإضافة لفظة (بي) فجاء المعنى: أكفرتم بي بعد إيمانكم^(٥).

(1)J,B :Le Coran: 2/464

(2)J,B :Le Coran: 3/464.

(3)J,B :Le Coran: 2/469

(4)J,B :Le Coran: 2/454

(5)J,B :Le Coran: 1/164

مهما حاول جاك بيرك تسويغ تلك المعاني المستهدفة فإن المتخصص في التفسير القرآني لا يمكن أن يستسيغها في مجال الترجمة لأن روح المعاني القرآنية المنشودة تفتقد أثناء الترجمة وبالتالي يختل المعنى وينعدم المطلوب والمقصود من نقل كلام الله تعالى إلى لغة أجنبية ومن أمثلة ذلك:

١- لفظة "الجهل" ومشتقاته

تأتي لفظة "جهل" ضمن مشتقات كثيرة في القرآن الكريم منها (تجهلون) (يجهلون) (الجاهل) (الجاهلين) (جهولا) وغيرها. وقد ترجمها جاك بيرك في جميعها بلفظة: païen التي تعني وثني أو عابد الأصنام وقد يترجمها أحيانا بما يعني عدم المعرفة^(١) وهي الترجمة الأقرب إلى الصواب، غير أن المثير للانتباه هو أن المترجم يكاد يعمم المعنى الأول في جميع الآيات^(٢)، فتنحرف بذلك معاني الآيات من معنى الجهل الدال على قلة المعرفة وعدم العلم إلى معنى الوثنية.

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (١٣٨) سورة الأعراف: ترجمها كلاتي:

Décidément vous êtes un peuple de païens

- إنكم قوم من الوثنيين- وشتان بين التفسيرين^(٣)

(١) كما في البقرة ٢٧٣ والأحزاب ٧٢ والنساء ١٧.

(٢) الأعراف ١٣٨ وهود ٢٩ والنمل ٥٥ والأحقاف ٢٣ والأنعام ١١١ وغيرها

(3) J,B :Le Coran: 1/151.

وينظر: : ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ١٥ وما بعدها ، (مصدر سابق).

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (٦٣) سورة الفرقان

Si des peens les interpellent ils disent "salut"

-وإذا خاطبهم الوثنيون قالوا سلاما-^(١)

ولاشك أن المتأمل اللبيب عندما يقارن بين ترجمة "الأميين" بـ gentils كما فعل معظم المترجمين ومنهم جاك بيرك في {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (٢٠) سورة آل عمران {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٧٥) سورة آل عمران وترجمة الجاهلين بـ païens يستطيع أن يربط بين السياقين: سياق الأميين بمعنى الوثنيين gentils وسياق الجاهلين بمعنى الوثنيين. وهذا يعد من جاك بيرك فهما غير سديد، فماذا عسى القارئ أن يفهمه من الآيات التي تتحدث عن القوم الجاهلين الذين "يجهلون عظمة الله ولا يعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار"^(٢) عندما تترجم بالقوم الوثنيين؟

ويظهر أن جاك بيرك قد شذ شذوذا غريبا في توظيفه للفظـة "الوثنيين" مقابلا للفظـة "الجاهلين"، إذ لم يسبق إلى هذا الصنيع أحد من المستشرقين المعاصرين الذين اتفقوا جميعا على ترجمة لفظـة "الجهل" بـ Ignorance^(٣) L.

(١) J,B :Le Coran: 1/395

(٢):التفسير الميسر ص ١٦٧ عند الآية ١٣٨ من الأعراف

(٣): انظر:ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ١٩

٢- لفظة "الكفر":

أعرض جاك بيرك في ترجمته للفظه "الكفر" ومشتقاتها عن كل ما يقابلها في اللغة الفرنسية مما يفهمه عامة الناس من حقيقة اللفظة ومعناها الأصلي ، فإن جاك بيرك أبى إلا أن يحرف معنى اللفظة في سياقها القرآني إلى ما يدل على الإنكار والنفي Dénégation (الذين كفروا-الكافرون = Les dénégateurs)^(١).

ومن الواضح أن القارئ لهذه الترجمة كيفما كانت ثقافته لا يكاد يفهم منها سوى معنى النفي والإنكار فقولته تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (٦: سورة البقرة)

جاءت في ترجمة بيرك على الشكل التالي: إن الذين نَفَّوا (أنكروا) سواء عليهم... Quant a ceux qui dènieient^(٢).

وقوله تعالى: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (٨٧) سورة يوسف

Ne désespère de ce souffle que le peuple des dénégateurs^(٣) بقوله : ترجمها (إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم النفاة (أو المنكرون)- نفاة ماذا أو منكرو ماذا) ؟

هذا ما لم تستطع ترجمة جاك بيرك أن تستوعبه، وبالتالي فإن القارئ لمثل هذه الترجمة لا يستطيع أن يفهم من معنى النفي والإنكار أولئك الذين جحدوا بالرسالة وكذبوا بالرسول. فضلا عن كل هذا فإن استعمال فعل dénier يكون عادة في سياق الحديث عن الأشياء والأفكار وليس في حق الله تعالى، فلا يقال: dénier son seigneur نفى الرب وإنما كفر بالرب^(٤).

(1)J,B :Le Coran: 1/23

(2)J,B :Le Coran: 1/23

(3)J,B :Le Coran: 2/35

(٤) انظر: ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ١٩

٣- لفظ المسجد:

لا يجادل أحد في أن لفظ "المسجد" يقابلها في اللغة الفرنسية كلمة "Mosque" وهي الكلمة اللاتينية التي يشترك أصلها بين كثير من اللغات الأوروبية المنحدرة عن اللاتينية مثل mosque في الإنجليزية و Moschee في الألمانية و mezquita^(١) في الإسبانية

إلا أن جاك بيرك أثر أن يترجم لفظ "المسجد" بكلمة Sanctuaire (تعني المعبد الكنسي) وقد يترجمها أحيانا بكلمة Oratoire (فتعني المصلى في كنيسة صغيرة) وقد يعني الجزء من الكنيسة حول المذبح الذي تتم فيه المراسيم الطقوسية^(٢).

ولا شك أن قارئ الترجمة إذا كان مسلما فإنه لن يفهم معنى المسجد مكانا لإقامة الصلوات، من تلك الترجمات الغريبة. أما إذا كان القارئ غير مسلم فإنه لن يفهم من اللفظتين الفرنسييتين سوى ما يوافق النظرة النصرانية إلى خلوة الرهبان في أديرتهم وكنائسهم.

وهكذا يمكن القول بأنه كان ثمة تأثير قوي لثقافة جاك بيرك الدينية النصرانية في ترجمته للفظ "مسجد" إلى اللغة الفرنسية. وهنا نؤكد مرة أخرى أن جاك بيرك لا يلتزم في الترجمة بالمقابل أو المكافئ الواحد للفظ القرآنية، مما يكون مدعاة للالتباس والتشويش على القارئ^(٣) إن ما هو مؤكد أن جاك بيرك كان يعلم في قرارة نفسه أن اللفظة المناسبة في ترجمة المسجد هي mosquée لكنه أراد أن يصبغ الترجمة التي رجحها بصبغة كنسية محضة لكي يُفقد لفظ "المسجد" -وهو المصطلح الإسلامي الذي يدل على خصوصية وتميز عن باقي أماكن العبادة في الديانات الأخرى- حمولته الدينية المتفردة وطابعه الإسلامي المتميز، ولعل أكبر دليل على ذلك ما أورده في ترجمة قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَدَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٤٠: سورة الحج) حيث اضطر لترجمة "المساجد"

(١) : مقتبسه من مسجد اللفظة العربية نتيجته التأثير البالغ للثقافة الاندلسية الاسلاميه في الثقافة الاسبانية

(٢): ينظر قاموس المنهل عند الفظتين: Sanctuaire-oratoire

(٣) انظر على سبيل المثال (سورة المائدة ٢).

"بكلمة mosquées لكي يضعها مقابلا لكنائس النصارى وبيع اليهود. فكيف أمكن للمترجم إذن أن يتفطن للفظـة" mosquées التي هي المقابل الصحيح للفظـة "المساجد" في هذه الآية فقط دون غيرها من الآيات وعددها سبعة وعشرون موضعاً؟!

لفظة الأرحام:

((لاشك أن مفهوم "صلة الأرحام" في الإسلام يعد خصيصة من خصائص ديننا الحنيف الذي يدعو إلى تماسك الأسرة الكبيرة والصغيرة ويهدف إلى توطيد وترسيخ أواصر القرـبى بين الأقارب الذين يجمع بينهم دم واحد. وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب أن ترجمة هذا المفهوم بما يفـي بالمراد والمقصود يعدُّ أمراً صعباً إلى حد ما، بيد أنه مهما كان هناك تفاوت واختلاف بين المترجمين في إعطاء مقابل قريب للمعنى الأصلي، فإنه من غير المقبول أن يؤتى بلفظة matrices (رحم المرأة) مقابلاً للفظـة الأرحام))^(١)، وهو ما فعله جاك بيرك عندما ترجم الآية الأولى من سورة النساء "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" سورة النساء آية ١٠ بقوله:

Prémunissez-vous envers Dieu , de qui vous vous relates dans votre sollicitation et aussi envers les matrices .^(٢)

فجاء المعنى كالتالي: ((اتقوا الله الذي تستندون إليه في توسلكم ، وأيضا تجاه أرحام النساء)) (جمع رحم المرأة = matrice)^(٣).

وهكذا تنقلب "صلة القرابة" إلى معنى "رحم المرأة" ويحاول المترجم تسويغ هذه المحاولة اليائسة في الترجمة قائلا: ((إنها إشارة ممكنة للعبارة الشعبية القائلة: "ناشدتك الله والرحم" وتعني أناشدك باسم الله والقرابات الأمومية وتعني حرفيا "الرحم" (...matrice))^(٤)

(١): ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٢٢.

(٢) J,B :Le Coran: 1/94.

(٣) ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٢٧

(٤) J,B :Le Coran: 1/95.

والقارئ للترجمة مهما كانت ثقافته جيدة فإنه عند اطلاعه على هاتين اللفظتين لا يستطيع بحال تبين معنييهما إلا إذا رجع إلى كتب اللغة والتفسير لكي يكتشف أن من بين الأصول الاشتقاقية للفظـة " الرحمن " اسم الرّحم ، وهو ما جاء في الحديث القدسي : ((قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته))^(١).

غير أنه إذا كان الحديث يشير إلى الرحم بمعنى القرابة بدليل السياق الأخير (صلة الأرحام) فإنه من غير المعقول أن تترجم لفظـة "الأرحام" في الآية الأولى من النساء بما يدل على رحم المرأة، بل ينبغي فهم المعنى ومحاولة تقريبه إلى الآخر في لغته وثقافته، ولا شك أن المترجم كان يعلم جيدا أنه باختياره وترجيحه لهذه الترجمة الفاسدة كان يوغل في نسج الغموض والتشويش على القارئ؛ لأنه كان باستطاعته تقديم اللفظة المناسبة والملائمة، ولا سيما أنه اطلع على ترجمات زملائه السابقين الذين سعى كل منهم إلى محاولة تقريب المراد من اللفظة إلى قراء الفرنسية.^(٢)

وما لنا نذهب بعيدا وهاهو ذا جاك بيرك نفسه يترجم اللفظة نفسها في آية أخرى بما هو أقرب إلى تحقيق المقصود بعيدا عن لفظـة "matrice" فقد ترجم قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٢: سورة محمد) بقوله: mettiez en pièces..

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب برقم ٥٩٨٨، ومسند الإمام أحمد ٦٢/٦ (والحديث باللفظ المذكور إنما أخرجه أبو داود برقم ١٦٩٤، والترمذي برقم ١٩٠٨، وأما لفظ البخاري فهو "إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته..." ولفظ أحمد نحوه).

(٢) لعل الترجمة الأقرب إلى تحقيق المراد ما وجدناه عند حمزة بوبكر الذي ترجم "الأرحام" في آية النساء بقوله: craignez (de rompre) les liens du sang (اتقوا قطع روابط الدم) . وهو فضلا عن إشارته لروابط الدم كأبرز معنى تدل عليه لفظـة "الأرحام" وضع بين قوسين كلمة (قطع) وهو ما أشار إليه معظم المفسرين، إذ المراد من الآية : واحذروا أن تقطعوا أرحامكم (التفسير الميسر ص ٧٧).

vos liens de parenté ? (أي وتقطعوا صلات القرابة). ويبدو أن المترجم قد تبين له استحالة وضع matrice مقابلا للفظة الأرحام في هذه الآية؛ لأن سياق الآية فيه معنى التقطيع والتمزيق، فإذا دخل على أرحام النساء ذهب المعنى بعيدا وأضحى المدلول المترجم مستبشعا ومستهجنا. أما عند قوله تعالى: {والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم} (الانفال: ٧٥) فقد ترجمها بيرك بقوله:

Quand aux parents par les femmes , ils ont priorité les uns sur les autres
(^(١)) selon le livre de Dieu

وهو ما يعني: ((أما فيما يخص الأقارب من جهة النساء فلهم أولوية بعضهم على بعض وفقا لكتاب الله)) (^(٢)). وتأكيدا للأقارب من جهة النساء فيه تحريف واضح لمعنى الآية التي تشير إلى أولي الأرحام بصفة عامة، وقد حاول المترجم إيهامنا بأن معظم المفسرين باستثناء ابن عطية قد ذهبوا إلى أن المراد "الأقارب من جهة النساء" وهذا كذب وبهتان، فبرجوعنا إلى كثير من التفاسير لم نجد أحدا منها يخص القرابة الرحمية في النساء فقط، فتفسير الطبري الذي أكد بيرك أنه كان مرجعه الأساس في الترجمة لم يشر إلى ذلك التخصيص من قريب أو بعيد حيث قال عند تأويل الآية: ((والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث إذا كانوا ممن قسم الله لهم منه نصيبا وحظا من الحليف والولي)) (^(٣)).

الواضح إذن أن جاك بيرك كثيرا ما كان يعتمد ترجيح المعاني المرجوحة والأصول اللغوية الغربية، ويهمل المعاني المطلوبة والمدلولات الراجحة التي استقر عليها معظم المترجمين السابقين، إن إمعانه في الإغراب وشذوذه في تخير وإيجاد المرادفات في اللغة الفرنسية كل ذلك يجعلنا نشك في مدى نزاهته وموضوعيته في خوض غمار ترجمة تفسير معاني القرآن الكريم (^(٤)).

(١) J,B :Le Coran: 1/123.

(٢): ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٤٢

(٣) تفسير الطبري ٧٤/٩ وراجع تفسير القرطبي ٥٨/٨

(٤): انظر: ملاحظات على ترجمة معاني القرآن ص ٢٢

الفصل الرابع

نماذج تطبيقية في فهم معاني القرآن

– المبحث الأول : القراءات القرآنية وأثرها في التفسير

– المبحث الثاني : فواتح السور القرآنية

الفصل الرابع نماذج تطبيقية في فهم معاني القرآن

توطئة :

مما يجهله الكثير من المسلمين أن هذا العلم مجرد تغيير لألفاظ فحسب ولو تأمل وتمهل لوجد الأمر أبعد من ذلك فالمفسر مثلاً إن اعتمد في تفسيره على قراءة واحدة وأعرض عن غيرها فكأنما ترك بعض ما أنزل فمن ضمن الفوارق المعتبرة التي تحسب لتفسير عن آخر اهتمام بعضها بأوجه القراءات ، وكان من بين المهتمين بتاريخ القرآن والقراءات طائفة كبيرة من المستشرقين ، درسوا تاريخ القرآن والقراءات ، وكتبوا في ذلك كتباً وأبحاثاً كثيرة ، كان بعضها يتسم بالجدية والنظرة العلمية ، وكثير منها لا يخلو من الطعن والتشكيك في القرآن وقراءاته ، وكانت مسألة الاختلاف في القراءات القرآنية من المسائل التي اتخذها عدد من المستشرقين مسوغاً للطعن في القرآن الكريم ، وراحوا يصفون القرآن وقراءاته بالتناقض والاضطراب وعدم الثبات ، وحاولوا تشكيك المسلمين في ذلك ، وكان وراء ذلك كله نفي النبوة والوحي عن النبي (ﷺ) ، وإنكار أن يكون القرآن بقراءاته من الله سبحانه وتعالى .

من أجل هذا كله حاولت أن أبين حقيقة هذا الاختلاف ، وموقف علماء المسلمين منه ، ومفهومهم له ، ومقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية ، وكيف ساهم الاختلاف في القراءات القرآنية في تعدد المعاني.

المبحث الأول: القراءات القرآنية وأثرها في التفسير .

المطلب الأول : تعدد القراءات وأثره في التفسير .

يدّعي المستشرق "جولد زيهر" أن تعدد القراءات فتح الباب على مصراعيه لتعدد أوجه التفسير، وهذا ما يوافقه فيه عدد من المستشرقين الطاعنين في كتاب الله تعالى أمثال: "نولدكة"^(١)، و"بلاشير" ، والمعروف من تاريخ القرآن أنه نزل من السماء علي النبي (ﷺ) بوجه واحد ، وكيفية واحدة ولكن النبي (ﷺ) طلب من جبريل (ﷺ) أن يسأل ربه التخفيف علي أمته لأنها لا تطيق ذلك ، قال: ((فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف))^(٢) وهذه الأحرف هي أوجه التلاوة المتعددة، ولكن كيف تعددت القراءات ؟

كان نزول القرآن بأوجه متعددة رحمة بهذه الأمة، فكان النبي (ﷺ) يقرئ كل رجل من صحابته بوجه يسير علي الصحابة قراء القرآن ، الذين منهم ابن مسعود وأبي ابن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس وغيرهم (رض) وكان يرجعون في الخلاف الذي يقع بينهم في ذلك إلى النبي (ﷺ) ، وغالباً ما كان (ﷺ) يقر كلا من المترافعين علي طريقته في القراءة ، من ذلك خلاف عمر بن الخطاب المشهور مع هشام بن حكيم ، حين صلى خلفه، فوجده يقرأ سورة الفرقان بطريقة غير طريقته التي علمه إياها النبي (ﷺ) ، فأخذ بتلاويته إلى النبي (ﷺ) . فأقر النبي (ﷺ) كلتا القراءتين ^(*) ، وقال: " هكذا نزلت " "هكذا نزلت" ثم قال " إن هذا القرآن أنزل علي سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منها " ^(٣) وبعد رغبة النبي (ﷺ) عن الدنيا إلى الرفيق الأعلى، وكثرة الفتوح تفرق الصحابة في الأمصار، كل يقرأ بحرفه الذي تعلمه منه - بعد - تلاميذه من التابعين ، ومن التابعين من تعلم ^(٤).

(١) ط: ثيودور نولدكه: تاريخ القرآن ج ١ ص ١٣١

(٢): أخرجه الشيخان البخاري ٢٢٦/٣ ، كتاب فضائل القرآن، ط الحابي ومسلم ٥٦٠/٣ ، كتاب صلاة المسافرين، ط الحلبي ، وهناك من ذهب إلى أن القرآن نزل علي حرف واحد : قال الإمام محمد الباقر (ع) أن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف من قبل الرواة : أصول الكافي لمحمد بن يعقوب - الكليني - طهران: ٦٣٠/٢ (*) وروي عن الفضل بن يسار قال ((قلت لأبي عبد الله- يريد الإمام جعفر الصادق (ﷺ) -: أن الناس يقولون أن القرآن نزل علي سبعة أحرف فقال : كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل علي حرف واحد من عند الواحد)) ، النشر لابن الجزري تصوير بيروت ط القاهرة ٢٢٢/١

(٣): أخرجه البخاري ٦٦/٣ كتاب فضائل القرآن ، ومسلم ٥٦١/٣ كتاب صلاة المسافرين ، من حديث ابن عباس وأخرجه غيرهما كابي داود والترمذي واحمد ومالك .

(٤) الإتيان للسيوطي ٤١/١

نعم ، كان هذا الخلاف وما يزال ، وكان على أكثر من صاحبي ، فأثرى ذلك كله تعلم القراءات، واطلع هذا القرن على اختلافات واسعة حتى لا يكاد الرجل يسمع اثنين على حرف واحد .

ثم قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي الروم في أرمينية والفرس في أذربيجان ، فقال: " يا أمير المؤمنين ، إني قد سمعت الناس يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى" ^(١)، وهذا ما أدى بعثمان بن عفان (رض) إلى توحيد رسم المصحف، وحمل الناس على ما يوافقه، حتى ليروى أنه "أحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من عنده مصحف يخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه" ^(٢)، فقد ذكرت المصادر أن عثمان كتب أو استكتب خمس نسخ من المصاحف مختلفة القراءات وبعثها في الأمصار ^(٣)، ولقد كان رسم المصحف العثماني نفسه معيّنًا علي تعدد القراءات لخلوه من النقط والشكل، ولا بد أن نلقي مزيداً من الضوء علي لفظة "معينا" في العبارة السابقة، فإن قولنا " كان معينا علي تعدد القراءات" يختلف اختلافاً بائناً عن قولنا " كان سبباً في تعدد القراءات" فالعبارة الأولى صحيحة لا يشوبها شك، وللتمثيل نذكر قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا } (النساء: ٩٤) فلفظ " فتبينوا " مكتوب في المصحف العثماني هكذا (فتتنتوا) ؛ بغير نقط . وهو معين علي قراءة الآية بوجهين : (فتبينوا) وكذلك (فتثبتوا) وكلتاها قراءة صحيحة مروية عن النبي (ﷺ) بطريق التواتر(*) .
وأما العبارة الثانية : فهي خطأ لا يشوبها شبهة صواب، لأن مؤداها أن القراءات واختلافها كان متأخراً عن جمع القرآن، وإن قرأ القرآن من التابعين قد تصرفوا من تلقاء أنفسهم بقراءته علي غير الوجه الذي نزل به مخدوعين بالرسم العثماني غير المضبوط مرة، أو مستحسنين معني بعينه مرة أخرى .

(١) ظ: أبو عمر الداني: المقنع في رسم مصاحف الأمصار ط/الكلبيات الأزهرية ص ١٤، وينظر: الطبري ١/٦٢ .

(٢) ظ: القسطلاني : لطائف الإشارات ط/مجمع البحوث الإسلامية ١/٠٦٤

(٣) ظ: د.ليب السعيد: الجمع الصوتي الأول ط/الهيئة المصرية للكتاب ص ٠٦٦ وقد ذكر الداني الاختلاف في عدد النسخ ص ١٩ .

(*) : قراءة " فتثبتوا " هي قراءة حمزة والكسائي وخلف. وقرأ الباقر " فتبينوا." ، وينظر جولد زيهري ص ٩ وما بعدها.

المطلب الثاني : التشكيك في القراءات القرآنية .

استخدم "جولد زيهر" ما وسعه أن يستخدمه من معلومات مبتورة مستهدفاً التشكيك في القرآن والقراءات القرآنية، من ذلك :

١- يرى أن المنتظر من النص الإلهي أن يأتي في قالب موحد متلقي من الجميع بالقبول.

٢- أن تعدد القراءات القرآنية راجع إلى خصوصية الخط العربي "بغير نقط أو ضبط" بحيث يمكن قراءة اللفظ المكتوب بصور صوتية مختلفة متغيرة المعني والإعراب (١)

إذن فاختلاف تحليله هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوفاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه (٢).

٣- أن التابعين وعلماء المسلمين قد عملوا بتفكيرهم المحض في تغيير قراءات قرآنية بناء علي ما يسميه "ملاحظات موضوعية" أو "خلافات فقهية" ؛ (٣) فالنص القرآني- في حسب قول "جولد زيهر" : ((قد تعرض بعد كتابته لعمل الأيدي و العقول المسلمة بالتغيير والاختلاف نتيجة لما تعرض له المسلمون من خلاف فقهي أو نظرات حضارية)) (٤)

وهذه الملاحظات الثلاثة هي التي تدور حولها بحوث المستشرقين في القراءات ، فهو يعترف أنه يسير علي نهج "زعيمهم تيودور نولدكه theodor Noldeke " في كتاب (تاريخ القرآن) (٥) ومثل هذا الاعتراف يسوقه "جفري" في مقدمة كتاب (المصاحف) لابن أبي داود ، الذي يدعى فيه أن القرآن قد تعرض للتبديل بعد وفاة النبي (ﷺ) (٦)

(١): انظر جولد زيهر ص ١٠

(٢): انظر م - ن

(٣): انظر م - ن : ص ١١-١٢

(٤): م - ن : ص ٧ وما بعدها

(٥): انظر م - ن : ص ٧

(٦): المصاحف لابن أبي داود تحقيق آرثر جفري، ابي بكر عبد الله ابن ابي داود سليمان بن الاشعث (ت ٣١٦ هـ - ٩٢٨ م):

غير أن المتأمل في هذه الملاحظات يجد أنها لا تثبت أمام الوعي الصحيح بتاريخ القرآن أو أسلوبه ، فلم يعرف في تاريخ القرآن خلاف جوهري في قراءاته ، وقد حصر العلماء المسلمون اختلاف القراءات في سبعة وجوه لا يشير واحد منها إلى هذا الاضطراب المدعى المزعوم . وكل ما حدث تشدد بعض القراء لحروفهم حفاظاً علي ما سمعه من ثقات الصحابة.

والملاحظ أن هؤلاء المستشرقين يستدلون أحياناً بقراءات ضعيفة وواهية في نسبتها إلى النبي (ﷺ) ويتغافلون عن الحديث المتواتر الذي قدمنا ؛ وهو قول النبي (ﷺ) (نزل القرآن علي سبعة أحرف...) ومن أمثلة هذه القراءات الواهية،

١-قراءة (تستكثرون) بدلاً من (تستكبرون)^(١) في قوله تعالى:
{ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } (لأعراف/٤٨)

ذكرها "جولد زيهر" استدلالاً على "الاختلاف في تحلية الهيكل المرسوم بالنقط" مع أنها كما يقول د.النجار " لم تعتمد في القراءات السبع ولا الأربع عشرة بل هي قراءة منكرة ، ولا يعرف علي وجه التحديد من قرأ بذلك وحسبك هذا دليلاً علي أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة القراءة "^(٢) إلا أنها لا تناقض فيها ؛ إذ تحمل على عطف التفسير.

(١): جولد زيهر:ص٩

(٢): المصدر السابق: نفس الصفحة (هامش)

والأكثر من ذلك أنه يذكر

٢- قراءة (أباه) بدلا من (إياه)^(١) في قوله تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ } (التوبة- ١١٤) قائلأ : " ومن الغريب أنها قراءة حماد الراوية " مع معرفته بمنزلة حماد الراوية من هذا العلم ومن الثقة، فهو الذي أطبق علماء الأمة علي الطعن في روايته.^(٢)

٣- ولا غرابة من هذا المستشرق قوله تعالى: { الم غُلِبَتِ الرُّومُ ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ

غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ } (الروم: ١-٣) ، ويشير للاختلاف في قراءة (غلب الروم و سيغلبون بالبناء للمعلوم والمجهول فيهما ، واخذ يصف القراءتين بالتناقض ، إذ يقول : ((إِنَّ الْقَرَاءَتَيْنِ مُتَنَاقِضَتَانِ فِي الْمَعْنَى ، الْمَغْلُوبُونَ فِي الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةُ هُمُ الْغَالِبُونَ فِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى))^(٣) ، و لقد صرح هذا المستشرق بأقبح من ذلك ، مما يدل عن جهله في هذا الموضوع إن لم نقل فساد نيته وقصده السيء في الطعن بالقرآن والقراءات .

٤- قراءة –(فأقيلوا) بدلا من (فاقتلوا) في قوله تعالى: {فَتَوْبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} (البقرة : ٥٤) يقول: ((وقد رأى قتادة أن الأمر بقتل النفس أو قتل العصاة ، هو من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل فقرأ " فأقيلوا أنفسكم " ، أي : حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم ، وفي هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سببأ أدى إلى القراءة المخالفة .))^(٤)

(١) انظر: المرجع السابق: الصفحة السابقة

(٢) انظر: ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ص ٤ (مقدمه)

(٣) : جولد زيهر: ص ٣٠

(٤) :م - ن : ص ١٠- ١١

فهو يطعن بالقراءة المشهورة ، ويصف قراءة قتادة - مع أنها شاذة ^(١) - بالموضوعية ، وهو من جانب آخر يتهم القراء بالقراءة بالتشهي والاجتهاد ، وكأن القراءة ليست سنة متبعة الأصل فيها التلقي والمشافهة لا الرأي والاجتهاد .

من أجل هذا كله كان بيان وجهة نظر علماء المسلمين حول هذه القضية له أهميته البالغة في الدراسات القرآنية والعربية، لذا سوف يعرض الباحث بشيء من الإجمال أقوال العلماء في هذه القضية.

ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض ، وأن الاختلاف حاصل في الألفاظ المسموعة وليس في المعاني المفهومة ، وبهذا صرح المهدوي (ت في حدود ٤٤٠هـ) حين عرض لحديث (ﷺ) أنزل القرآن على سبعة أحرف ، إذ قال : ((واختلف الناس في معنى الحديث اختلافاً كثيراً ، فأكثرهم على أن معناه في الألفاظ المسموعة لا في المعاني المفهومة .)) ^(٢)

وقوله " أكثرهم " لا يعني أن القلة من العلماء قائلون بالتناقض أو التضاد أو التنافر في القراءات ، بل لهم تفسيرات مغايرة حول معنى الحديث ، فبعضهم فسر الأحرف السبعة باللغات ، وبعضهم فسرهما بالحلال والحرام والمحكم والمتشابه وغيرهما. ^(٣)

(١): ينظر : مختصر في شواذ القراءات ٦ .

(٢): بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ٢

(٣): ينظر : الأحرف السبعة للداني ٥٧-٥٩ ، والإتقان ١/ ١٤١-١٣١ ، والقراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ٢٤-٢٩ .

بين الداني (ت ٤٤٤ هـ) ما ينبغي اعتقاده في القراءات ، إذ يقول : ((وجملة ما نعتقده من هذا الباب وغيره من إنزال القرآن وكتابته وجمعه وتأليفه وقراءته ووجوهه ونذهب إليه ونختاره فإن القرآن منزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ وحق وصواب وأن الله تعالى قد خير القراء في جميعها وصوبهم إذا قرؤوا بشيء منها وأن هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة وألفاظها تارة مع اتفاق المعنى ليس فيها تضاد ولا تناف للمعنى ولا إحالة ولا فساد.))^(١) ، وكان الداني من قبل هذا قد فصل القول في تعدد القراءات وبين المعاني التي تشتمل عليه اختلاف القراءات ، حيث قال : ((وأما على كم معنى يشتمل اختلاف هذه السبعة أحرف فإنه يشتمل على ثلاثة معانٍ يحيط بها كلها. أحدها:- اختلاف اللفظ والمعنى الواحد .

والثاني :- اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه . والثالث:- اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه))^(٢) ، ثم ساق من بعد ذلك القراءات ودلل على القواعد التي أصّل لها حول هذا الموضوع .^(٣) وأفاد من هذا التأصيل الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ولكن بشيء من التفصيل والبيان والاستقراء الأوسع ، فيقول : ((وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها وفائدته فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير ، لاختلاف تضاد وتناقض ، فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى ، قال تعالى {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء : ٨٢)، وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال . أحدها :- اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

(١): أبي عمر الداني: الأحرف السبعة ص ٦٠

(٢): م - ن : ص ٤٧

(٣): انظر: م - ن : ص ٥٠-٥١

الثاني :- اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد
الثالث :- اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان
من وجه آخر لا يقتضي التضاد .

فأما الأول فكالإختلاف في " الصراط ، وعليهم ، ويؤده ، والقدس ، ويحسب " ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط .^(١)

وأما الثاني فنحو " مالك ، وملك " في الفاتحة ، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى ، لأنه مالك يوم الدين وملكه ، وكذلك " يَكْذِبُونَ ، وَيُكْذِبُونَ " لأن المراد بهما هم المنافقون ، لأنهم يُكْذِبُونَ بالنبي (ﷺ) وَيُكْذِبُونَ في أخبارهم...

وأما الثالث فنحو { وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا } بالتشديد والتخفيف ، وكذا { وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلْزُّلُولِ مِنْهُ الْجِبَالُ } بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر الأولى وفتح الثانية ... فإن ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض .) (٢) فحصل ما ذكره ابن الجزري ومن قبله الداني أن إختلاف القراءات لا يلزم تناقض وتضاد واضطراب ، ولكن هؤلاء المستشرقين خلطوا الأمور خلطاً عجيباً بقصد أو دون قصد

هل نستطيع أن نرجع هذا الخلط الذي يقع فيه هؤلاء الأعاجم في دراسة القرآن إلى أسباب صحيحة ؟ في هذا المجال نتذكر قول الأستاذ العقاد الذي يعد تشخيصاً دقيقاً لموقف المستشرقين وأسبابه ، يقول : ((إنهم "جمعوا سوء الفهم وسوء النية" أما سوء النية : فذلك ثابت مقرر في تاريخهم سياسياً وفكرياً ، وحسبنا أن نطالع أي كتاب لأحدهم مثل درمنغم أو كارلايل

(١) انظر: الأحرف السبعة للداني ٤٧-٤٨ : (((السرط) بالسين و(الصراط) بالصاد و(الزراط) بالزاي و (عليهم، و إليهم، ولديهم) بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها و (فيه هدى، و عليه كنز، و منه آيت، و عنه ماله) بصللة الهاء وبغير صلتها و (يؤده إليك، ونؤته منها، وفألقه إليهم) بإسكان الهاء وبكسرهما مع صلتها واختلاسها، و (أكلها، وفي الأكل) بإسكان الكاف وبضمها، و (إلى ميسرة) بضم السين وفتحها، و (يعرشون) بكسر الراء وبضمها وكذلك ما أشبهه ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط
(٢) ابن الجزري :: النشر في القراءات العشرة ١/٥١ ط/ علي محمد الصباغ. مكتبة المثنى بغداد.

مثلاً لنعرف صدق هذا القول. وأما سوء الفهم : فالمطالع لدراستهم عامة يلاحظ من ذلك ما يضحكه - وشر البلية ما يضحك - ، وليس هذا مستغرباً من قوم أعاجم لا يفقهون سر العربية وذوقها وإن عرفوا ترجمتها ومعانيها، فلو رأينا اليوم مستشرقاً يترجم كلمة " التضحية " "بأنها عبادة الشمس" لأنها "مشتقة من الضحى" وكلمة " أخذ أنها تأتي بمعنى (نام) لقوله تعالى : { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } لو رأينا ذلك ألا يكون ذلك حرياً بأن يدفعنا إلى ضرب الصفح عن دراستهم للغة، وبخاصة في القرآن الكريم))^(١) ؟

(١) للعقاد: عباس محمود ، مطلع النور ط/الهلal ص ٧٠.

ولا يفوتنا أن نناقش هذا التفكير الاستشراقي الذي أدى إلى هذا الاستنتاج ، وتبلور بصورة واضحة في كتابات المستشرقين ، وبخاصة كتاب "جولد زيهر" المسمى (مذاهب التفسير الإسلامي) والملاحظ أن كثيراً من المستشرقين أطلعونا علي مستوى من التفكير حين تعرضوا للدراسات القرآنية، فـ "جولد زيهر " يبدأ كتابه بتقرير هو أنه ((لا يوجد كتاب تشريعي يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات مثل القرآن))^(١)

وهو بهذا يعني تعدد القراءات القرآنية فيسميه اضطراباً، وتجاهل "جولد زيهر" أن كتاب قومه لا يساوي في ميزان النقد العلمي جناح بعوضة، وقد اعترف بهـ هذه الحقيقة بعض المستشرقين^(٢) والتقرير الذي يقدمه "جولد زيهر" غريب عن الروح العلمي الذي يدعيه المستشرقون، فاختلاف القراءات هو اختلاف محدود في آيات بعينها من القرآن. يقول الدكتور عبد الحليم النجار: ((ولا يجوز وصف النص بالاضطراب وعدم الثبات إلا إذا جاء على صور مختلفة أو متضاربة لا يعرف الصحيح الثابت منها))^(٣) أما وروده بصور مختلفة صحيحة النسبة إلى الله تعالى متصلة السند به، فلا يجوز أن يكون مطعناً حتى إذا اختلفت صورته، ولو نظر "جولد زيهر" في العهد القديم، فقرأ فيه خبر موت موسى ودفنه^(٤). وأخبار الملوك بعد موسى (ص) ^(٥) لأيقن أنه كتاب كتبه أيدي قومه، ولو تأمل حديث هذا الكتاب عن الرب تعالى ، ومصارعته ليعقوب (ص)، وصرع يعقوب إياه وكسره ضلعا منه^(٦)

(١) : جولد زيهر:ص ٤ .

(٢) :انظر ما ذكره - مترجماً- الأستاذ أحمد عبد الوهاب - عن رأي علماء الكتاب المقدس في العهد القديم . وذلك في كتاب المسيح في مصادر العقيدة المسيحية"ط/ وهبة (الفصل الخاص بالمصادر)

(٣):جولد زيهرص ٤ (هامش)

(٤) : سفر الملوك الأول والثاني من العهد القديم

(٥) : انظر : سفر الملوك الأول والثاني من العهد القديم.

(٦) : انظر: سفر التكوين ٣٢/٢٤/٣٠.

أين هذا كله من القرآن الكريم ؟ الدقة المتناهية في إثبات نصوصه، والورع المتناهي في قراءة حروفه ، والضبط المتناهي في نقل آياته. وقرأ كتاب المستشرق "وليم موير" المسمى (حياة محمد) حين يتعرض في مقدمته لما يسمى " تحريف القرآن وتبديله " وقد ترجمها برمتها الأستاذ حسنين هيكل في مقدمته للطبعة الثانية من كتاب حياة محمد. وقد استقصى فيها "موير" عمليتي الجمع القرآني ومقومات الدقة فيهما، في ترتيب فكري خالص، يحسن قراءة ألفاظه التي هو اختارها للتعبير عن نتائجه كما ترجمها هيكل ^(١) ، وإن كنا ننقل النتيجة التي وصل إليها من هذا التحليل. يقول:

(والنتيجة التي نستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هي أن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقاً فحسب، بل كان- كما تدل الوقائع عليه - كاملاً، وأن جامعيه لم يتعمدوا إغفال شيء من الوحي ، ونستطيع كذلك أن نوكد - استناداً إلى أقوى الأدلة - أن كل آية من القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد ﷺ) بل إن شئت الدقة فاقراً مقدمات تفسير "الطبري" و "القرطبي" وكتاب " نكت الانتصار لنقل القرآن " ^(٢) للقاضي الباقلاني لتري من كل ذلك العجب العجيب.

(١): محمد حسين هيكل: حياة محمد : ط ٢ /المقدمة

(٢): حقق هذا الكتاب د.محمد زغلول سلام ونشره منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧١.

المطلب الثالث: مناقشة وتقويم .

ولنلق نظرة علي الأعمدة الثلاثة التي بني عليها المستشرقون متمثلين في جولد زيهر " افتراءهم علي القرآن: "

١- ظن "جولد زيهر" : أن المنتظر من النص الإلهي " أن يأتي في قالب موحد " وهذا تحكم لا وجه له، كما عبر الأستاذ النجار : نعم كان هو ينتظر ذلك، ولو جاء في قالب موحد لقال: كان المنتظر من نص إلهي أن يأتي بصور مختلفة حتى يبسر علي الأمة فهمه وتلاوته !

ما أشبه ذلك بصنيع أسلافه اليهود! إذ ظل ينتظرون النبي الأمي المكتوب عندهم في التوراة { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ } (البقرة/٨٩) { إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ } (البقرة: ٢٤٦) ^(١)

وقد جاء العهد الجديد يحتوي أربع صور لما ظنوه الإنجيل بين كل منها وأخيه من الخلاف ما يملأ السماوات و الأرض ، وقد عبر عن ذلك الدكتور (فريدريك جرانت) في كتابه الأنجيل أصلها وتطورها (بقوله ^(٢) .

"إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع ، فهو يمثل وجهات نظر مختلفة." هل هذه ، أو قريب منها صورة القرآن الكريم ؟ حاش لله ، فقد التأمت ألفاظ القرآن وأساليبه ومسائله الدقيقة فلا تجد فيه عوجاً ولا أمتاء، وبون شاسع بين اختلاف نطق الألفاظ بغية التيسير، وبين اختلاف النص و الحكم والقصة والنبوءة و العقيدة من (إنجيل) (لإنجيل)

(١) النجار عبد الحليم ، ترجمة مذاهب التفسير الإسلامي ص ٧ (الهامش)

(٢) :الطبعة الإنجليزية ص ١٧(نقلًا عن الأستاذ أحمد عبد الوهاب"المسيح في مصادر العقيدة المسيحية" ط/ وهبة ص ١٥

٢- زعمه أن تعدد القراءات راجع إلى خصوصية الخط العربي ، بحيث يمكن قراءة الصورة الكتابية بصور صوتية مختلفة.

وهذا زعم يردده أقل البصر بكتاب الله تعالى ، أو أقل النظر في قراءاته المتعددة. وقد سبقنا إلى الرد علي هذه الجزئية دارسون فضلاء ، أشير منهم إلى ثلاثة هم. أ- الدكتور عبد الحليم النجار ، وذلك في تعليقاته الدقيقة علي كتاب "جولد زيهر" التي جعلها هوامش علي ترجمته له ، (وقد طبعت الترجمة والتعليقات سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م ، بمطبعة السنة المحمدية ، ونشرها الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد).

ب- الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، في كتابه القيم (رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات) (وقد نشرته مكتبة نهضة مصر بالفجالة سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م

ت- فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه (القراءات في نظر المستشرقين والملحدون) (وقد نشره مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٠ م) . والملاحظ أن عنوان هذا الكتاب قد كتب له الرواج وكثرة الانتفاع به لغلبة اللون الإعلامي عليه إلى جانب أنه دراسة موفقة لم تقتصر علي الإفادة الكثيرة من دراسة الأستاذين النجار وشلبي ، بل زادت عليهما عدة ملاحظات . ونحن نلخص ما أورده الثلاثة - حسب الإمكان - مضيفين إليه ما يؤكد، مشاركين في إحاض هذه الفرية العظيمة :

- الأدلة التاريخية التي تؤكد ورود الروايات المختلفة قبل رسم المصحف ، بل في زمن النبي (ﷺ) نفسه ، وقد أشرنا - قبل - إلى وقوع هذا التعدد في زمن النبي (ﷺ) ، وأنه عليه الصلاة والسلام قد ذكره في معرض الثناء علي القرآن والحمد لربه علي تيسيره لأمته ، والذي يهمننا الآن هو أن هذه الأوجه كانت معروفة قبل أن يجمع القرآن ، وأن النبي (ﷺ) كان يقرئ القرآن علي هذه الأحرف المختلفة ؛ فلا دخل إذاً للرسم في ذلك (١)

(١): رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات د. عبد الفتاح شلبي ط/النهضة المصرية ص ٢٢ ، وانظر لبيب السعيد ص ١٤١

لو كانت القراءة تابعة للرسم. كما يدعي هذا اللفيف من المستشرقين لصحت كل قراءة وافقت العربية والرسم ، ولكن ما وصلنا من تراث عن هذا الموضوع يؤكد خلاف ذلك تماماً، فقد ذكر (السيرافي) ^(١) أن (يحيى بن يعمر) قد واجه (الحجاج الثقفي) بأنه يلحن في القرآن في قوله تعالى من سورة التوبة :

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (٢٤) سورة التوبة

فالحجاج يقرأ (أحب) بالرفع ، وقد نزلت بالنصب ^(٢) ، مع أن الرفع وجه في اللغة ، ولم يقرأ به أحد في الأربع عشرة ، وإنما لحن يحيى الحجاج هنا لا لعدم موافقته العربية وإنما لعدم صحة القراءة نقلاً {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (٤٩: سورة القمر) وقراءة يصح في لفظ (كل) الرفع والنصب ، ولم يقرأ بالرفع أحد، علي الرغم من أن الرفع هو الراجح عند سيبويه ، لأنه (مبتدأ بعد اسم، وهذا الكلام في موضع خبره) ^(٣) ولكن التنزيل أرجح لأن قواعد اللغة تبنى عليه ^(٤)

إن أهل العربية من القراء الكبار لم يجرؤوا على أن يختاروا القراءة التي لم تثبت عندهم في النقل ، بل تمسكوا بالنقل ، وهذا أبو عمرو بن العلاء شيخ البصريين ، وهو أحد السبعة يقول: " لولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا و كذا " ، وهذا إمام الكوفيين (حمزة الزيات) وهو أحد السبعة أيضاً ، يقول عن سفيان الثوري: (هذا ما قرأ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر) ^(٥)

(١):السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ط١/ الحلبي ١٣٧٤هـ.

(٢): أخبار النحويين البصريين للسيرافي ط/ الحلبي سنة ١٣٧٤ ص ١٧.

(٣): الكتاب لسيبويه ط/ هارون ١٤٧/١، ١٤٨.

(٤): الكتاب السابق نفسه.

(٥): معرفة القراء الكبار للذهبي ط/دار التأليف 1/85 وانظر حجة القراءات لابن زنجلة ط/ الرسالة ص ٦٣.

تحري القراء بعد كتابة المصاحف للضبط التام في التلقي من الشيوخ ، وعدم الاعتماد علي المصحف ، ومن ثم قالوا : " لا تأخذوا القرآن من مصحفي " ، (١) وقد مر بنا كم شنعوا بحماد الراوية " لأنه كان يعتمد علي المصحف ، فكان يصحف نيفاً وثلاثين حرفاً " .

هذه المتابعة الدقيقة للمصحفين وإحصاء تصحيقاتهم تدل دلالة قاطعة على أن "جولد زيهر" و "نولدكه" كانوا اخطئوا حين ظنوا أن علماء المسلمين قد غيروا بعض القراءات بناء علي ما سماه "ملاحظات موضوعية أو خلافات فقهية" وهي الفرية الثالثة التي افتروها علي القرآن وإن هؤلاء الحفاظ لم ينظروا في المصحف إلا للعرض أحياناً علي شيوخهم ، وأن القرآن أخذ من الصدور ، وجاءت السطور تأكيداً له {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} (٤٩) سورة العنكبوت في صدور الذين أوتوا العلم. وفي ختام هذا البحث أرى من الضروري ان أشير الى بعض ما ذهب إليه الأستاذ الفاضل الدكتور محمد حسين الصغير الى مسألة القراءات وأقوال "جولد زيهر" فيها ، حيث يقول : ولعل ابرز ما عنده إثارته لبعض المآخذ التي يمكن تلخيصها بما يلي:

١- إيراد اختلاف في القراءات واعتقده بان ذلك كان عن هوى من القراء لا عن توقيف ورواية.

٢- ذهابه الى انه وجد بعض القراءات المتناقضة في المعنى والمختلفة في التأويل لا يمكن أن يجمع بينهما واعتبار ذلك مخالفات جوهرية.

٣- ذهابه إلى أن بعض الاختلافات في القراءات مرجعه الى الخوف من أن تنسب إلى الله ورسوله عبارات قد يلاحظ فيها بعض أصحاب وجهة النظر الخاصة ما يمس الذات الالهيه العالیه أو الرسول. (٢)

ويشير أخيراً الى أن ما أثاره (جولد زيهر) عبارة عن فرضيات يصعب الاستدلال عليها ومحض اجتهادات بل تصورات تتنافى مع طبيعة البحث الموضوعي. وتحمل القضايا اكثر من واقعها (٣)

(١): انظر : المصدر نفسه

(٢) ظ :جولد زيهر :ص: ٨-٢٠ ، ترجمة د. علي حسن عبد القادر

(٣) المستشرقون والدراسات القرآنية ص ٢٦

المبحث الثاني فواتح السور القرآنية

توطئة :

اختلف العلماء في تفسير فواتح السور ولا يوجد احد أحاط بهذا البحث بالدليل القاطع والجازم، فمن رأى أو قال بان ظاهر هذه الآيات المسبوقة بهذه الحروف نحوى كلمة (تلك) الواردة في قوله تعالى (الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم) انها إشارة إلى (الم) ويعني إن الإلف واللام والميم هي آيات إلهيه وقد تشكلت منها آيات القرآن الكريم بعباراتها ،فان لم تؤمنوا بذلك فاتوا بمثله. أو الأحاديث التي استدلوها بها فهي من حيث سندها ضعيفة أو ما اعتمدوا عليه من حيث الدلالة وثبتت انها متعارضة ، وفي هذه الحال لا يمكن التمسك بأحد طرفي التعارض ولعل السر في قول القاضي أبي بكر ابن العربي : بأنه لم يجد من استدل بدليل قاطع وحاسم على الموضوع هو هذا الأمر^(١).

لمطلب الأول : فواتح السور عند المفسرين: يقول الفخر الرازي : ((للناس في قوله تعالى " الم " وما يجري مجراه من الفواتح قولان احدهما : إن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله تبارك الله به وقال عليّ (عليه السلام) "إن لكل كتاب صفوه ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي " وسال الشعبي عن هذه الحروف فقال "سر الله فلا تطلبوه " وروي عن ابن عباس قال : "عجزت العرب عن إدراكها"^(٢)

والقول الثاني : قول من زعم إن المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا فيه وذكرها وجوها نورد بعضها

- (١): إنها أسماء سور. (٢): إنها اسما الله تعالى. (٣): إنها ابعاض أسماء الله تعالى. (٤): أنها أسماء القرآن. (٥): إن كل واحد منها دال على اسم من أسماء الله تعالى وصفه من صفاته
- (٦) بعضها يدل على أسماء الذات وبعضها على أسماء الصفات.

(١) نقل بتصريف عن السيد مير محمدي، بحوث في تاريخ القرآن ص ٢٣

(٢) تفسير الرازي ، مج/ضح/٦-٧ ، وانظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج/٣٨ ، ط ٩ ، ١٩٨٠ ، دار الشروق - بيروت

(٧): كل واحد منها يدل على صفات الأفعال. (٨): بعضها يدل على أسماء الله تعالى، وبعضها يدل على أسماء غير الله. (٩): كل واحد من هذه الحروف يدل على فعل من الأفعال

(١٠): والقول الأخير اختاره عدد من المحققين: (إن الله تعالى إنما ذكره احتجاجاً على الكفار) وذلك أن الرسول (ﷺ) لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة فعجزوا عنه^(١)، أنزلت هذه الحروف تنبيهاً على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، وانتم قادرون عليها وعارفون بقوانين الفصاحة، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر، ولم يثبت عن رسول الله (ﷺ) في هذه الفواتح شيء يصلح التمسك به في بيان معانيها بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد عدد حروفها^(٢).

نقل الشوكاني عن البخاري في تاريخه: قال رسول الله (ﷺ) ((من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشرة أمثلها لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف))^(٣) وقد وردت هذه الفواتح في تسعة وعشرون سورة من القرآن.

ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من هذه الحروف سياسة النفوس المعرضة عن القرآن واستدراجها إلى الاستماع إليه، والمعروف إن أعداء الإسلام في صدر الدعوة كان يقول بعضهم لبعض {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} (سورة فصلت: ٢٦) فلما أنزلت الحروف المبدوءة بحروف الهجاء، وقرع إسماعهم ما لم يألفوا، التفتوا، وإذا هم إمام آيات بينات استهوتها قلوبهم، واستمالت عقولهم فأمن من أراد الله هدايته وفارق الإيمان من شاء الله تأخير، وقامت الحجة في وجه الطغاة المكابرين، وأخذت عليهم الطرق فلا عذر لهم في الدنيا ولا يوم الدين^(٤).

(١)- تفسير الرازي، ج ٢/ ٦

(٢) انظر: المصدر نفسه

(٣)- الشوكاني، فتح القدير، ج ٣٢/ ١، محمد بن علي بن محمد، ط ٢، / ١٩٦٤، مصطفى البابي الحلبي/ مصر وينظر تحفة الأحرار بشرح جامع الترمذي

(٤) المباركفوري، ج ٢٢٦/ ٨، الباب السادس عشر، فضائل القرآن مطبعة دار الفكر

ذكر الشيخ الطوسي: ((أن العلماء اختلفوا في تفسيرهم لمعاني فواتح السور ، وقد ذكروا أقوال متعددة نجمل منها ما يلي: ١- إنها أسماء للقران . ٢- إنها جيء بها في أوائل السور ليتحدد موضع بداية السور وموضع انتهاء السورة . ٣- إنها جاءت لكي تسمى السورة بها . ٤- إنها أقسام قسم بها الله تعالى . ٥- إنها اسم الله الأعظم . ٦- إنها حروف رموز لبداية الكلام التي يعلم المقصود منها نبي الإسلام . ٧- إنها حروف هجاء قد وضعت لأجل تتركب منها العبارات . ٨- إنها حروف ترمز إلى أشارات ومعان معينه . ٩- إنها حروف من حساب الجمل . ١٠- إنها من أسرار القران كما إن لكل كتاب سرا))^(١).

وردا على قول الشيخ الطوسي يقول السيد الطباطبائي: ((أما الأقوال العشرة فإنما هي تصورات لا تتعدى حد الاحتمال ولا دليل يدل على شيء منها ... إن هذه الحروف رموز بين الله سبحانه وبين رسوله (ﷺ) خفية عنا لا سبيل لفهامنا العادية أليها ألا بمقدار أن نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور ارتباط خاصا))^(٢).

أما أقوال اللغويين في فواتح السور حول معاني هذه الحروف حسب ما ذكرها الشيخ الطوسي فهي كما يلي: ((١- إنها حروف المعجم . ٢- إنها حروف جيء بها لأجل جلب انتباه المشركين باعتبارهم صمموا على عدم الإصغاء للقران . ٣- إنها حروف قد شرعها الله سبحانه مفتتحا كلامه بها))^(٣).

ذكر الشيخ الطبرسي في مجمع البيان قائلا: (روت العامة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي .).^(٤) ويقول صبحي صالح: ((إن هذه الحروف تعد من المتشابهات)) ويعقب بقوله: ((إن الورع لا يسمح أن يكون لنا رأي صريح بشأن هذه الحروف لأنها من متشابهات القران الكريم التي لا يعلمها إلا الله تعالى))^(٥).

(١) الشيخ الطوسي ، تفسير البيان : ج ١ ص ٣٥٢ في أوئل تفسير سورة البقرة

(٢) السيد الطباطبائي، تفسير الميزان ج ١٨ ص ٨ و ٩

(٣) الشيخ الطوسي ، تفسير البيان : ج ١ ص ٣٥٢

(٤) نقلا عن السيد مير محمدي، بحوث في تاريخ القران ص ٢٣

(٥) م - ن : (ذكره الفخر الرازي في صفحه ١٨٢)

(٥) م - ن

وخالصة القول من كل ما قيل يتبين لنا وجود المتشابهات في القرآن الكريم ، ولا يوجد هناك بحث يشتمل على الاتفاق والإجماع بين العلماء في توضيح تأويلاتها، بل أن موضوعها ،مورد خلاف عامة المسلمين وخاصتهم ،سواء في الماضي أو في الحاضر وان الأخبار المروية والمتضمنة لمطلبها لا يمكن الاستناد إليها لعدم صلاحيتها ، وان التعريف اللغوي والمعرفي المتشابه يشتمل على هذه الحروف ، ولكن بالنتيجة يتأكد إن هذه الحروف هي في حقيقتها من المتشابهات وهذا ما يمكن القبول به.

المطلب الثاني : فواتح السور عند المستشرقين .

أكثر المستشرقين اهتماماً بمسألة فواتح السور هم (تيودور نولدكه (Noldyk) و اجناس جولد زيهر (Ignaz Gogdziher) و بلاشير (Blachere) وغيرهم (Theodore).

حيث ذهب (تيودور نولدكه (Theodore Noldyk) إلى أن أوائل السور دخيلة على نص القرآن وقد ذكر ذلك في كتابه تاريخ القرآن ترجمة جورج تامر الذي نشر سنة (١٩١٩) وقال: ((ان تلك الفواتح ليست من القرآن في شيء وإنما هي رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين، قبل أن يوجد المصحف العثماني ، فمثلا حرف الميم كان رمزا لـصحف المغيرة بن شعبه ، والهاء رمزا لـصحف أبي هريرة ،والصاد كانت رمزا لـصحف سعد بن أبي وقاص ،والنون رمزا لـصحف عثمان . وما إلى ذلك))^(١).

إذن فهي ليست سوى إشارات لملكية الصحف ، تركت في مواضعها بدافع النسيان أو الإهمال، أو عدم اليقظة، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآن على زعم نولدكه

وقد رد على هذا الزعم الخاطئ كل من المستشرق لوث (*) (Loath) وبوير (Boer) وقالوا: ((لا يستسيغان إن أولئك المسلمين الأتقياء الذين نسخوا المصاحف يقبلون أن يضيفوا إلى كلام الله ما ليس منه ، أو أن يقرأوا إضافته إليه. وهما يجزمان بأنه لا يتصور عاقل إن أولئك الإعلام الدقيقين اللذين كلفوا جمع المصحف الخير يمكن أن يجيزوا انضمام رموز بشريه إلى كتاب الله أو أن يستبقوا فيما كلفوا مراجعته رموزا لمعاصريهم))^(٢)

وهذا أفضل رد على نولدكه وغيره ممن يذهبوا إلى ما ذهب إليه. وقد شارك المستشرق شافلي (schwally) المستشرق نولدكه (Noldeke) هذا الرأي ثم نجدان المستشرق نولدكه (Noldeke) شعر بخطأ نظريته فرجع عنها وأما المستشرق شافلي (schwally) فأهملها .

(١): انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١/ ٢٣١ .

(*) : لوث (١٨٤٤-١٨٨١) مستشرق انكليزي، نال الاستاذية برسالة عن ابن سعد عمل مده في المكتبة البريطانية في لندن من أثاره: رسالة من ملك العرب يعقوب ابن اسحق الكندي، فهرس المخطوطات العربية ، الطبقات لابن سعد، بدأ بدراسة الهمداني معجم أسماء المستشرقين ص ٦١٩

(٢) -نظرات استشراقية، محمد غلاب ، ص ٤٢ .

ثم جاء المستشرق " بيبل Bwbl " والمستشرق "هرشلفيد Hirschfeld " فأنار هذه الفرية من جديد وقد اظهر المستشرق "بلاشير Blachere " فساد هذه النظرية بما لا دع مجالا لتقبلها أو احترامها، وتبعه كل من "المستشرق لوت(Loth) " والمستشرق " بينر Baner " حيث إنهما استبعدا أن يدخل المسلمين الذين ذكرت أسمائهم آنفاً – عناصر غير قرآنية في الكتاب المنزل الذي لا يزيد عليه ما ليس منه إلا ضعيف الإيمان قليل اليقين .

ويرى المستشرق " بلاشير Blachere " انه ليس من المعقول بحال من الأحوال أن يحتفظ أصحاب المصاحف المختلفة في نسخهم ذاتها بالحروف الأولى من أسماء معاصريهم إن علموا انه لا يقصد بها إلا ذلك (١)

يقول الأستاذ محمد الغزالي: ((ويضاف إلى هذه الملاحظة - يعني ملاحظة المستشرق "بلاشير Blachere " – إننا لا نكاد نجد مبررا لحرص عليّ (عليه السلام) أو أبي أو ابن مسعود على أن يحتفظوا في مصاحفهم بالحروف الأولى من أسماء أشخاص كانوا ينافسونهم في استنساخ القرآن وجمعه)) (٢) وإما المستشرق " لوت Loth " فهو يتصور إن النبي (ﷺ) مدين بفكرة الفواتح لتأثير اجتنبي – ويرجح انه تأثير يهودي.

إن وقوع هذا المستشرق في مثل هذا الخطأ يرجع إلى جهله إذ إنه يتصور السور التي بدأت بالفواتح مدنية خضع فيها الرسول (ﷺ) لتأثير اليهود وقد فاتته إن سبعاً وعشرين سورة من تلك السور التسعة وعشرين مكية، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنين ، وهما سورتا البقرة وآل عمران ولكنه الجهل وكفى بذلك وبالاً (٣) .

(١) ظ : محمد الغزالي - مع الله دراسات في الدعوة ص ١٠٦-١٠٧ ط ١/٥ ١٤٠١/١٩٨١ المكتبة الاسلاميه

(٢) م - ن ، ص ١٠٧

(٣) ظ : غلاب : نظرات استشرقيه ، ص ٤٢

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة من الجهد المضني والتعب الشاق والسهر مع هذه الدراسة توصل الباحث الى جملة من النتائج ارى من الواجب ان اضعها بين يدي الراغبين في متابعة البحث في هذا المجال ومن اهم هذه النتائج ما يأتي:

أولاً - تبين للباحث أنَّ الاستشراق لا يمكن اعتباره حركة شريرة لم تقدم لتاريخنا العربي، ومقدساتنا أية خدمة أو نفع، كما يقول بعض المفكرين، وان كان لها من الأهداف المعادية للعروبة والإسلام.

ثانياً- لقد جاءت وجهات نظر الباحثين ومواقفهم في العالم العربي والإسلامي من كتابات المستشرقين مختلفة . فهناك من وقف منها موقف المؤيد والمجد والمتحمس لها الى أقصى حد وهناك من وقف منها موقف الرفض جملة وتفصيلاً وهناك من وقف منها موقف المعتدل ، وأشاد بكتابات المنصفين الذين ينشدون من كتاباتهم الحقيقة العلمية سالكين لها منهج البحث العلمي النزيه ورفض كتابات المغرضين الذين يتجاوزون في كتاباتهم الى أغراض يسعون الى تحقيقها من خلالها على حساب البحث العلمي .

ثالثاً- ثبت للباحث ان للاستشراق دوافع خفيه غير معلنه ، والا بما ذا نفسر تاليف اكثر من ستين الف كتاب ، خلال قرن و نصف، يتعلق بالاسلام والمسلمين، ومنها ما يتعلق بالحديث الشريف والسنة النبويه والعترة الطاهره ، ومنها ما اهتم بالجانب التاريخي، والجغرافي، والبيئي، ومنها ما يهتم بالدراسات القرآنيه، كتفسير نصوص القرآن الكريم وترجمته.

رابعاً- اتضح للباحث أنه من غير الممكن تحديد مناهجهم في البحث . فلا يجد المتتبع أنهم قد اعلنوا عن منهجاً موحداً في البحث وطبقوه ، ولم ينبئوا عن منهج خاص لعلم من العلوم مع إدعاء كل مستشرق بأنه يلتزم البحث العلمي الموضوعي والحيادي فالأخطاء والثغرات المنهجية

والمصادر في البحوث الإستشراقية عن الإسلام سائدة فيها بشكل أو بآخر، ففيها المبالغة في الشك والإفتراض ، واعتماد الضعيف الشاذ ، والإقتباس من مصادر غير موثوقة والنفي الإعتباطي كنفي كتابة القران الكريم في زمن النبي (ﷺ) ونفي تدوين الرواية في القرنين الاول والثاني الهجري والمعروف عند المسلمين انه قد تم كتابة و تدوين القران و أشياء كثيرة في عهد الرسول (ﷺ) بأمره أو إذنه وكذا في عهد الصحابة

وعهد التابعين ولا مجال لإنكارها أو تجاهلها ، ولا يمكن التسليم بما ذهب إليه المستشرقين من إدعاءات واهية

خامساً- توصل الباحث الى ان الإخفاق كان من نصيب المستشرقين في دراساتهم لظاهرة التفسير لعدم اتخاذهم المجال والحقل المناسب لها ، حينما انتخبوا مصادر غير صالحة لها مثل كتب التفسير غير المعتمدة . وكان بإمكانهم النجاح فيها والتوصل الى نتائج علمية واقعية لو اتخذوا من كتب التفسير المعتمدة ميداناً لدراساتهم ومن منهج المفسرين مسلماً لها ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فكان إخفاقهم وبعد نتائجهم عن الواقع . ومن خلال تتبع ما كتبه المستشرقون في طيّات كتبهم، ويبرز ذلك بجلاء فيما كتبه (جولد زيهر) في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي) من تمجيد لكتب الفرق الأخرى غير المعتمدة عند المسلمين، وثنائه على ظواهر حركة التفسير العصرية.

سادساً- يذهب المستشرقون الى أنّ معظم التفاسير التي ظهرت منذ صدر الإسلام حتى العصر الحديث هي تفاسير تقليدية ، اعتمدت على مرويات وضعت إما لتقرير مسألة شرعية وإما لإغراض كلامية وإما التوضيح ، بل قد تكون لمحض اللهو و التسلية، وقد استدلوا على هذه النتيجة التي وصلوا إليها ، بأن مفسري القرآن الكريم في ذلك الوقت كانوا يميلون مع اتجاهاتهم الإيديولوجية أنّي مالت ، وقد صبغت هذه الاتجاهات القرآن الكريم وفسرته وفق مذاهبها

وهوaha و هناك من يفسر القرآن تفسيراً رأسمالياً، وهناك من يفسره تفسيراً يؤيد الحكم المطلق، وهناك من يفسره تفسيراً يؤيد الحكم البرلماني الديمقراطي وهكذا

سابعاً- سجل الباحث دعوات بعض المستشرقين الى إعادة تفسير القرآن الكريم اعتماداً على معطيات ما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية المعاصرة في الغرب، والاستفادة من مناهج تلك العلوم في إعادة تفسير القرآن الكريم، وخاصة مناهج الأنثربولوجيا ومنهجية علم اجتماع المعرفة ، وقد قسم أصحاب هذا الاتجاه إلى ثلاثة اتجاهات وهذه الاتجاهات هي: الاتجاه العلمي في التفسير، والاتجاه البياني والأدبي في التفسير، وأخيراً الاتجاه الاجتماعي العملي في التفسير.

ثامناً- توصل الباحث الى ان هذه النظريات التي يدعو اليها هؤلاء المستشرقين ، ما هي الا محاولات فاشلة غير مثمرة في إعادة تفسير القرآن الكريم، ذلك ان كل الطرق البحثية التي اتبعوها لم تستطع ان توفر نتائج دقيقة وصحيحة في إعادة تفسير القرآن رغم ان معطيات تلك العلوم كانت بين ايديهم فأين اثارها التي يدعونها؟

تاسعاً- توصل الباحث إلى أن الترجمة لها الأثر البالغ في تفسير نصوص القرآن الكريم وانصبت ملاحظتنا على إبراز معالم المنهج الخاطئ الذي سلكه المترجمون في ترجمة كثير من معاني القرآن الكريم. والنتيجة التي توصل إليها الباحث هنا هي: إذا كان من المستحيل أن تقوم مقام اللغة العربية لغة أخرى تبرز الإعجاز اللغوي والأسرار البلاغية وظلال الألفاظ القرآنية التي يزخر بها النظم القرآني الكريم، فإن أية ترجمة لمعاني القرآن الكريم تبقى محاولة إنسانية قاصرة ما دامت تنصب على ترجمة الآية بما يقابلها ويمثلها في اللغة الأجنبية، لأن في ذلك ضياعاً للعديد من معاني القرآن ودلالاته وإحياءاته.

وفي الختام أدعو الله تعالى أن تكون النتائج والملاحظات التي توصل إليها البحث كفيلة بأن تسهم في تعزيز الجهاز النقدي الشامل الذي يتعين تسليطه وتطبيقه على مختلف دراسات المستشرقين للقرآن الكريم.

التوصيات

يجد الباحث ضرورة بيان بعض التوصيات التي يفترض اخذها بنظر الاعتبار من قبل الراغبين بدراسة الفكر الاستشراقي للقرآن الكريم .

١- تجديد الدعوة لاعادة دراسة الاستشراق بنظرة شمولية مترابطة والتركيز على محتوى الانتاج الموسوع له، وتدعيم الرؤيه العلمية والمنطقية لمعالجات دس وتشويه المستشرقين في الاسلام.

٢ - لابد من الاطلاع على هذه الدراسات الاستشراقية بصورة موضوعية وحيادية بعيدة عن التعصب وعلى ما يحمله المستشرقون من افكار وتصورات ورؤى حول ابعاد وجوانب عدة تتعلق بالقرآن الكريم .

٣- أن نمثل أنفسنا أمام أنفسنا، بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية، والتاريخية، والعقدية لأمة الإسلام دون أن نخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون، فهذا جانب مهم وأولي، وهو أخرى بالاهتمام لأن فيه تحصينا للأمة .

٤- إن لانشغل بموقف باستفزاز وعصبية كرد فعل لتلك الدراسات وإنما الانتباه والوعي وهو فهم وإيجاد الفعل والمبادرة بتعزيز الدراسات الموضوعية للاستشراق والكشف عن موطن الخلل وتصحيح الكثير من المعطيات التي يزخر بها مشهدنا الفكري تاريخيا ويعتمدها هؤلاء المستشرقين وهذا يستدعي فحص منظومة النصوص التاريخية والشرعية والعقدية التي طالتها يد الوضع والتشويه والفهم الخاطئ والأهواء التي تجر النصوص إلى غير ما وضعت له.

٥- لابد لنا من دراسة الاستشراق دراسة شاملة تحيط بكل اهدافه وغاياته وابعاده لان التفكير في دراسة الاستشراق والتناول التجزيئي له سيفقدنا القدرة على الوصول الى العمق المطلوب والأحاطة التامة بأهدافه ونتائجه الواقعية واكتشاف المرامي الخفية له

٦- يبقى الأمل في الدعوة إلى النهوض بترجمة تفسير موجز للقرآن جامع للمعاني واللطائف القرآنية المختلفة ، . إذ أن الترجمات الفردية والحرفية سواء كانت من مستشرقين أو مسلمين فيها كثير من القصور والخلل وينالها من العيوب والنواقص ما ينبغي تنزيه كتاب الله تعالى عنها.

ذلك هو الموقف الذي لا بد من تبنيه في مواجهة هذا الجزء من قضية الصراع الحضاري، وسوف بتحقيق هذا الهدف إذا شجعنا البحث العلمي في البلاد العربية والإسلامية بالوسائل المادية والمعنوية .

واختتم البحث داعياً الله تعالى ان اكون قد وفقت في مساعي لخدمة الدين الحنيف، ورد شبهات الحاقدين ، والدفاع عن حمى الاسلام في مسالة تستحق ان تكون على مستوى كبير من البحث والتقصي. وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

﴿الباحث﴾

قائمة

المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع العربية

*أشرف ما نبتدى به القرآن الكريم

*الكتاب المقدس: العهد القديم – دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

اولا:المصادر العربية

*ابن اسحاق، محمد (١٥١-٧٦٨هـ):

٢-سيرة ابن اسحاق المسماة بكتاب المبتدا والمبعث ،تحقيق محمد حميد الله ،معهد الدراسات والأبحاث للتعريب .

*الدكتور أكرم ضياء العمري:

٣-موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية ص ٤٥ ، أجامعه الاسلاميه
المدينه المنوره ، كلية الدعوة

* الزهري ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ - ٨٤٤م):

٤-الطبقات الكبرى، صادر (بيروت – لا.ت).

* للعقاد :

٥-مطلع النور ط/الهلal:

* الترمذي ،محمد ابن عيسى السلمي (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢م).

٦-سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون ، دار احياء التراث
العربي ، (بيروت-لا.ت)

* السجستاني ، أبي بكر عبد الله ابن أبي داود سليمان بن الأشعث (ت ٣١٦ هـ -
٩٢٨م):

٧-المصاحف ، تحقيق آرثر جفري ،المطبعة الرحمانية،(مصر-١٩٣٦م).

* الخطابي (ت ٣٨٨هـ):

٨- بيان إعجاز القرآن للإمام ،ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، طبعة دار المعارف بمصر.

*البخاري،ابو عبد الله محمد ابن اسماعيل الجعفي ، (ت ٢٥٦هـ-٨٧٠ م):

٩- صحيح البخاري،دار الفكر،(بيروت-١٩٨٦) .

* ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢١٦هـ) :

١٠ - صحيح مسلم ، ط / عيسى الحلبي .

* الشيباني ،احمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ):.

١١ - مسند احمد ،طبعة دار صادر ببيروت .

* أبو داود ،الحافظ ابن الأشعث السجستاني، ت(٢٧٥هـ):

١٢ - سنن أبي داود دراسة وفهرسة ، كمال الحوت، ط١، ١٩٨٨ .

* النسائي ،أبو عبد الرحمان احمد ابن شعيب (ت ٣٠٣هـ-٩١٥م):

١٣ - السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداوي وسيد كسروي حسن ،دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١ .

* الأزهري ، أبي منصور ابن احمد ، ت (٣٧٠هـ) :

١٤- تهذيب اللغة، ط١، ١٩٦٤ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة .

* الاصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي ، (ت ٣٥٦ هـ):

١٥- كتاب الأغاني ، تحقيق إبراهيم اليباري ، ط ١٩٦٩ ، دار الشعب – مصر

* الأصفهاني ،الراغب أبو القاسم الحسين ابن احمد،(ت ٥٩٥هـ):

١٦ - المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، ط الأخيرة، ١٩٦١.

* ابن النديم ، محمد ابن إسحاق ، (٣٨٥هـ-٩٩٥م):

١٧ - الفهرست ،دار المعرفة (بيروت -١٩٧٨م).

* الطبري محمد ابن جرير (ت ٣١٠هـ).

١٨ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، طبعة دار الفكر، (بيروت -١٩٨٤م).

١٩ - تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية،(بيروت -١٩٨٦م).

* ابن كثير القرشي ، إسماعيل ابن عمر (٧٧٤هـ-١٣٧٢م):

١٩ - تفسير ابن كثير،مكتب المعارف ، (بيروت - ١٩٨٠م).

*الحاكم النيسابوري،أبو عبد الله محمد ابن عبد الله (ت ٤٠٥هـ-١٠١٤م).

٢٠- مستدرک الحاكم

- * الطوسي ، أبو جعفر محمد ابن الحسن ابن علي (ت ٤٦٩٠هـ - ١٠٦٧م):
٢١- التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق احمد ابن حبيب العاملّي ، مكتب الأعلام الإسلامي ، (قم - ١٩٨٧م)
* الداني ، أبي عمرو:
٢٢- التيسير في القراءات السبع (ت ٤٤٤هـ) ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت.
٢٣- المقنع في رسم مصاحف الأمصار ط/الكلّيات الأزهرية.

- * ابن الحزم ، الحافظ أبي محمد علي ابن احمد بن حزم الأندلسي الظاهر ،
(ت ٤٥٥هـ) :
٢٤- الملل والنحل ، تحقيق وتقديم وتصحيح :
محمد احمد عبد العزيز ، ط ١ ، ١٩٥٨ مكتبة عاطف- القاهرة .
* البيهقي ، أبو بكر احمد ابن الحسين ابن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م):
٢٥- سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطاء مكتبة دار الباز (مكة المكرمة- ١٩٩٤ م).
* الخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م):
٢٦- تقييد العلم ، تحقيق يوسف الغش ، ط ٢ ، (١٩٧٤م)
* الخطيب ، عبد الكريم :
٢٧- القران ، نظمه ، جمعه ، ترتيبه ، دار الفكر العربي ، (القاهرة- ١٩٧٢م).
* القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ابن عبد الملك النيسابوري ، (ت ٤٧٥هـ):
٢٨- الرسالة القشيرية ، دار الكتاب العربي - بيروت .
* الطبرسي ، أمين الدين أبو علي الفضل ابن الحسن (٥٤٨هـ - ١١٥٣م):
٢٩- مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار إحياء التراث ، (بيروت - ١٩٧٦م).
* الغزالي ، الإمام محمد ابن محمد ، (ت ٥٠٥هـ) :
٣٠- جواهر القرآن ، دار الكتب العلمية :
* ابن الجوزي ، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م):
٣١- فنون الألفان في عجائب القرآن ، تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي ،
مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ١٩٨٨).
* الجزري ، عز الدين ابن الأثير ابي الحسين علي ابن محمد ، (ت ٦٣٠هـ):

٣٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١٩٨٩ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

*القرطبي ،محمد ابن احمد ابن ابي بكر فرج (ت ٦٧١ هـ -١٢٧٢م):
٣٣- الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق احمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، ط ٢ ، القاهرة- ١٩٥٢م)

* الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١ هـ _ ١٣٢١م):
٣٤- مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر مكتبة لبنان ، بيروت -١٩٩٥).

* الفخر الرازي ،الإمام محمد الرازي بن ضياء الدين عمر(ت ٦٠٤ هـ):
٣٥- التفسير الكبير ط ١ ، ١٩٩٥ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

* الزركشي،محمد ابن بهادر ابن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ-١٣٩١م):
٣٦- البرهان في علوم القرآن ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة (بيروت-١٩٧١ م)،طبعة عيسى البابي الحلبي.

* السيوطي ،جلال الدين:
٣٧- الإتقان في علوم القرآن (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧م.

* ابن منظور، محمد ابن مكرم الأفريقي المصري ((ت ٧١١ هـ-١٣١١م):
٣٨- لسان العرب ،دار صادر ،(بيروت - لا.ت).

* التفسير الميسر .
٣٩- إعداد نخبة من العلماء ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤١٩م.

* سيبويه :

٤٠- الكتاب ط/ تحقيق عبد السلام هارون / الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* إدريس وجبور عبد النور:

٤١- المنهل:(قاموس) تأليف سهيل -دار الآداب بيروت.

* المكي بن أبي طالب الكشف:

٤٢- عن وجوه القراءات السبع ، تحقيق د محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٤م.

* الذهبي ،شمس الدين:

٤٣- تذكرة الحفاظ ، ط/ دائرة المعارف العثمانية بالهند.

* العسقلاني، ابن حجر ، احمد بن علي الشافعي (ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م):

٤٤- تهذيب التهذيب : ط / دائرة المعارف العثمانية بالهند (د . ت .)

٤٥- الإصابة في تميز أصحابه ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجميل ، (بيروت- ١٩٩٢م).

* السيرافي:

٤٦- أخبار النحويين البصريين، ط١/ الحلبي ١٣٧٤هـ.

*الزبيدي ، محب الدين ابي الفيض محمد ، (ت ١٧٩٠ م):

٤٧- تاج العروس من جواهر القاموس ، ط١ ١٩٦٦ .

* ابن حجر:

٤٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر - مصورة دار المعرفة -

بيروت عن طبعة السلفية بمصر

* القسطلاني:

٤٩- الطائف الإشارات ، ط / مجمع البحوث الإسلامية بمصر ١٩٧١ .

* ابن أبي داود:

٥٠- المصاحف ، نشره آرثر جفري . ط / دار الكتب العلمية.

* الباقلاني، أبي بكر :

٥١- نكت الانتصار لنقل القرآن ، ط / دار المعارف.

* السيد الخوئي (أبو القاسم الموسوي)،: دار التوحيد للنشر والتوزيع- الكويت، ط٤ ، ١٣٩٩ / ١٩٧٣ م .

٥٢- البيان في تفسير القرآن

*الزرقاني ، محمد عبد العظيم :

٥٣- مناهل العرفان تحقيق : فواز احمد زمري ، ط١ " ١٩٩٥ ، دار الكتاب العربي - بيروت

* السباعي، مصطفى:

٥٤- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، (الكويت- ١٩٦٨)

* الصغير، محمد حسين علي :

٥٥ - المستشرقون والدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، (لبنان - ١٩٨٣)

*الجندي ، أنور :

٥٦ - شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

*الانباري ، عبد الرزاق علي :

٥٧ - جمع القرآن الكريم البحث المنشور في مجلة المورد (عدد خاض)، (بغداد - ١٩٨١) المجلد التاسع العدد الرابع.

* البهي ، محمد .

٥٨ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ط١١ ، ١٩٨٥ ، دار غربي للطباعة - القاهرة .

* الجبري ، عبد المثقال محمد .

٥٩ - السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ط١ ، ١٩٨٨

*الدسوقي ، محمد .

٦٠ - الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه ، ط١ ١٩٩٥ .

*النملة ، علي إبراهيم :

٦١ - الاستشراق في الأدبيات العربية. ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م.

* الحكيم .محمد باقر .

٦٢ - القصص القرآني ، المركز العالمي للعلوم الإسلامية ، قم - ١٩٩٥ م).

*ابن هشام، محمد عبد الملك (٢١٨ هـ - ٨٣٣ م).

٦٣ - السيرة النبوية، تحقيق همام سعيد ومحمد بن عبد الله، (الأردن - مم).

* الميداني ، عبد الرحمن حسن جبنكة.

٦٤ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، اقتبسه : محمد البشير مغلي في كتابه :
مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز
الملك فيصل للبحوث والدراسات، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

* السامرائي ، قاسم :

٦٥ - الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ط ١ ، ١٩٨٣ .

* السلفي ، محمد لقمان .

٦٦ - السنه حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها ، ط ١ ، ١٩٨٩ ،
مكتبة الايمان - المدينة المنورة .

* الندوي ، د. عبد الله عباس:

٦٧ - ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، سلسلة دعوة
الحق، رابطة العالم الإسلامي ١٤١٧ هـ، العدد ١٧٤، ص ٤٤.

*السعيد، لبيب:

٦٨ - الجمع الصوتي الأول ط/الهيئة المصرية للكتاب.

* الوهاب، أحمد عبد:

٦٩ - كشف المسيح في مصادر العقيدة المسيحية"ط/ وهبة.

* الزيايدي ، محمد فتح الله :

٧٠ - ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين ، (ليبيا-١٩٨٣).

* الخربوطلي ، علي :

٧١ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي

*العبادي، صادق

٧٢ - مجلة الفيصل، العدد ٣٢٢، ١٤٢٤ هـ، ص : ١١٩).

* المعاييرجي، د. حسن:

٧٣ - ضرورة الدعوة والتبليغ، مطابع الدوحة، قطر، ١٩٩١ م الهيئة العالمية للقرآن الكريم.

* الطباطبائي، سيد محمد حسين :

٧٤ - الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الاسلاميه، ط٣، (طهران-١٩٧٦م).

* برهان الدين ألبقاعي:

٧٥ - نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين ألبقاعي (ت٨٨٥هـ) ط ١/١٩٧٣م مصورة عن الطبعة الهندية.

* بن نبي، مالك :

٧٦ - إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

*البنداق، محمد صالح

٧٧ - المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، (بيروت - ١٩٨٠).

* بدوي، عبد الرحمن

٧٨ - موسوعة المستشرقين، دار العلم لملايين ط١، ١٩٤٨، بيروت لبنان .

*حمدان، نذير:

٧٩ - الرسول في كتابات المستشرقين، ط٢، ١٩٨٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

*حنفي، حسن .

٨٠ - موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ط ١ ١٩٨٦ ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر - بيروت

* حميش، سالم :

٨١ - الاستشراق في أفق انسداده، (الرباط - ١٩٩١)،

* حمودة، عبد الوهاب:

٨٢ - من زلات المستشرقين، ، اقتبسه محمد البشير مغلي

* حمدان ، عبد الحميد صالح :

٨٣ - طبقات المستشرقين مكتبة مدبولي ، ط ١ ، القاهرة

* حمدان ، نذير:

٨٤ - الرسول (ﷺ) ، في كتابات المستشرقين، دار المنارة، جدة، ١٤٠٦ هـ.

٨٥ - طبقات المستشرقين ط ١ دار المنارة للنشر والتوزيع جدة السعودية

* خليل ، عماد الدين :

٨٦ - في تاريخ الإسلام - موقف ودراسات - مطبعة الزهراء، ط ٢، (الموصل ١٩٨٥).

* رضا ، محمد رشيد .

٨٧ - تفسير القرآن الحكيم الشهير تفسير المنار ط ٣ ، ١٣٧٤ هـ دار المنار - مصر .

* زقزوق، محمد حمدي:

٨٨ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص : ١٧-١٨، الدوحة، قطر، ١٤٠٤ هـ.

* سزكين، فؤاد :

٨٩- تاريخ التراث العربي ترجمة فهمي أبو الفضل . ط / الهيئة العامة للكتاب
مصر : ١٩٧١

* سعيد ، إدوارد .

٩٠- الاستشراق (تعريب كمال أبي ديب)، ص : ١٠١ ، مؤسسة الأبحاث
العربية، بيروت، ١٩٨٤

* شاهين ، عبد الصبور شاهين :

٩١- تاريخ القرآن : دار الكاتب ، العربي، القاهرة، ٩٦٦م.

* علوم الدين ، د. احمد محمد :

٩٢- مقرر مادة الاستشراق للسنة الرابعة ، كلية الإمام الاوراعي للدراسات
الإسلامية ، جامعة الجنان ، ١٩٩١ ، بيروت .

* علي ، جواد:

٩٣- تاريخ العرب في الإسلام ، ط ١ ، ١٩٨٣ ، دار الحداثة – بيروت .

* عزوزي، د.حسن:

٩٤- القرآن الكريم وإشكالية الترجمة، ضمن كتاب "دراسات في الاستشراق
ومناهجه" ، طبعة فاس ١٩٩٩م.

٩٥- مدخل إلى دراسة علوم القرآن والتفسير، لطبعة الثانية- أنفو برانت-فاس
١٩٩٨م.

* عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة:

٩٦- حجة القراءات لأبي زرعه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة . تحقيق د .
سعيد الأفغاني. ط / مؤسسة الرسالة ١٤١٨ – ١٩٧٧ .

* عبد الوهاب، أحمد:.

٩٧- المسيح في مصادر العقيدة المسيحية. ط / مكتبة وهبة.

* عقيقي ، نجيب :

٩٨- المستشرقون ، ط ٤ ، (القاهرة - ١٩٤٦م)

* عز الدين، يوسف :

٩٩- الاستشراق وبواعثه وماله وما عليه، مقال منشور في مجلة المشكاة
المغربية، العدد 291419 : هـ/١٩٩٨م

* عبد الرازق ، مصطفى .

١٠٠- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ط٣ ، ١٩٦٦ ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر - القاهرة .

* عبده ، محمد .

١٠١- رسالة التوحيد ، طبعة ١٩٦٥ مكتبة محمد علي اصبيح - القاهرة .

* عزيز طعمية ، صابر .

١٠٢- المعرفة في منهج القرآن الكريم ، دراسة في الدعوة والدعاة ، دار
الجيل (بيروت - د ت).

* عارف، عزيز:

١٠٣- نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم ، ط١ ، - بغداد - سلسله ثقافيه شهريه
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامه ، ٢٠٠٥

١٠٤- الموضوعية والافتعالية، نقلا عن محمد البشير مغلي

* عويس ، د. عبد الحليم :

١٠٥- مواجهة التحدي الاستشراقي من آفاق الدعوة الإسلامية في القرن
الخامس عشر الهجري أعمال الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي،
الجزائر، ١٩٨٠ م. منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

* عبد الرحمن ، وجيه حمد :

١٠٦- وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن ندوة عناية
المملكة العربية السعودية

١٠٧- بالقرآن الكريم وعلومه، ٢٠٠٠ م.

* عبد الله ، عباس الندوي:

١٠٨- ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي هـ، العدد ١٧٤، ص ٤٤

* غلاب، محمد :

١٠٩- نظرات استشرافية في الإسلام، (القاهرة-لا.ت).

* فروخ ، عمر :

١١٠- الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة في كتاب : الإسلام والمستشرقون، تأليف نخبة من العلماء المسلمين، جدة، دار المعرفة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

* فتاح، عرفان عبد الحميد:

١١١- المستشرقون في الإسلام، (بغداد - ١٩٦٩م) .

١١٢- دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، دار الجيل (بغداد - ١٩٩١م).

* قطب ، سيد .

١١٣- في ظلال القرآن ، ط ٩، ١٩٨٠، دار الشروق - بيروت .

* مراد ، يحيى :

١١٤- معجم أسماء المستشرقين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية (بيروت لبنان).

* محمد عبد الغني حسن :

١١٥- (سلسلة أعلام العرب)، الدار المصرية للطباعة، القاهرة (د.ت).

* مالكي، د.محمد العلوي :

١١٦- موقف المستشرقين من السنة بحث منشور في أعمال الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة

١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،
الجزائر.

* محمود قاسم: الدكتور.

١١٧- الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير
الجزائرية،

* هيكل ، د. محمد حسين :

١١٨- (حياة محمد) الطبعة الثانية ط/ الهيئة المصرية للكتاب .

* هونكه ، زيغريد :

١١٩- شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الآفاق الجديدة،
بيروت.

* وزان ، عدنان محمد.

١٢٠- الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر، دار المنار، جدة، ١٤٠٦ هـ.

ثانياً : الدوريات .

* مولود قاسم (وزير الشؤون الدينية في الجزائر سابقاً) تعقيب وتوضيحات
على محاضرة الدكتور عبد الله العروي الموسومة .

١٢١- الثقافة الإسلامية في مرآة الغرب، محاضرات الملتقى السادس
للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م، ص :
١٦٦.

* مقالة أبي القاسم سعد الله في مجلة المنهل السعودية العدد ٥٣٤، شهر أوت
١٩٩٦ م، نقلا عن الدكتور عبد الكريم بكري:

١٢٢- صورة الإسلام في الفكر الاستشراقي القديم والحديث، مقال منشور في مجلة المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، العدد الأول، سنة ١٩٩٨ م، ص : ١٤٦.

١٢٣- الدراسات العربية في هولندا، نقلا عن إسماعيل العثماني : قراءة في الاستشراق الهولندي، مقال منشور في مجلة المشكاة المغربية، العدد ٢٩، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، *يوسف عز الدين : الاستشراق وبواعثه وما له وما عليه، مجلة المشكاة المغربية، العدد ٢٩، ١٩٩٨ م،

ثانيا: المصادر الاجنبية المترجمة

* اميل ،درمنغم .

١٢٤- حياة محمد ترجمة، عادل زعتر ، ط٢ ، ١٩٨٨ المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت .

* أسد ،محمد .

١٢٥- الطريق إلى مكة ، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي ط١ ، ١٩٥٦ ، دار العلم للملايين- بيروت.

*بودلي ، رونالد فكتور .

١٢٦- حيات محمد الرسول ،ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد فرج ،(القاهرة - ١٩٦٤).

*بلاشير ريجيس .

١٢٧- القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، وتأثيره ، ترجمة رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت - ١٩٧٤)

* بارت، رودى.

١٢٨- الدراسات العربية والاسلاميه في الجامعات الالمانيه ، ترجمة مصطفى ماهر ، (القاهرة-١٩٦٧).

*بروكلمان،كارل.

١٢٩- تاريخ الشعوب الاسلاميه،ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملاين ، ط٩

* ثيودور نولدكه.

١٣٠- تاريخ القران ، ترجمة جورج تامر ، ثلاث اجزاء ، ط١ ، بيروت ٢٠٠٤ ،
نشر جورج المز هيلد سهايم -زوريخ- نيويورك ، باذن دار نشر ومكتبة
ديتريش ، فيسبادن.

*جولد زيهر، اجنتس .

١٣١- مذاهب التفسير الإسلامى ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة السنه
المحمدية ، (القاهرة -١٩٥٥).

١٣٢- العقيدة والشريعة في الإسلام ،ترجمة محمد يوسف موسى وعلي حسن عبد
القادر وعبد العزيز عبد الحق ، دار الكتب الحديثه بمصر ومكتبة المثني
في بغداد ط٢ (القاهرة - لا.ت).

*جب،هاملتون وكالمرز .

١٣٣- الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ترجمة راشد البراي ، مكتبة لانجلوا المصرية، (القاهرة-١٩٨٥).

* جب، هاملتون .

١٣٤- بنيت الفكر الديني في الإسلام ، ترجمة عادل العوا ، مطبعة جامعة دمشق ط٢، (دمشق- ١٩٦٤).

*كار ليل ، توماس .

١٣٥- الأبطال ، ترجمة محمد السباعي ، (بيروت - ١٩٦١).

* لوبونن ، غوستاف .

١٣٦- حضارة العرب ، ترجمة عادل از عيتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، (بيروت لبنان)

* وات، مونتميري.

١٣٧- محمد في مكة ، ترجمة شعبان بركات منشورات المكتبة العصرية ، (بيروت-١٩٥٢)

١٣٨- محمد في المدينة ، ترجمة شعبان بركات منشورات المكتبة العصرية ، (بيروت-١٩٥٢).

* دينيه ، آتين

١٣٩- محمد رسول الله ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمد ، ط٣ ، ١٩٥٩ الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة .

* رودنسون، مكسيم .

١٤٠- جاذبية الإسلام ، ترجمة الياس مرقص ، ط١ ، ١٩٨٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر .

ثالثاً: الرسائل الجامعية

* الغزاي، مشتاق بشير حمود .

- ١٤١- تطور الاستشراق البريطاني الشريفة رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، ٢٠٠١ .
- ١٤٢- دراسة المستشرقين عن القرآن الكريم – دراسة في تاريخ القرآن نزوله وتدوينه وجمعه رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ٢٠٠٤

* ابداح ،اقبال عبد الرحمن .

- ١٤٣- الوحي النبوي بين المفسرين والمستشرقين (دراسة تحليلية مقارنة) رسالة ماجستير غير منشورة

جامعة العلوم الإسلامية بغداد .

* الموسوي، سلمى حسين علوان.

- ١٤٤- دراسات ليفي بروفنسال في تاريخ الأندلس رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد كلية الآداب – قسم التاريخ .

*أبو سمرة، محمود عثمان:

- ١٤٥- الميدانية في منهج النحاة العرب- رسالة ماجستير مخطوطة الدراسات القاهرة سنة ١٩

رابعاً المصادر الاجنبية

* Rodwell, J.M (1961)

146- The Koran Translation from the Arabic.

147- The Kora Interpreted , Williams & Norgate

* J . Berque (m 1995):

148- Le Coran: essai d'interprétation, Sindibad - Paris 1990.

* R . Blachère (m 1973) :

149- Introduction au Coran, 2 em édition , Paris 1977.

* Theodor , Noldeke (m 1930) :

150- Geschichte des Qorans, Germany 1969 (3 tomes).

* W. Muir:

151- Life of Mohamet, 3rd edition reprinted 1923, D.S. Margoliouth:

152- Mohammed and the Rise of Islam, London, 1905.

* Montgomery Watt:

153- Muhammad at Mecca, Oxford, 1960

* Richard Bell:

154- Mohammed's Call", The Moslem World, (1934).

* Arberry, A.J. (1955)

155- The Koran Interpreted, 2 vols Allen & Unwin London.

*Pickthall, M. (1930):

156- The Meanings of the Glorious Qur'an, London ,
(The New American Library).

* Sale, George. (1975):

157- The Koran commonly called Alkoran of
Mohammed.

(London- 1921).

* Palmer, E.H (1980):

158- The Koran (The Sacred Books of the East, Vol.
Vi), Oxford.

* Geffery , A.

159- Materials for the history of the text of the Quran
(New York – 1975).

* Sell , Edward:

160- The historical development of the Quran. (London-
1898).

* John- Wansborough

161- Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scriptural
Interpretation Sectarian Milieu: Content

* Montgomery Watt:

162- Islamic Revelation in the modern world, (London-1969).

* Alexander Ross:

163- The Koran of Mahmet

* N.g.Dawood:

164- The Koran-Translation with notes , (The penguin Books Ltd).

ملاحظة:-

لم ترد في هذه القائمة المصادر التي لم تكن الاستفادة منها مباشرة